وِزَارةُ التّعليمِ العَالِيّ والبَحْثُ العِلمْيّ

جَامِعَةُ بـَابِـلَ/كُلّيّةُ العلومِ الإسلاميّةِ

قِسْمُ عُلُومِ القُرآنِ/ الدّراساتُ العُليا

الرُّؤيـةُ القُرآنيَّة للمُستوياتِ الإيمانيَّةِ

ـ دراسةٌ تحليليَّةٌ ـ

أُطروحةٌ قُدمت إلى مجلس كليَّة العلوم الإسلاميّة / جامعة بابلَ ، وهي من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في علوم القرآن

من الطالب

محمّد هاني هاشم حسين العواديّ

بإشراف الأُستاذ

الدّكتورة سكينة عزيز عباس الفتليّ

٢٠٢٣م **١٤٤٥هـ**

قال تعالى :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا
فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥

صدقَ اللهُ العليُّ العظيمُ

الإهداء

إلى مُدَّخَر الفَرائضِ والسُّنن، إلى مُحيي معالم الدِين وأهله سيدي ومولاي الحجّة بن الحسن صلوات ربيّ وسلامه عليهما ، إلى مَنْ صَاغوا لنا من عِلمِهم حُرُوفًا، ومِنْ فِكْرِهِم مَنَارةً تنيرُ لَنا رِحْلَة العِلْمِ والنّجَاح، إلى أسَاتيذي الأجلّاء ، أهدي جَهْدِي هَذا بتواضُعٍ ، راجيًا تقبله بأحسن القبول ....

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله تعالى على فضله وتوفيقه بإنجاز هذا الجهد، وعلى ما أفاض عليّ من خيره وعظيم نعمائهِ .

قال الإمام **جعفر بن محمد الصادق** (عليه السلام) : " **أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك** " [1]

شكري وامتناني إلى من كان له الفضل بعد الله (عزّ وجل) في إتمام عملي هذا، وقدم لي من التصويب والنصح والإرشاد وأبدى ملاحظاته وتوجيهاته السديدة .

أخصّ بالذكر أستاذتي المكرمة الأستاذ الدّكتورة (سكينة عزيز عباس الفتليّ) عرفانًا لكبر فضلها في إنجاز أطروحتي بتوجيهها وتقديمها النصيحة فكان لها الأثر في إغناء الأطروحة فأسأل الله أن يديمها ويبارك في عملها ، والشكر لأساتيذي العلماء الأجلاء لما كان منهم في تثبيت عنوان أطروحتي، وأن ينعم الله عليهم بوافر الصحة لما قدّموه لي من تصويبٍ وإرشادٍ ، والشكر موصولًا لكلّ من قدّم لي يد العون والمساعدةِ في كل خطوة أخطوها منذ مرحلتي الدراسة الأولية حتى بلوغي هذه المرحلة ، أسأل الله أن يحفظهم ، ويديمهم خدمةً لهذه الكلية المباركة ، حفظ الله الجميع وأمدّ في أعمارهم ، وزادهم من بركاته.... والشكر إلى أهلي والديّ العزيزينِ وجميع من ساعدني وأتوجه بالامتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة الأساتذة العلماء الأجلاء وامتناني لهم جميعًا .

---

(١)الكلينيّ ، الكافي ، ٢/ ٩٤

محتوى الأطروحة

التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١	الآية القرآنية	أ
٢	الإهداء	ب
٣	شكرٌ وعرفانٌ	ت
٤	المقدمة	١-٥
٥	التمهيد : التعريف بمفاهيم العنوان مفهوم الرؤية والمستويات والإيمان	٦-٢٢
٦	المحور الأوّل: مفهوم الرؤية في اللغة والاصطلاح	٨-١٠
٧	المحور الثاني : مفهوم المستويات في اللغة والاصطلاح	١٠-١١
٨	المحور الثالث : مفهوم الإيمان في اللغة والاصطلاح	١١-٢٢
٩	الفصل الأول : الإيمان المقترن بالأوامر والنواهي	٢٣- ٩٤
١٠	توطئة	٢٤-٢٥
١١	المبحث الأوّل : الإيمان المقترن بالأوامر	٢٦-٦٨
١٢	المبحث الثاني : الإيمان المقترن بالنواهي	٦٩-٩٤
١٣	الفصل الثاني : الإيمان المقترن بالعمل والتقوى	٩٥-١٤٢
١٤	توطئة	٩٦
١٥	المبحث الأوّل : الإيمان المقترن بالعمل الصالح	٩٧-١٢٠
١٦	المطلب الأوّل : مكاسب العمل الصالح لأصحابه	٩٨-١١٤
١٧	المطلب الثاني : سمات أصحاب العمل الصالح بعد الإنجاز	١١٥-١٢٠
١٨	المبحث الثاني : الإيمان المقترن بالتقوى	١٢١-١٥٦
١٩	المطلب الأوّل : مكاسب التقوى لأصحابها	١٢١-١٣٤
٢٠	المطلب الثاني : سمات أصحاب التقوى بعد تحقق التقوى	١٣٥-١٤٢

٢١	الفصل الثالث : الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابيّ أو السلبيّ	١٤٣-٢٢٣
٢٢	توطئة	١٤٤
٢٣	المبحث الأوّل : الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابيّ	١٤٥-١٦٩
٢٤	المطلب الأوّل : التحوّل من الكفر إلى الإيمان	١٤٥-١٤٩
٢٥	المطلب الثاني : التحوّل من مِلِّي إلى مُسْلِم	١٤٩-١٦٠
٢٦	المطلب الثالث : التحوّل من مذنبٍ إلى تائبٍ	١٦٠-١٦٩
٢٧	المبحث الثاني : الإيمان المقترن بالتحوّل السلبيّ	١٧٠-٢٢٣
٢٨	المطلب الأوّل : التحوّل من الإيمان إلى النفاق	١٧٠-١٨١
٢٩	المطلب الثاني : التحوّل من الإيمان الخالص إلى الإيمان المقترن بالشرك	١٨١-١٩٦
٣٠	المطلب الثالث : الإيمان المقترن بطاعة بعض المليين	١٩٦-٢٠٦
٣١	المطلب الرابع : اتباع غير سبيل المؤمنين بعد التبيّن	٢٠٧-٢١٥
٣٢	المطلب الخامس : الإيمان البعضي مع الكفر البعضي	٢١٦-٢٢٣
٣٣	الخاتمـــــة والنتائج	٢٢٤-٢٢٨
٣٤	ثبت المصادر والمراجع	٢٢٩-٢٤٣
٣٥	ملخص باللغة الإنجليزية	A-C

مـــقـــدمـــة

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد وعلى آله درر الورى ومنبع العلم والصلاح أئمة الهدى وأعلام التُّقى والعروة الوثقى سادتي وأوليائي وشفعائي عليهم السلام .

أمّا بعد : من بين ما احتوى عليه القرآن المجيد واهتم بتوضيحه للخلق وجعله ميزانًا بين الحق والباطل وبين الصلاح والفساد هو الإيمان فقد أخذ مساحة كبيرة في كتاب الله وجعله الله معيارًا للإثابة والعقوبة والجنّة والنار ، وقد اختلفت الطوائف والمذاهب الإسلاميّة في بيان ذلك المفهوم من خلال تعريفه أو تطبيقه فذهب قسم وهو الأكبر إلى أنّ الإيمان يجب أن يكون من خلال الإقرار باللسان والتصديق القلبيّ وذهب قسم آخر إلى القول أنّ الإقرار باللسان كافٍ لإثبات الإيمان وكلّ له رأيه ودليله من القرآن الكريم فالذين قالوا بالإقرار باللسان كان لهم دليلهم من آياتٍ قرآنيةٍ تثبت ما ذهبوا إليه وكذلك الحال بالقسم الآخر الذين رأوا أنّه لا إيمان إلّا من خلال الإقرار القلبيّ مع اللسان وركنوا إلى أقوالٍ من القرآن الكريم والسنّة النبويّة المطهرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أو ما أُثِر عن الصحابة بالنسبة للجمهور أو الروايات المنقولة والمستفيضة عن رسول الله وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام بالنسبة للإمامية ، وبالتتبع فإنّ أصحاب القول الثاني هم الأصح في ضوء الأدلة النقلية والعقلية وإنّ الإيمان يفترض معه التصديق بالقلب والإقرار باللّسان والقلب لكي يكتمل الإيمان الحقيقيّ ، وقد تم تبيان ذلك من فصول البحث وبشكل مفصل .

الهدف من الدراسة :

تهدف الدراسة إلى إظهار حقيقة الإيمان من خلال الرؤية القرآنية الصحيحة على وفق المستويات الإيمانية التي تم استقراءها من المصادر المتعددة فتكون هذه الرؤية جليّةً من خلال الآيات الواردة في هذا الباب، وبعد الاستقراء وتوزيعها إلى مجاميع بحيث يكون التوزيع قائمًا على تلمّس النصوص القرآنية التي تدور في فلكٍ واحدٍ يمكن أن يُشكِّلَ مستوًى قائمًا بذاتهِ له تفرده ووجوده وهذا يقودنا إلى معرفة المستويات الإيمانيَّة وتحديدها بعد إكمال توزيع النُّصوص ، فليس الإيمان مستوًى واحدًا ، أي هو مستويات عدّة تهدف هذه الأطروحة إلى بيانها.

وقد تعددت المستويات الإيمانيّة الواردة في الدراسة بحسب الآيات التي جاءت فيها من مستوى الإيمان المقترن بالأوامر والنواهي أو المستوى المقترن بالعمل الصالح والتقوى أو الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابي والسلبي فيكون الإيمان هنا إمّا إيمان مطمئن أو تصاعدي أو تراجعي وإمّا يكون إيمانًا مجردًا.

مشكلة البحث :

إنّ القرآن الكريم يضمّ رؤيةً للإيمان بخلاف الفهم البسيط بكون الإيمان قبالة الكفر أو (النفاق) صنفٌ ثالثٌ معهما ، وكأنّ الإيمان مستوًى واحدًا ، وعلى فرض التسليم بكونه ليس مستوًى واحدًا ، فما هي هذهِ المستويات ؟ ، فتكفلت هذهِ الأطروحة ببيان الرؤية القرآنية والإجابة على التساؤل المطروح ، ونقل العقل من الفهم البسيط إلى الفهم المعمّق .

الدراسات السابقة :

إنّ دراسة مفهوم الإيمان وبيان الآيات التي تعنى بمفهوم الإيمان موضوع مدروس ، أمّا عنوان (الرؤية القرآنية للمستويات الإيمانيّة) – الذي هو عنوان الأطروحة المقدمة هذه – ففي حدود تتبُّعي لم أجد من كتب تحت هذا العنوان سواء باحثًا كان الكاتبُ أم مؤلفًا ؟ ؛ لذا تعذر الحصول على تعريف لمفهوم المستوى الإيمانيّ من المصادر والمراجع، حتى الدراسات الواردة في الإيمان وأقسامه أو طرقه وبناءً على ما تقدَّم فهي دِراسة بِكْر سعت لبيان مستويات الإيمان على وفق الرؤية القرآنيّة .

خطة البحث :

قامَتْ خطة البحث على مقدِّمة وتمهيدٍ ، وثلاثة فصولٍ تلتها الخاتمة والنتائج ، وثبت المصادر والمراجع، مع ملخص باللغة الإنجليزية، فتناول التمهيد التعريف بمصطلحات العنوان وهي مفهوم الرؤية والمستويات ومفهوم شمولي للإيمان على المستويين اللُّغوي والاصطلاحيّ ، تناول الفصل الأوّل (الإيمان المقترن بالأوامر والنواهي) ، وتناول الفصل الثاني (الإيمان المقترن بالعمل والتقوى) وتناول الفصل الثالث (الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابيّ والسلبيّ) ، فالتحوّل الإيجابي هو ما دعا إليه القرآن الكريم وأكد عليه والتحوّل السلبيّ هو ما نهى عنه وأمر بتركه .

المصادر والمراجع :

أهم المصادر المعتمدة من قبل الباحث في كتابة الأطروحة هي (كتب التفسير المختلفة) دون التقيّد بحقبةٍ معينة أو مدرسة أو طائفة معينة وتلتها كتب اللغة المختلفة ثمَّ مصادر الحديث وبعض المصادر غير العربية المترجمة .

أهم الصعوبات :

من أهم الصعوبات التي واجهت الأطروحة هي قلة المصادر وخصوصًا في الفصل الثاني الذي تناول (الإيمان المقترن بالعمل والتقوى) سوى المصادر والمراجع التفسيريَّة التي تمّ الاعتماد عليهما لبيان ذلك الفصل .

وفي الختام يطيب لي أن أتقدم بالشكر لله تعالى فهو المُنعم والمُسدد لكل خيرٍ ورشادٍ، والشكر لكلِّ من قدَّم لي يد العون في إنجاز أطروحتي هذه ، وأسأل الله أن يوفقني على ما قدّمتُ من جهدٍ متواضعٍ ، فإن كنت قد أصبت فيه خيرًا فأرجوه أن ينفعني به وينفع غيري من طلبة العلم ، وإن أصابه التقصير أو النقص، فالكمال لله وحده سبحانه وتعالى .

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على من بُعِثَ بالحقّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى آله الطيبين الطاهرين .

الباحث

تمهيد

تمهيد : التعريف بمصطلحات العنوان(مفهوم الرؤية والمستويات والإيمان)

المحور الأوّل : مفهوم الرؤية في اللغة والاصطلاح .

المحور الثاني : مفهوم المستويات في اللغة والاصطلاح .

المحور الثالث : مفهوم الإيمان

١- في اللغة والاصطلاح .

٢ – مفهوم الإيمان في الاستعمال القرآنيّ .

المحور الأوّل / مفهوم الرُّؤية في اللغة والاصطلاح :

الرؤية لغةً : رأى (الرُّؤية) بالعين تتعدى إلى مفعول واحد وبمعنى العِلم تتعدى إلى مفعولين و(رأى) يرى (رأيا) و(رؤيـة) و(راءة) مثل راعـة ، و(الـرأي) معروف وجمعـه (آراء) و(أرآء) أيضا مقلوب منـه، و(رئي) على فعيل مثل ضأن وضئين، ويقال بـه (رئـي) من الجن أي مسّ، ويقال: رأى في الفقه رأيا ، وقد تركت العرب الهمز في مستقبله لكثرته في كلامهم [١].

(الراء والهمزة والياء) الرؤيـة النظر بالعين والقلب،[٢] يقال: رأى زيدًا عالمًا ورأى رأيا ورؤيـة وراءة مثل راعة [٣].

ورأيته رؤية ورأيا وراءة ورأية ورئيانا وارتأيته واسترأيته ، والحمد لله على ريتك، كنيتك ، أي: رؤيتك ، والرءَّاء ، كشدَّاد: الكثير الرؤية [٤].

(والرُّؤية) بالضم: إدراك المرئي، وذلك أضرب بحسب قوى النفس :

الأوّل: (النظر بالعين) التي هي الحاسّة وما يجري مجراها، ومن الأخير قوله تعالى:﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ التوبـة:١٠٥، فإنّـه ممّا أجري مجرى الرؤية بالحاسّة، فإنّ الحاسّة لا تصح على الله تعالى ، وعلى ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ ﴾ الأعراف:٢٧.

والثاني: بالوهم والتخيل نحو: أرى أنّ زيدًا منطلقٌ.

---

(١)ظ : الجوهريّ /الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ٦/مادةرأى ، وظ :الرازيّ /مختار الصحاح ، ١/مادةرأى .

(٢)ظ : ابن سيده /المحكم والمحيط الأعظم ، ١٠/مادةرأى .

(٣)ظ : ابن منظور /لسان العرب ، ١٤/مادةرأى .

(٤)ظ : الفيروز آبادي /القاموس المحيط ، ١/ مادةرأى .

والثالث: بالتفكر نحو: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ ﴾ الأنفال: ٤٨

والرابع: (بالقلب) أي بالعقل، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ النجم: ١١، وعلى ذلك قوله: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾ النجم: ١٣ [١].

الرؤية الأصل في هذه المادة هو النظر المطلق سواء أكان النظر بالعين الباصرة أو في القلب البصير أو بشهود روحاني ، أو يرى بالتفكير والتخيّل في العقل من خلال تركيب الصورة والمعنى لتكتمل الرؤية ... [٢].

رأى الشَّخصُ الأمرَ: تأمَّله، تروَّى فيه [٣].

بلحاظ ذلك يبدو أنّ الرؤية في اللغة تأتي إمّا بالمعنى الحسيّ أو المعنوي ، فالحسيّ وهو ما يطلق على الرؤية بالعين الباصرة والمعنويّة هو الإدراك القلبيّ أو العقليّ ، والرؤية العقليّة بالتخيّل من خلال تركيب الصورة ليكتمل المعنى والرؤية القلبيّة بالتفكر ورسم الصورة في العقل .

الرؤية اصطلاحًا :

الرؤية : " هي إدراك المرئي ، ولما كان الله تعالى يرى الأشياء من حيث لا يطلب رؤيتها صَحَّ أنّه لا يوصف بالنظر " [٤].

---

(١) ظ : الزبيديّ / تاج العروس من جواهر القاموس ، ٣٨/مادةرأى.

(٢) ظ : حسن المصطفويّ / التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، ٤/مادة رأى .

(٣) ظ : أحمد مختار عبد الحميد عمر /معجم اللغة العربية المعاصرة ، ٢/ مادة رأى .

(٤) أبو الهلال العسكريّ/ الفروق في اللغة ، ٦٧.

الرؤية : " المشاهدة بالبصر حيث كان ، أي في الدنيا والآخرة " [١].

لا تختلف الرؤية من حيث المعنى بين المفهوم اللغويّ وبين المفهوم الاصطلاحي فهو إمّا حسيّ كالنظر بالعين الباصرة أو معنوي كالإدراك ويشترك كلّ مخلوق لديه حواس بها فهو يرى ويدرك ولا يمكن وصف الخالق عزّ وجلّ حقيقة بها كونها خاصّة بمخلوقاته .

المحور الثاني / مفهوم المستوى في اللغة والاصطلاح :

المستوى لغةً :

المستوى : اسم مفعول من الفعل استوى يستوي ، استَوِ :استوى يستوي، استوَ، استواء، فهو مستوٍ، والمفعول مستوى عليه [٢].

مستوى : " بمعنى الدرجة والمكانة، فيقال: «مستوى اجتماعيّ»، «مستوى الإنتاج»، «مستوى المعيشة» ... أنّ المستوى: الدرجة والمكانة التي استوى عليها الشيء " [٣].

المستوى اصطلاحًا :

" مستوى الكلمة" هو ذلك المستوى من النحو، الذي نحلل عنده الكلمة إلى مورفيماتها[٤] المكونة لها " ، ومستوى العبارة " هو ذلك المستوى من النحو، الذي نحلل عنده مجموعات الكلمات، ذات الأبنية المعينة – باستثناء التراكيب– إلى كلمات، ومستوى "التركيب" هو ذلك

---

(١) الشريف الجرجانيّ/كتاب التعريفات ، ٩٣ .

(٢) ظ : أحمد مختار عبد الحميد عمر /معجم اللغة العربية المعاصرة ، ٢/ مادة سوى .

(٣) ظ : أحمد مختار عمر /معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربيّ ، ١/مادة سوى.

(٤) المورفيم: هو أصغر وحدةلغوية مجردة لها معنى. [ظ : ماريو باي / أسس علم اللغة ، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، ٥٣] .

المستوى من النحو، الذي نحلل عنده التراكيب، إلى ما فيها من مسندٍ ومسندٍ إليه ومكملاتٍ"، ومستوى الجملة" هو ذلك المستوى من النحو، الذي نحلل عنده جمل اللغة الصغرى والكبرى، إلى تراكيب مستقلة وغير مستقلة " [1] .

إذًا فالمستوى في اللغة : يشير إلى المكانة أو المنزلة أو الدرجة التي يكون عليها الشيء ، أمّا المستوى في مفهومه الاصطلاحيّ فهو يشير إلى ذلك الأمر الذي تحلل عنده التراكيب إلى جزئياتها البسيطة فترجع من الحالة الكليّة إلى الجزئيّة لذا لا يوجد تشابه بالمعنى بين التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفهوم المستوى وفق ما ورد له من تعريفات .

المحور الثالث / مفهوم الإيمان

١ – الإيمان في اللغة والاصطلاح :

أ – الإيمان لغةً : ويكون من " أمن: الأمن: ضد الخوف، والفعل منه: أمن يأمن أمنا. والمأمن: موضع الأمن. والأمنة من الأمن، اسم موضوع من أمنت. والإيمان: التصديق نفسه، وقوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ يوسف:١٧ ، أي: بمصدق " [2] .

" الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها

---

(١)ظ: رمضان عبد التواب / المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ ، ١ / ١٩٥ – ١٩٦ .

(٢) الفراهيديّ / كتاب العين ، ٨ / ٣٨٨ مادة أمن .

سكون القلب، والآخر التصديق ، والمعنيان متدانيان " [١].

وأصل الأمن هو الطمأنينة في النفس وزوال الخوف عنها ويطلق الأمان أحيانًا لحالة الإنسان التي يكون عليها ويطلق حينًا آخر لما يؤمن بهِ الإنسان في معتقده كمعرفة التوحيد والعدل وغيرها [٢] .

" أمن: الأمان والأمانة بمعنى. وقد أمنت فأنا أمن، وآمنت غيري من الأمن والأمان. والأمن: ضد الخوف. والأمانة: ضد الخيانة. والإيمان: ضد الكفر. والإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب. يقال: آمن به قوم وكذب به قوم..." [٣].

أصل الكلمة الواحد هو الأمن والسكون ورفع الخوف وإزالة الاضطراب فأمن أي اطمأنّ وزال الخوف عنه فهو آمن ، والإيمان أي جعل النفس في حالة الأمن والسكون فهو حصول الطمأنينة [٤] .

بلحاظ ما ورد آنفًا يمكن القول إنّ الإيمان بمفهومه اللغوي منصب في الغالب على ثلاثة معانٍ وهي الأمْن وهو ضد الخوف من الفعل أَمِنَ أو أنّه من الأمانة وهو ضد الخيانة أو التصديق وهو ضد التكذيب كآمن فلان بكذا وكذب فلان بكذا .

---

(١) ابن فارس / معجم مقاييس اللغة ، ١/مادة أمن .

(٢) ظ : الراغب الأصفهاني / المفردات في غريب القرآن ، كتاب الألف ، مادة أمن .

(٣) ابن منظور / لسان العرب ، ١٣ / مادة أمن .

(٤) ظ : حسن المصطفويّ / التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، ١/ ١٦٤ .

ب – الإيمان اصطلاحًا :

بعد بيان مفهوم الإيمان في اللغة يأتي الدور لبيانهِ في المفهوم الاصطلاحي وقد ورد كثير من التعريفات فيه .

إذا كان الإيمان يأتي بمعنى التصديق – وهذا ما ذهب إليه أغلب أهل العلم – فإنّ للتصديق مظاهر مختلفة ويقع في احتمالات أربعة ذكرها بعض العلماء : " الإيمان هو الإقرار باللسان فقط أي أنّه ممكن الاقرار في قلبهِ بالكفر ، أو أنّ الإيمان يعني التصديق القلبيّ وإن كان ظاهر الكفر بلسانهِ ، وقيل : إنّ الإيمان هو التصديق بالقلب مع التصديق باللسان ، أمّا العمل فهو يكون من ثمرات ذلك وهو خارج صميم الإيمان ، وهذا الكلام ينسب لمشاهير علماء الكلام والفقهاء، والاحتمال الرابع الإيمان يعني التصديق بالقلب واللسان والعمل بالجوارح [١].

وجاء عن المرتضى (ت ٤٣٦هـ) : الإيمان هو التصديق القلبيّ ولا اعتبار بما يجري على اللسان ، فمن كان عارفًا بالله عزّ وجلّ وبكلّ ما أوجب معرفته ، والإقرار بذلك والتصديق به فهو مؤمن [٢].

وقد فسر الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ) بأنّ أصل الإيمان هو المعرفة بالله تعالى ونبيّهِ وبكلّ ما جاء بهِ الأنبياء والرسل وكلّ عارف بشيء فهو مصدق بذلك الشيء [٣].

---

(١) ظ : جعفر السبحانيّ / الإيمان والكفر في الكتاب والسنّة ، ١٢ .

(٢) ظ : الشريف المرتضى / الذخيرة في علم الكلام ، ٥٣٦–٥٣٧ .

(٣) ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ١/ ٤٩ .

ويرى العلّامة نصير الدين الطوسيّ (ت ٦٧٢هـ) في كتابهِ التجريد أنّ حقيقة الإيمان تشمل التصديق القلبيّ والإقرار باللسان ولا يكفي التصديق القلبيّ وحده ولا الإقرار باللسان فقط فيجب حصولهما ليتحقق الإيمان ، وقد شرح العلّامة الحليّ (ت٧٢٦هـ) كلام العلّامة الطوسيّ بقوله: " اختلف الناس في الإيمان على وجوه كثيرة ... أمّا التصديق القلبيّ فإنّه غير كافٍ لقوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ﴾ النمل: ١٤ ، وأمّا الإقرار باللسان فإنّه غير كافٍ أيضًا لقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾الحجرات: ١٤ ، ولا شكّ في أنّ اولئك الأعراب صدقوا بألسنتهم [١] .

وقال ابن ميثم (ت ٦٩٩هـ) : " الإيمان يعني التصديق القلبيّ بالله سبحانه ، وبما جاء عن رسوله من الأقوال والأفعال اللسانية سبب ظهوره وسائر الطاعات ثمرات مؤكدة له " [٢] .

وبيّن عضد الدين الإيجيّ (ت٧٥٦هـ) أنّ الإيمان هو التصديق بالرسول فيما علم مجيئه به ضرورة ، فتفصيلًا فيما علم تفصيلًا ، وإجمالًا فيما علم إجمالًا [٣] .

وعن التفتازانيّ (ت ٧٩٢هـ) : اسم التصديق عند الأكثرين أي تصديق النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما علم مجيئهِ به بالضرورة [٤] .

---

(١) ظ : نصير الدين الطوسيّ / كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، ٤٥٤ .

(٢) ميثم بن علي البحرانيّ / قواعد المرام في علم الكلام ، ١٧٠ .

(٣) ظ : جعفر السبحانيّ / الإيمان والكفر في الكتاب والسنّة ، ١٠ .

(٤) ظ : المصدر نفسه ، ١٠

فالإيمان يعني التصديق وقيل أنّ التصديق يعني القبول والإذعان بالقلب وهو قبول الخبر وهو عام أكثر من كونه تصديق بالجنان واللسان ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ ﴾ الحجرات: ١٤، أي أخبروا عن أنفسهم أنّهم آمنوا ولم يكن إيمانهم إلّا بلسانهم...[١].

ويرى صدر الدين الشيرازي(صدر المتألهين) إنّ الإيمان الحقيقي ليس مجرد القول بالشهادتين بل عبارة عن اعتقادات مخصوصة يقينية وعلوم حقّة برهانية أو كشفية وقد ثبت أنّ العلم الحاصل للنفس بالبرهان لا يمكن أن يزول عنها فكلّ من تحلّت نفسه بالإيمان بالله تعالى والإيمان باليوم الآخر والملائكة والكتب والرسل والشهداء فلا يمكن زوال إيمانه على التحقيق[٢] .

وأمّا العلّامة محمد حسين الطباطبائيّ فقوله " مجرد العلم بالشيء والجزم بكونه حقًّا لا يكفي في حصول الإيمان واتصاف من حصل له بهِ بل لابد من الالتزام بمقتضاه وعقد القلب على مؤداه بحيث يترتب عليه آثاره العملية ولو في الجملة ، فالذي حصل له العلم بأنّ الله تعالى إله لا إله غيره فالتزم بمقتضاه وهو عبوديته وعبادته وحده كان مؤمنًا ولو علم بهِ ولم يلتزم فلم يأتِ بشيء من الأعمال المظهرة للعبودية كان عالمًا وليس بمؤمن " [٣].

كما قيل أنّ الإيمان الشرعيّ : هو التصديق بالقلب والعمل وبالأركان الإيمانيّة، وقيل: الإيمان قول وعمل وعقيدة ، وقيل الإيمان قول وعمل ولا عمل إلّا بالنيّة [٤] .

---

(١) ظ : الشهيد الثاني / حقائق الإيمان ، ٥٠ .

(٢) ظ : صدر الدين الشيرازيّ / تفسير القرآن الكريم ، ٣/ ٧٤ .

(٣) الميزان ، ١٨ / ٢٦٣ .

(٤) ظ : محمد عبد الله الوهيبيّ / نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف ، ٣٥-٣٦.

واصطلاح الإيمان قد يراد بهِ معنيان (خاصٌّ وعامٌّ) فالخاصّ منه هو (التصديق القلبيّ)، والعامّ منه يراد بهِ (الدين والإسلام) [1] .

بلحاظ ما ورد بالتعريف الاصطلاحيّ للإيمان نجد أنّ هناك تقارب مع ما ورد في معناه اللغوي فالعلماء عند تعريفهم للإيمان اصطلاحًا قد ذهبوا بالقول أنّه التصديق ، وهو بنفس معناه اللغوي وقال بعضهم أنّه المعرفة بالله تعالى وكلّ ما جاء بهِ رسول الله وبكلّ ما جاء بهِ من عند الله أي بكلّ أحكام الشريعة.

على الرغم من تعدد التعريفات من قبل العلماء إلّا أنّ بعضًا منها لا يمكن عدّها تعريفًا، فالتعريف بطبيعته لا بد أن يكون (جامعًا مانعًا) وإنّ أغلب تلك التعريفات إنّما هي توصيفات للإيمان .

ويبدو لي أنّ تعريف العلّامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) هو أقرب إلى مفهوم الإيمان كون الإيمان ليس العلم بحصول الشيء والجزم بأنّه حقٌّ فقط إنّما يجب الالتزام بهِ من خلال التطبيق العمليّ له وعقد القلب على ما يؤديه .

بعد تعريف المستوى في اللغة والاصطلاح وبيان مفهوم الإيمان في اللغة والاصطلاح يتبلور مفهوم المستوى الإيمانيّ بوصفه مركبًا وصفيًّا فيمكن القول أنّه : المكانة أو الدرجة التي يكون عليها الفرد المؤمن بالتصديق القلبيّ والاقرار للخالق عزّ وجلّ وبكلّ ما أنزله وإتباع كلّ ما أمر بهِ وتجنب ما نهى عنه ، ويمكن الوصول إلى تلك المكانة من عدّة أمور منها العمل الصالح والتقوى وتطبيق أحكام الشريعة المقدسة .

---

(١) ظ : رسول جعفريان / الإيمان والإسلام في كلام أهل البيت (عليهم السلام) ومتكلمي الشيعة ، ١٠، [بحث منشور] .

٣ – مفهوم الإيمان في الاستعمال القرآنيّ :

يعني بهِ بيان مفهوم الإيمان من خلال الألفاظ الواردة في القرآن الكريم بحسب السياق الذي وردت فيه تلك الألفاظ والكشف عن معانيها .

يعدّ مفهوم الإيمان وما يقابله وهو مفهوم الكفر من المفاهيم الأساسية التي بني عليها هيكل المفاهيم الدينيّة ، فالإيمان هو الأساس الذي تنشأ عليه الحياة الدينيّة وهو منشأ للفضائل الخلقية فيه ، أمّا الكفر فهو أساس الرذيلة الأخلاقية ، كما أنّ السعادة الخالدة من منظور الفكر الإسلامي يكون بالإيمان والعمل الصالح والخلاص من الخسران والضياع وهذا ما ترجمته سورة العصر المباركة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ العصر: ٢– ٣ [١] .

ومن بين ما ذكره العلماء حول مفهوم الإيمان في الاستعمال القرآني أنّه يدور على قطبين :

الأوّل : التصديق فقد جاء في سورة إبراهيم (عليه السلام) بكلام الله تعالى على لسان نبيّه إبراهيم (عليه السلام) عندما أراد أن يريه كيفية إحياء الموتى فقال : ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ ؟ ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ البقرة: ٢٦٠.

وقول أخوة يوسف لأبيهم (عليه السلام)عندما جاءوا إليه عشاءً يبكون وقد أتوا بقميص يوسف (عليه السلام) ملطخًا بالدم ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ يوسف: ١٧ ، وفي الآيتين معنى مؤمن هو مصدق ، وكذلك قول فرعون عندما أدرك هلاكه وأتاه الغرق وأيقن موته فقال :

---

(١)ظ : نعمة الله بدخشان ، محمد مزيدي ، سعيد رحيميان / الإيمان والمعرفة الفلسفية جدلية العلاقة المتبادلة ، ترجمة : علي ظاهر ، ٢ ، [بحث منشور] .

﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يونس: ٩٠ ، وهذا ورد بمعنى التصديق أيضًا .

والقطب الآخر : هو العمل والالتزام بالعمل ، ومعناه عمل الإيمان وهو ما يقوم بهِ المرء من أعمال إيمانية تثبت أنّه مؤمن كقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾البقرة: ١٤٣[1].

ولرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث يبين أنّ الإيمان هو العمل فيقول : " الإيمان بضع وستون شُعبة أعلاها قول لا إله إلّا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق " [2] ، ففي الحديث شريف دلالة على تسمية تلك الأعمال إيمانًا ، وممّا أورده المعنيان مع بعضهما أي التصديق والعمل ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ الحجرات: ١٥ [3].

---

(١)ظ : عبد الرحمن عبد الخالق / الحدّ الفاصل بين الإيمان والكفر ، ٨- ٩ .

(٢) ابن ماجه /سنن ابن ماجه ، ١ / ٣٩ .

(٣)ظ : عبد الرحمن عبد الخالق / الحدّ الفاصل بين الإيمان والكفر ، ١٠ .

وإنّ كمال المرء يكمن في إيمانهِ وبهِ ترتفع درجاته في الدارينِ ، كما إنّ الإيمان هو الطريق والسبب لكلّ خيرٍ يصيبه سواء أكان الخير آجلًا أم عاجلًا ، فالله جعل لكل مطلوبٍ شيئًا يوصِّل إليه والإيمان أعظم تلك المطالب وأهمها ... [1] .

وذكر بعض أهل العلمِ أنّ الإيمان قد فُسِرَ على أربعة وجوه حسب دلالته القرآنيَّة:

الأوّل : الإيمان هو الإقرار باللسان من غير التصديق كما ورد في وصف إيمان المنافقين في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ المنافقون: ٣ .

الثاني : الإيمان التصديق سرًّا وعلانيةً كما ورد في قوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ البينة: ٧ .

الثالث : والإيمان فيه يعني التوحيد وهو ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ المائدة: ٥ .

الرابع : الإيمان بقبال الشرك وقد ورد ذلك في قولهِ تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ [2] .

أمّا الإيمان في ضوء النصوص الشرعيّة فقد ورد الإيمان ومشتقاته في القرآن الكريم لأكثر من ثمانمائة مرة وورد في السنّة النبويّة المطهرة بأضعاف ذلك أمّا تفسير تلك الألفاظ الواردة في الكتاب والسنّة من خلال النصوص الشرعيّة فإنّه يرجع بالاعتماد على الاصطلاح

---

(١) ظ : عبد الرحمن السعديّ / التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ٤٥ .

(٢) ظ : يحيى بن سلام / التصاريف تفسير القرآن ممّا اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه ، ١٧٣-١٧٥ .

الشرعيّ فيها ، فإذا تعذر البيان من الاصطلاح فيكون الرجوع إلى اللغة في بيان معناه ، فإن لم يجده في اللغة يرجع للعرف السائد ، والألفاظ التي بيّنتها السنّة النبويّة الشريفة يكون الاكتفاء ببيانها من السنّة فلا حاجة للّغة أو غيرها لبيانها كون السنّة النبويّة قد تكفلت بتفسيرها وبيان معناها وتوضيح ما خُفي منها كما أنّ تكرار لفظة الإيمان كثيرًا في القرآن الكريم لعله راجع لأهميته وأنّه أصل هام في الدين والنور الذي يُخرج الناس من الظلمات فالإسلام قائم بذاته على الإيمان كون أصل ما جاء بهِ الدين الإسلاميّ هو تحقيق الإيمان لدى الخلق والمعرفة بالله تعالى هي جزء من الإيمان ، كما أنّ أعمال العباد قائمة على الإيمان(١).

أمّا إطلاق معنى الإيمان من خلال الآيات القرآنية الكريمة فهو راجع لثلاثة موارد :

الأوّل : الإطلاق بحسب الظاهر أي شمول الجميع في الخطاب المؤمن منهم والمنافق منها:

قوله تعالى : ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾ النساء: ٩٢، فالحكم هنا ورد على الظاهر وهو متعلق بالأمور الدنيوية وهي الحدود .

الثاني : الإطلاق على المؤمن إيمانًا مطلقًا فيدخل فيه المؤمن والفاسق في الخطاب نفسه ، من ذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ البقرة:١٧٢ فهنا خطاب شامل لكلّ الناس لكن بصيغة الذين آمنوا .

(١) ظ : سعد بن ناصر الشثريّ / حقيقة الإيمان وبدع الإرجاء في القديم والحديث ، ٧ .

الثالث : استعمل اللفظ ليكون خاصًا بالمؤمنين دون غيرهم ، فلا يدخل غير المؤمنين في ذلك الخطاب ، والأمثلة كثيرة ومستفيضة في هذا الشأن منها قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ التوبة: ٧٢

وفي قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) " لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحب لنفسهِ"[١]،[٢] .

وفي مسألة هل العمل داخل ضمن الإيمان فقد ذهب بعضهم أنّ العمل خارج عن الإيمان وذكروا بعض الشواهد من القرآن الكريم التي تثبت زعمهم منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة: ٢٧٧ ، إنّ العطف الموجود في الآية الكريمة يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ، فلو أنّ العمل ضمن الإيمان للّزم التكرار ، وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ طه : ١١٢ ، فجملة [وهو مؤمن] حال وهذا يقتضي المغايرة أيضًا ، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) سئل عن العبد المؤمن فقال : " يشهد أنّ لا إله إلّا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله ويقرّ بالطاعة ويعرف إمام زمانهِ فإذا فعل ذلك فهو مؤمن [٣]

---

(١) البخاري / صحيح البخاري ، ١/ ١٢ ، باب الإيمان .

(٢) ظ : سعد بن ناصر الشثريّ / حقيقة الإيمان وبدع الإرجاء في القديم والحديث ، ٧-٨ .

(٣) الصدوق / معاني الأخبار ، ٣٩٣ .

ويرى كمال الحيدريّ أنّ بعض العلماء –كما يقول هو – العمل خارج نطاق الإيمان[١] .

وفي مسألة التفريق بين الإسلام والإيمان فقد جاء عن أبي بصير عن أبي جعفر(عليه السلام) قال : " سمعته يقول: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾الحجرات: ١٤ ، فمَن زعم أنّهم آمنوا فقد كذب ومن زعم أنّهم لم يسلموا فقد كذب " [٢] .

من خلال الرواية الواردة آنفًا والشاهد القرآني الذي ورد فيها يتبيّن الفرق بين الإيمان والإسلام فالإيمان هو إقرار باللسان والعقد والتصديق القلبيّ ويكون إقراره بالعمل أيضًا فيتحدد مستوى إيمان العبد من خلال الإقرار بالجوارح والتصديق القلبيّ ، كما إنّ كلّ مؤمن يصح إطلاق صفتي الإيمان والإسلام عليه ولا تطلق صفة الإيمان على كلّ مسلم .

أمّا تحصيل الإيمان عند الإنسان فهو يعود لمعرفته وإدراكه بما يدور حوله من الأمور لذلك فإنّ الدين الإسلاميّ يعتقد أنّ بذور الإيمان ومعرفة الله عزّ وجلّ تعطي ثمارها في أرض العقل والمعرفة الأفضل لقولهِ تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ فاطر: ٢٨، لذا نجد أنّ الإسلام قد رفع من مكانة العقل وجعلها سامية عالية [٣].

---

(١) ظ : كمال الحيدريّ / الإيمان حقيقته درجاته آثاره ، ١٢٦ – ١٢٧ .

(٢) الكلينيّ / الكافي، ٢ / ٢٥ .

(٣) ظ : علي رضا شجاعي / العقل والإيمان في التعاليم الإسلامية ، ترجمة : حيدر حبّ الله ، ١١ ، [بحث منشور] .

الفصل الأوّل : الإيمان المقترن بالأوامر والنواهي

المبحث الأوّل : الإيمان المقترن بالأوامر .

المبحث الثاني : الإيمان المقترن بالنواهي .

توطئة :

من المسائل المهمة التي أخذت مساحة كبيرة في النصوص القرآنيّة خاصة تلك الخطابات المتعلقة بالمؤمنين في الأوامر والنواهي فقد شغلت حيّزًا واسعًا من القرآن الكريم وفي جميع الأحكام المتعلقة بالمسلم سواء بالعقائد أو الأحكام العباديّة أو المعاملات إلى الحدود والدّيات وكذا الحال بالنسبة للأخلاقية منها ولعل السبب يرجع في ذلك لأهمية تلك المسائل في بناء الشخصية المسلمة على العموم والشخصية المؤمنة على وجه الخصوص فكان موضوع تلك الخطابات متعلقًا بتعليم الأحكام وبيان ما أبهم منها والتذكير والإرشاد والتقويم والوصايا والأعمال الصالحة أو الوعد والوعيد أو تحذير .

وفي هذا الفصل تم بيان من تلك الأوامر والنواهي عن طريق ذكر الآيات الكريمة المشتملة على تلك الأوامر أو النواهي وبيان مفهومها وعلاقتها بإيمان الفرد عن طريق تطبيقها وإظهار المستويات الإيمانيّة من خلال استقراء الآيات الكريمة وما ورد في أقوال المفسرين حول بيان تلك الآيات ، واشتملت على مسائل متعلقة بالإيمان بالله تعالى والتصديق بهِ والإيمان بنبيّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعض المسائل المتعلقة بالعقائد وكذلك المسائل المتعلقة ببعض الأحكام العبادية والمعاملات وحكم القصاص ، وكل ذلك يأتي في بيان المستويات الإيمانية للمؤمن المتعلقة بالأوامر والنواهي وإظهار مستوى الإيمان عند الفرد المؤمن ، ويمكن القول أنّ تلك المسائل تعدّ مرحلة الإعداد والتدريب ورسم المسار للعبد في دخول الإيمان إلى قلبه وتعويد نفسه على تطبيق أسس الإيمان بالامتثال لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه فهو الباب الذي من خلاله يصل لمراحل من مستويات الإيمان المتقدمة التي يجب أن يصل إليها العبد

ليحصل على الكمال الإيمانيّ ويكسب الدرجة الرفيعة بقربهِ من الله سبحانه لذا كان لابد من بيان تلك الأوامر والنواهي لبيان أهميتها في تحديد المستوى الإيماني للفرد وإظهار الصورة التي تعكس مدى التزامه بما أنزله تعالى من تعاليم وأحكام وبيان السبب الذي من أجله خلق الإنسان ووجد على هذه الأرض فقد قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦ .

المبحث الأوّل : الإيمان المقترن بالأوامر .

عند تتبع الآيات القرآنية الواردة في باب الأوامر نجد أنّ كثيرًا من تلك الآيات قد بدأت بخطاب الذين آمنوا ولعل السبب يرجع إلى ذلك هو الجانب الإيجابي في اختيار نوع الخطاب الموجه للعباد فإذا رجعنا إلى سياق الآيات القرآنيّة الكريمة الواردة في ذلك نرى أنّ الخطاب وإن كان خاصًّا للذين آمنوا إلّا أنّه يشمل بقية الناس وهم ليسوا مستثنين من ذلك الخطاب ، والشواهد كثيرة في هذا الجانب كالخطاب الموجه للقيام بالفرائض أو في غيرها كالأمر بالصلاة أو إيتاء الزكاة فهل أنّ غير المؤمنين لا يشملهم الخطاب فالكلّ واجب عليهم تطبيق تلك الأحكام والعمل بها ، وكذا الحال في بقية الاحكام كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ الطلاق: ١، هنا الخطاب للنبيّ ويراد بهِ سائر من يملك الطلاق .

وقد ثبت في علم المعاني أنّ المتكلم عندما يصف مجموعة بوصفٍ خاصّ فإنّ له بذلك غرض خاصّ وهذا ما يمكن التماسه في الخطابات القرآنية بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وفي الكثير من الآيات الكريمة فقد خاطب الله تعالى المؤمنين بصفة الإيمان والغرض من هذا الخطاب هو التنبيه إلى أنّ إيمانكم يقتضي الرضوخ لهذهِ الأوامر ، فخطاب الله سبحانه باسم الإيمان هذا يعني للإيمان لوازم وهذا النوع من البيان هو وصف للإيمان والمؤمنين [1] .

(١)ظ : حامد حسينيان ، علي الحسنيّ / حقيقة الإيمان في القرآن الكريم ، ١٣ ، [بحث منشور] .

١ – قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩

النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانيّة التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالأوامر وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وهو إيمان ، ثمّ قرَنَهُ مباشرةً بأمرٍ وهو قوله : ﴿ أَطِيعُواْ .... ﴾ .

أقوال المفسرين في بيان الآية :

وقيل طاعة أمر الله تعالى بطاعة رسوله في حياته وإتباع سنّته بعد وفاته ففي طاعة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) طاعة لله سبحانه وتنفيذ أمره، وإتباع الكتاب والسنّة، وقيل أولي الأمر هم أهل العلم [١] .

خطاب الله للمؤمنين يأمرهم فيه بإطاعته وإطاعة رسوله ، فالطاعة هي امتثال لأوامر الله والانتهاء عن نواهيه ، وإطاعة رسوله تعدّ امتثال أوامره فطاعة الرسول من طاعة الله تعالى ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ أمر الناس بطاعة رسوله ، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله سبحانه .. وطاعة النبيّ واجب على العباد في حياته وبعد وفاته ؛ لأنّه يلزمه بإتباع سنّته ، لأنّها دعوة لكل المكلفين وهذه الدعوة قائمة ليوم القيامة ، فهو رسول الله تعالى للناس جميعًا [٢] .

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٧ / ١٧٤ – ١٧٥ .

(٢)ظ الطوسيّ /التبيان في تفسير القرآن ، ٣/ ٢٣٥ –٢٣٦ .

تُلزم الآية بالطاعة لله تعالى في جميع أوامره ونواهيه وإطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقيل طاعة الله في الفرائض وطاعة النبيّ في السُنن ، أمّا أولي الأمر التي عنت الآية فهي ما ورد عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام : هم الأئمة المعصومون من آل محمد عليهم السلام فقد أوجب الله تعالى الطاعة المطلقة لهم كما هي طاعته وطاعة رسوله... [١] .

ويرى السيوطيّ أنّ طاعة الرسول وإتِّباع كتاب الله وسنّة رسوله ، وأولي العلم أولي الفقه والعلم[٢].

أمر الله تعالى المؤمنين بطاعة الرسول وتشمل تلك الطاعة احترام العدل المشرع لهم وتنفيذ ما فيه من أحكام ، والأمر بطاعة الله ورسوله الواردة في الآية تعني طاعة الشريعة المقدسة كونها منزلة من الله والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المُبَلِغ والحاكم بها فجعل طاعة الرسول فوق طاعة أولي الأمر فأولاها الاهتمام والمرتبة الأعلى لإظهار الاهتمام بها [٣] .

أمر الله تعالى رعيته بالطاعة له سبحانه أولًا من خلال الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعده من خلال ما جاء بهِ من أوامر ونواهٍ وبعدها طاعة ولاة الأمر بما فيها من طاعة الله لا بمعصيته ومخالفة أوامره وهم أهل القرآن والعلم من فقهاء وعلماء في الدين ومن هم أهل العقل والرأي الذين يصار لهم أمر الخلق [٤].

---

(١)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٣ / ٩٥-٩٦ .

(٢)ظ : السيوطيّ / الدر المنثور ، ٤ / ٥٠٢ .

(٣)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٥/ ٩٦ .

(٤)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٣ / ١٣٥ .

في الآية بيان من الله تعالى إلى المسلمين بأن يدخلوا النظام في المجتمع الإسلامي من خلال النظرية والتطبيق معًا فيجعل لهم قاعدة عامة في حياتهم هي طاعة الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأولي الأمر وتكون قاعدة ثابتة ترتكز عليها حياتهم في جميع المجالات فأساس الإيمان للعبد يتمثل بطاعته لخالقهِ عزّ وجلّ وعبوديته له في كلِّ ما يقوم بهِ من أقوال وأفعال وأفكار ويسير وفق ما يأمره الله تعالى ومن ينهاه عنه ودعوته لطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال ما وضعه لهم والعمل حسب ما خططه من أمور تخصّ الأمة من خلال سنّته الشريفة من قول وفعل وتقرير والتي وضعها وفق المفهوم القرآنيّ فلا يمكن قراءة القرآن بتعمق دون الرجوع إلى سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفهم المجمل والمبهم والمخصص والمطلق والمقيّد والذي أوكل الله تعالى إلى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) مهمة ذلك وهو كونه الحاكم للدولة مع الرسالة السماوية فكان منهجه لقيادة الأمة على خطين خط الرسالة وخط القيادة فكان لابد من التأكيد على طاعة الرسول بجانب طاعة الله عزّ وجلّ حتى لا يستقل الناس في قضايا التطبيق والتخطيط ... واختلف الناس من هم أولي الأمر فقال فريق إنّهم العلماء وقيل هم الصحابة وذهبت الشيعة الإمامية إنّهم الأئمة المعصومون لما ورد من دلائل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ولايتهم ودلّت آية التطهير على عصمتهم[1].

الأمر الوارد في الآية الكريمة إتِّباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وطاعته كونه معصوم لا ينطق عن هواه ولا ينطق من نفسه بل هو وحي يوحى إليه من عند الله تعالى ، وهو خليفة الله في أرضهِ والحاكم على الناس بأمر ربِّهِ ، فكلامه كلام الله عزّ وجلّ ، والمقام الذي

(١) ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٧ / ٣٢١-٣٢٢-٣٢٤ .

هو عليه إنّما هو من عند الله ، لذلك فإنّ إطاعته وإتّباعهِ أمر من عند الواحد القهار ، أي أنّ الله واجب الإطاعة بالذات والنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) واجب الإطاعة بالعرض ،

ولعل ذلك ما أُشير إليه من خلال سياق الآية الكريمة بتكرار " أطيعوا " لبيان الفرق بين إطاعة الله وإطاعة النبيّ [1] .

في الآية الكريمة خطاب إلى المؤمنين بصيغة الأمر الجازم بأنّ طاعة الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأولي الأمر واجبة يجب تطبيقها كما أنّ إيمان العبد متعلق بتلك الطاعة فمن لم يطع الله ورسوله وأولي الأمر المعنيين في الآية الكريمة فلا إيمان له وليس بمؤمنٍ ومن هنا يظهر مستوى إيماني وهو الإيمان المقترن بالأمر كما أنّ تطبيق هذا الأمر هو ما يحدد درجة الإيمان للعبد فالأمر الوارد في الآية في باب العقائد متعلق بالتوحيد والنبوة والإمامة ؛ لأنّ طاعة الله تحدد من خلال الإيمان بالوحدانية لهُ سبحانه وإطاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) متعلق بالنبوة وإطاعة أولي الأمر متعلق بالإمامة والتوحيد والنبوة والإمامة من أصول الدين فمن لم يؤمن بها ويسير وفق شرائطها فليس بمؤمن .

٢ – قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾

التحريم: ٦

(١)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / تفسير الأمثل ، ٣/ ١٧٤.

الآية الكريمة تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانيّة وهو الإيمان المقترن بالأمر، فالإيمان في قولهِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، ثمّ قرنه مباشرةً بالأمر في قوله : ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ .

وفيما يأتي بعض أقوال المفسرين في بيان معنى الآية :

أي علّموا أهليكم على طاعة الله من العمل الصالح وتجنب المعاصي الذي يقونَ بهِ وينجيهم من نار جهنم والعمل بتقوى الله تعالى [١] .

الخطاب من الله تعالى إلى المؤمنين الذين أقروا بتوحيد الله وصدقوا بهِ وأخلصوا بالعبادة لله وحده وأقروا بنبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويأمرهم أن يمنعوا أنفسهم وأهلهم من خلال عمل الطاعات ويدعون أهلهم للمداومة على العمل الصالح والحثّ على فعله وهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يبدأ بهِ العبد من أقرب الناس إليه أهله ، فهو الأمر بطاعة الله تعالى والنهي عن معصيته[٢].

أي اجعلوا وقاية بين أنفسكم وبين نار جهنم والتوصية لأهليكم وتقويمهم ودوامهم على طاعة الله عزّ وجلّ في عباداتهم وأعمالهم [٣] .

أمر من الله تعالى إلى المؤمنين بتأديب نسائهم وأن يحفظوا ويحرسوا ويمنعوا أنفسهم وأهليهم من النار من خلال الصبر والطاعة وتعليم الفرائض وتجنب المعاصي وعدم إتّباع شهواتهم

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٢٣/ ١٠٣ -١٠٤ .

(٢)ظ: الطوسيّ / التبيان ، ١٠ / ٥٠ .

(٣)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٥/ ٣٣٣ .

ونهيهم عن القبح والرذائل والحثّ على عمل الخير وتأديب النفس والأهل وتجنب الشر [١] .

أي أن يقي العبد نفسه وأهله من النار من خلال الدعاء والذكر لله تعالى حتى يقيهم من النار، فالإنسان عليه بإصلاح نفسه وأهله كما يصلح الراعي رعيته ، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيتهِ ... والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، وأن يأمرهم وينهاهم ويعلمهم الحرام والحلال وتجنب المعاصي والآثام وتعليم الأحكام والصلاة والصوم وبقية الواجبات [٢] .

الالتزام بأوامر الله وتجنب نواهيه هي وقاية من النار ، فتعليم العبد لأهله وتأديبهم والأعمال الصالحة وفق ما أمره الله هي وقاية من النار في الآخرة [٣] .

بعد الموعظة لنساء النبيّ جاء التنبيه للمؤمنين أن لا تأخذهم الغفلة عن موعظة أنفسهم وموعظة أهليهم وتقديم النصح لهم ، كما أنّ الخطاب فيه التحذير بالوقاية من نار جهنم فالموعظة هي سبب بأن يتجنب العبد العذاب [٤] .

أي إنّ المؤمن إذا كان يشعر بمسؤوليته تجاه أهله وأولاده أمام الله تعالى والمسؤولية بكلّ ما يقول ويفعل والخوف من غضب الله وعذابه فإنّ من واجبه أن يعلمهم الأدب وإصلاحهم وتقويم سلوكهم وأن يعمل لسعادتهم في الحياة الآخرة أكثر ما يسعى على مستقبلهم في الحياة الدنيا فواجبه أن يؤمنهم في آخرتهم ودنياهم [٥] .

---

(١)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ١٠ / ٤٦ –٤٧ .

(٢)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ١٨ / ١٩٤–١٩٥ .

(٣)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ٥ / ٣٣٧ .

(٤)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٢٨ / ٣٦٥ .

(٥)ظ : محمد جواد مغنية /التفسير الكاشف ، ٧ / ٣٦٥–٣٦٦ .

توصي الآية المؤمنين الذين صدقوا بالله تعالى وبرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يؤدبوا أنفسهم ويعلموها ويتخذوا لها الوقاية من النار والمحافظة عليهما من خلال الالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه وأن يعلموا أهليهم ويأمروهم بطاعة الله وتجنب المعاصي وتقديم النصح لهم فإن صَدَرَ منهم معصية نهيتهم عنها وزجرتهم فيساعدهم بذلك عن فعل تلك المعصية وحثهم لعمل المعروف [١] .

هو نداء للمؤمنين يأمرهم بتجنب الآثار السيئة والانحرافات فحملهم مسؤولية أنفسهم وأهليهم بالابتعاد بكلّ الوسائل عن عذاب النار وقد خاطبتهم الآية من موقع الإيمان الذي يثيرهم بالاستعداد ليوم القيامة والذي سوف يواجهون المسؤولية أمام الله عن أنفسهم وعن أهليهم وأنّهم كان باستطاعتهم تجنب العذاب بنار جهنم في الآخرة [٢] .

خطاب الآية عام لكلّ المؤمنين فهي تبيّن لهم المنهج القويم والتربية الصالحة للزوجات والأولاد والأسرة على وجع العموم ، فهي تأمرهم بحفظ النفس من الذنوب والآثام وعدم الاستسلام للأهواء والشهوات والحفظ من الانحراف بالتربية والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتهيئة البيئة الصالحة والمحيط الطاهر من الرذائل والموبقات ويكون ذلك منذ بداية تكوين الأسرة حتى النهاية ، ويكون ذلك بعدم التقصير معهم بما يؤثر في تنشئتهم النفسية وتطبيعهم على الأخلاق الحميدة والصحيحة وفق التعاليم الإسلامية الأصيلة [٣] .

في الآية الكريمة أمر الله تعالى لعباده المؤمنين بأن يقوا أنفسهم وأهليهم عذاب الآخرة والذي عبّر عنه بالنار ويقصد بها نار جهنم التي أعدّها الله تعالى للذين لا يؤمنون بهِ ويكفرون

---

(١)ظ: وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١٤ / ٧٠٤ .

(٢)ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٢٢ / ٣١٦ .

(٣)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ١٤ / ٢٨٩ .

بآياته ، وهذا الخطاب أمر من باب التوجيه والنصح والوعظ بأن لا تصيبهم الغفلة عن إتّباع الشريعة الإلهية والتعاليم الصادرة عنها وتحمل المؤمن مسؤولية ذلك بما يخصّ بيته وما فيه من الزوجة والأولاد فتوجب عليه تقديم النصح والارشاد لهم وتعليمهم وبيان ما جهلوا عنه وخاصة في مسألة الأولاد كونه المسؤول الأوّل على تربيتهم وتعليمهم لذا ففي الآية تذكير لتجنب الوقوع في الخطأ وتذكر بعواقب ذلك الخطأ ، وبالرجوع للآية الكريمة يظهر مستوى إيماني وهو الإيمان المقترن بالأمر وهو أمر صريح فمن لم يطبق ذلك الأمر فلا يصح إيمانه كونه قد أخلّ بجانب مهم من الإيمان وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يعدّ علامة مميزة من علامات المؤمن الحقيقي الذي يكتمل بهِ إيمان المرء.

٣- قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ المائدة: ٦

الآية الكريمة تضمنت مستوى إيماني هو الإيمان المقترن بالأمر ، فالإيمان في قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ، والأمر في قوله : ﴿ فَٱغْسِلُواْ ... وَٱمْسَحُواْ ... فَٱطَّهَّرُواْ ... فَتَيَمَّمُواْ .... فَٱمْسَحُواْ ﴾ ، وهذه الأوامر خاصّة بأحكامٍ ثلاثة (الوضوء والغسل

والتيمم) فالغسل والمسح خاصّ بالوضوء ، والتطهر خاصّ بالغسل ، والتيمم والمسح خاصّ بالتطهر عند تعذر وجود الماء .

أ– الوضوء :

مفهوم الوضوء وفق الفقه الإسلامي : " عبادة خاصة متوقفة على النية ، أخترعها الشارع وجعلها شطرًا من الدين وجزءًا من العبادات " [١] .

وجوب الوضوء :

أوجب القرآن الكريم الوضوء كشرطٍ في صحة الصلاة ، وهناك دليل قرآني فالدليل القرآني ما ورد في الآية آنفة الذكر ويؤكد ذلك ما ورد في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " إنّما أمرت بالوضوء إذا قمتُ إلى الصلاة " [٢] ، وعن الإمام الباقر (عليه السلام): " لا صلاة إلّا بطهورٍ "[٣] .

ب– الغُسْل :

مفهوم الغسل : ويقصد به " إمرار الماء على الشيء لإزالة ما عليه من الوسخ وغيره، وتنظيفه منه واطلاقه من دون تحديد بأمر يقتضي الأخذ بما يجري عليه العرف في الغسل بالماء " [٤] .

---

(١) المشكينيّ /مصطلحات الفقه ، ٥٥٧ .

(٢) أحمد بن حنبل /مسند أحمد ، ٤ / ٣٣٥.

(٣) الصدوق /من لا يحضره الفقيه ، ١ / ٤٧ .

(٤) عبد الأعلى السبزواريّ / مواهب الرحمن ، ١١ / ٩ .

ت- التيمم :

هو" إحدى الطهارات الثلاث المجعولة ، مقدمة لغاياتٍ معينة ، وهي طهارة ترابية واقعة في المرتبة المتأخرة عن الطهارة المائية " [١] .

وعرّف بأنّه : " القصد إلى الصعيد لمسح الوجه واليدين بنية استباحة الصلاة ، وهو طهارة ترابية ضرورية بأفعال مخصوصة تستعمل عند العجز عن استعمال الماء أو عند عدم الماء"[٢].

الأوامر الواردة بدءًا بغسل الوجه إلى غسل اليدين ثمّ مسح الرأس والمسح أو الغسل للرجلين على خلاف ذلك وفقًا للمذاهب الإسلامية ﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾.

الأمر بغسل عند الجنابة ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ ﴾ .

الأمر بالتيمم إذا تعذر وجود الماء ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ ﴾ [٣] .

---

(١) المشكينيّ /مصطلحات الفقه ، ١٧٥ .

(٢) عبد الله عيسى الغديريّ / القاموس الجامع للمصطلحات الفقهية ، ٩٤ .

(٣) شبكة الألوكة : من تفسير السعدي / إحدى وخمسون فائدة من آية واحدة ، ١٤٤٢هـ ، ٢ – ٤ .

يُلتمس من الآية مستوى من المستويات الإيمانيّة التي حدّدها القرآن الكريم هو الإيمان المقترن بالأمر فشرط الإيمان يعتمد على تأدية الفرائض وتأدية الفرائض معتمدة على تطبيق تلك الطهارات والتحقق من صحّتها فلا يمكن أداء الصلاة دون وضوء ولا صحة لوضوء إذا كان البدن غير طاهر فهنا توجب الغُسل فإن تعذر الماء فاللجوء إلى التيمم وكذا بعض الفرائض كالصوم والحجّ فشرطهما الطهارة فيظهر مستوى إيمان العبد من خلال تطبيقه لأوامر الله تعالى .

٤ – قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ المائدة : ٩٠

النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالأوامر وممّا يبيّن ذلك قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وهو إيمان ثمّ قُرِنَ بأمر هو ﴿ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾ والاجتناب يكون لأربعة أشياء هي : ﴿ ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ ﴾ ووصفت بأنّها ﴿ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ ، أي اجتنبوا الخمر ، واجتنبوا الميسر ، واجتنبوا الأنصاب ، واجتنبوا الأزلام .

وممّا ورد في أقوال المفسرين :

تشير الآية إلى بعض المحرمات التي أقرّت الشريعة الإسلامية بتحريمها فالخطاب إلى الذين صدقوا الله ورسوله أنّ تلك الأمور محرمة فالأمر من ذلك تركها ورفضها والكف عن العمل

بها كونها نجس من عمل الشيطان يزينها لكم حتى تنجحوا وتدركوا الفلاح عند الله عند تركك ذلك [١] .

في الآية دلالة على تحريم الأشياء الأربعة والدليل يكون من أربعة أوجه :

الأوّل : هو وصفها بأنّها رجس ، والرجس معناه النجس والنجس محرم بلا خلاف .

الثاني : قال إنّه من عمل الشيطان وكلّ عمل الشيطان محرم .

الثالث : هو الأمر الوارد في الآية وهو الاجتناب والأمر يقتضي الإيجاب .

الرابع : هو جعل الفلاح والنجاح لمن يجتنبه وهو ما يثبت حرمته والأمر بتجنبه[٢] .

أمر الله عزّ وجلّ باجتناب الأمور الوارد ذكرها في الآية بقول اجتنبوه ، وقد اقترن بصيغة الأمر من خلال النصوص الواردة فيه والروايات المنقولة وما ورد عن علماء الأمة فكان الاجتناب هو من جهة التحريم لذلك حرمت جميعها دون خلاف بين علماء المسلمين، وقد قاد التحريم بها إلى القول بخبثها ونجاستها والأمر باجتنابها[٣].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : " والبيع للميتة أو الدم أو لحم الخنزير أو الخمر أو شيء من وجوه النجس ، فهذا كله حرام ومحرم ؛ لأنّ ذلك كلّه منهي عن أكله وشربه ولبسه ومُلكه وإمساكه والتقلب فيه فجميع تقلبه في ذلك حرام" [٤] .

---

(١) ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٨ / ٦٥٥-٦٥٦ .

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٤/ ١٧ .

(٣)ظ : القرطبيّ / الجامع لأحكام القرآن ، ٦ / ٢٨٨ .

(٤) الحر العامليّ / وسائل الشيعة ، ٢٤ / ٢٣٨.

والتأكيد على تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام واجتنابها لكي يفلحوا ويتقوا ، فاجتنابها يكون سببًا للفلاح والتقوى وارتكابها خيبةً ومَحْقَةً لما فيها من المفاسد الدينية والدنيوية فوصفها بأنّها رجس من عمل الشيطان لذا اقتضى تحريمها [١] .

فقد ورد في الرواية الشريفة(النجس) وهذا ما يؤكد عدُّ (الميتة والدم المسفوح والخنزير) من النجاسات التي يحرم أكلها أو الانتفاع منها ، والدليل من القرآن الكريم على نجاسة الخنزير بجميع أجزائهِ لا لحمه فقط، لما جاء في الآية الكريمة(فإنّه رجس)[٢].

ومن تعاليم الآية الكريمة الواردة آنفًا :

١ – لا يستقيم الإيمان مع شرب الخمر ولعب القمار .

٢– شرب الخمر ولعب القمار كعبادة الأصنام .

٣– النهي عن الأرجاس والنجاسات .

٤– الكسب الحلال واجتناب المحرمات له الأثر في تحقيق السعادة والفلاح للعبد [٣] .

في الآية تحريم بصيغة الأمر يدعو المؤمنين إلى اجتناب الأشياء الأربعة الواردة في الآية وهذا التحريم إنّما يأتي لمصلحة للناس حدّدتها الشريعة المقدسة فنزل التحريم بها ، وبلحاظ الخطاب القرآني يظهر لنا مستوى إيماني من المستويات الإيمانية الواردة في القرآن الكريم هو

---

(١) ظ : أبو السعود /إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود) ، ١١٥/٢.

(٢) ظ : محمد الصادقيّ/الفرقان ، ٨ / ٥٠ .

(٣) ظ : محسن قرائتي /تفسير النور ، ٢/ ٣٢٢.

الإيمان المقترن بالأمر والذي يأمر بهِ المؤمنين بتجنب تلك الأشياء فمن يخالف ذلك الأمر يعدّ إيمانه ناقصًا فكمال الإيمان بتطبيق الأوامر الصادرة عن الله تعالى .

٥- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ البقرة: ١٥٣ .

إنّ النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانيّة التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالأوامر ، وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو إيمان ثمّ قَرَنَهُ مباشرةً بأمرٍ هو ﴿ ٱسْتَعِينُواْ ﴾ .

ودرجة الاستعانة بالصلاة فيها ذكر الله والخضوع له تعالى والخشوع له سبحانه ، وتلاوة القرآن الكريم فيه من الوعظ والتخويف وفيه الوعد والوعيد والجنة والنار ، كما أنّ فيه السبيل الذي يوجب الهدى وكشف العمى ، وفي ما جاء ذكره إنّما هو دعوة إلى الله تعالى والقيام في طاعته والدافع في البعد عن المعاصي ، فمعونته تعالى وبالشفاعة والقيام في طاعته والاستعانة بهِ ، فالاستعانة هي بمنزلة الزيادة في القوة التي تدفع الإنسان أن يكون طائعًا لله تعالى ، وفي الاستعانة بالصلاة لطف إلهي ، ففي قوله تعالى :﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴾ العنكبوت: ٤٥ [١] .

(١)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٢ / ٣٣ .

وفي الاستعانة بالصلاة قولان: الأوّل/طاعة الله: كما القول إنّ في الصلاة طاعة لله تعالى .

والثاني / في جهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ضد أعدائهِ [١] .

روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام)قال : " كان إذا أهاله أمرٌ فزع قام إلى الصلاة ثم تلا هذهِ الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ البقرة: ١٥٣ " ، ولا عجب أنّ الإنسان حيث يرى نفسه أمام المشاكل المستفيضة يحسّ أنّه لا يستطيع مجابهتها وأنّه محتاج إلى سند قوي يعتمد عليه ، فلا سبيل إلى ذلك إلّا الصلاة ، فإنّه يلجأ إليها لتحقيق ارتباطه بالله سبحانه ، وتخلف لديه نوع من الطمأنينة الروحية لأجل مواجهة تلك المشاكل والتحديات القائمة أمامه فيستطيع أن يتغلب عليها ومجابهتها [٢] .

خصّ الصلاة لأنّها أشدّ عمل عبادي ظاهري على الإنسان ؛ إذ فيها انقطاع عن الدنيا واتجاه إلى الله تعالى ، وقد روي أنّ رسول الله تعالى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا أشتد به أمر فرغ إلى الصلاة وتلا الآية ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ البقرة:١٥٣ [٣] .

والصلاة إنّما هي من الغفران والدعاء والثناء الحسن والاستعانة بالصلاة كونها أم العبادات ، وطريق الصلة والمناجاة بين الله وعبده ، كما أنّها استشعار بهيبة الله تعالى ، فهي مفزع الخائفين والسبيل لفرج من كل كرب عظيم ، وهي اطمئنان لنفس المؤمن ، كما أنّها تملأ القلب خشوعًا لله عزّ وجلّ ، وتبعد الإنسان عن الفواحش والمنكرات ، وتهون عليه المصاعب

---

(١)ظ: الطوسي / التبيان ، ٢ / ٣٣ .

(٢)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ١ / ٢٦٠-٣٦١ .

(٣) ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١/ ٤٠١ .

والمصائب ، وتحمل كل شدّة ومشقة وتساعده على تحمل العناء والكرب وتقوية لإرادته وتعدّ عون لـهُ ونصرة ، وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : " جعلت قرة عيني في الصلاة " وكما جاء قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ البقرة: ٤٥ [١].

ورجح ميزانية الصلاة كونها أصل وضابطة الخير ، فهي عمود الدين والاستعانة تكون بكليهما الصبر والصلاة ، فألصقهما ببعضٍ في حضيرة الإيمان، والاستعانة بالصبر والصلاة في جميع المجالات له الدور الأكبر في إدارة الشؤون الإيمانية فردية كانت أم جماعية كونها مفتاح الإيمان ، لا سيما في حقل الجهاد ، كونه يحتاج لكل مقومات النجاح[٢].

وتظهر أهمية الاستعانة بالصلاة وبيان منفعتها كونها تنهى عن الأمور القبيحة التي حرّمتها الشريعة المقدسة وإظهار الجانب الإيماني لدى العبد المؤمن ، وبلحاظ الآية الكريمة فإنّ فيها إشارة واضحة بصيغة الأمر تحثّ على الاستعانة بالصلاة وهو دليل على عمق الصلاة في نفس المؤمن ، كما أنّها تقوية لقلبهِ حتى يصل للكمال الروحي الذي يكتمل بهِ إيمانه ، ولا ريب أنّ الأمر الوارد في القرآن الكريم بوجوب الصلاة وجعلها عمود الدين لم يأتِ عبثًا إنّما للأثر الذي تتركه في النفس المؤمنة فتطمئن وتخشع لله وتنهاها عن الفحشاء والمنكر وتدفع الإنسان إلى العمل الصالح وهذه الغاية الأسمى التي لأجلها وجد الخلق ، ويتبيّن لي من خلال استقراء الآية الكريمة مستوى إيمانيّ من خلال الخطاب الوارد فيها وهو الإيمان المقترن بالأمر فالخطاب موجه للذين آمنوا يأمرهم بالاستعانة في الصلاة .

---

(١)ظ : المصدر نفسه ، ١/ ٤٠١ .

(٢)ظ : محمد الصادقيّ /الفرقان ، ٢ / ٤٢٤-٤٢٥ .

٦- قال تعالى : ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ إبراهيم٣١ .

إنّ النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالأمر ، وممّا يؤكد ذلك قوله : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو الإيمان ، وقَرَنَهُ بالأمرين ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ... يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ و ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ... وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ .

وفيما ورد من أقوال المفسرين في معنى الآية :

يأمر الله سبحانه عباده بطاعته والقيام بحقّهِ كما يدعوهم الإحسان إلى خلقهِ وذلك من خلال إقامة الصلاة وهي عبادة لله تعالى وحده لا شريك له ويأمرهم بالإنفاق في سبيلهِ ممّا رزقهم من خيراتهِ بأدائهم لفرض الزكاة ، كما يدعوهم إلى الإنفاق على القربى والإحسان للأجانب لأنّ لهم حقّ في ذلك ، فالله قد شملهم بذلك العطاء الجزيل [١] .

وهو من مال الصدقة التي يدفعه الإنسان وهو تطوع من العبد لمساعدة من أمر الله تعالى بمساعدته ، وعنى في الآية أنّه جواب الأمر (قُلْ) الذي يأتي بمعنى بَلِغْ وأدِّ الشريعة ويقيمون الصلاة ، والأمر بالإقامة والإنفاق ، والسر صدقة التنفل ، والعلانية هي المفروضة كالزكاة والخمس[٢].

أمر صادر من الله تعالى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبلغ المؤمنين من عباده الذين يوحدون الله سبحانه ويؤمنون بعدلهِ ، والذين يقيمون الصلاة بشرطها وشرائطها ،

---

(١)ظ: ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٤ / ٥١٠ .

(٢)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٣ / ٣٣٩ .

والذين ينفقون مما رزقهم الله بالسر والعلن والظاهر والباطن فهو تأكيد على الاستمرار والمداومة على ذلك العمل وأن يبقون محافظين على إيمانهم حتى يوم القيامة ، فعندها لا بيع ولا شراء أي ما دامت لهم فرصة للقيام بذلك العمل ومازالوا في الحياة الدنيا ليقدموا تلك الأعمال لتجنبهم عذاب الله وسخطه ويكسبوا رضاه عليهم في الحياة الدنيا [١] .

وهو نوع من التجديد لفعل الخيرات والتوصية على ديمومتها كونها تنفعهم هناك عندما يكونوا بين يدي الله فتكتب في صحيفة أعمالهم خيرًا ويكسبون أجر ذلك العمل الصالح . وقوله ﴿ يقيمون الصلاة ﴾ تعني الصلوات الخمس الواجبة ، وينفقوا تعني الزكاة المفروضة الواجبة ، والسرّ ما خفي وهي صدقة التطوع ، والعلانية ما ظهر وهي الزكاة الواجبة المفروضة [٢].

في الآية يراد بذلك الاستزادة من إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله ، كونهم من قبل قد أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فطلبت الآية من المؤمنين أن يستزيدوا منهما لذلك صار التقدير بلام الأمر في الكلام دون فعل الأمر ؛ لأنّ المضارع دالٌ على التجدد ، فحذفت لام الأمر تخفيفًا وفي قوله : ﴿ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ ، من أجل التذكير بنعمة الله وتحريضًا على الإنفاق في سبيل الله وشكر النعم التي أنعم الله بها عليهم ، وقوله في السرّ والعلانية قصد منه فالسرّ تصدق التطوع ، والعلانية الإنفاق الواجب...[٣] .

---

(١)ظ: الطوسيّ /التبيان ، ٦ / ٢٩٥ – ٢٩٦ .

(٢)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ٩/ ٣٦٦ .

(٣)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ١٣ / ٢٣٢–٢٣٣ .

تبين الآية إنّ الله تعالى قد خصّ المؤمنين تنويهًا وتنبيهًا لهم فهم المقيمون لحقوق الله في العبودية ، أي قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وبالإنفاق في السرّ والعلانية ، يأمر الله تعالى عباده بالطاعة له والقيام بحقّهِ ويأمرهم أن يحسنوا إلى الخَلق ، وأن يقيموا الصلاة فهي عبادة لله تعالى وحده لا شريك له والإنفاق ممّا رزقهم الله بهِ وهي فريضة الزكاة وأن يكون إنفاقهم إلى ذوي القُربى والإحسان لمن هم دونهم أي غيرهم من الأغراب عنهم ، وإقامة الصلاة تعني أداءها مستكملة أركانها في جميع أجزاء الصلاة وأن ينفقوا ممّا رزقهم الله عزّ وجلّ سرًا أي في خفية والعلانية أي في الجهر [١] .

وقيل في هذا الأمر أنّه يجب إعلان الواجب أي الإنفاق الواجب يكون في العلن ، وأن يكون الإنفاق في التطوع يكون سرًا ؛ وهذا من أجل أن يخلصوا أنفسهم قبل يوم القيامة ويؤدوا ما عليهم من حقوق لله تعالى وللعباد ، فذلك اليوم لا يكون فيه بيع ، أي أنّ الله تعالى لا يقبل من أحدٍ أي عملٍ يقوم بهِ أو أي فدية يقدمها ولا صدقة تقدم لأجل الخلاص من عقابه سبحانه [٢] .

وضع الإسلام أبعاد للإنسان يمكن بيانها من خلال ثلاث نقاط ، الأولى : علاقة الإنسان بربهِ ، والثانية : علاقة الإنسان بالعباد ، والثالثة علاقته بنفسهِ ، وعلاقة الإنسان بنفسه تكمن بعلاقته الأولى ، فالعلاقة مع الله تكون عن طريق الصلاة ، والثانية مع العباد تكون في الإنفاق ، فالصلاة اتصال بين العبد وربه والإنفاق صلة العبد مع الناس ، وقيل أنّ الآية لا تخصّ الزكاة كون السورة مكية وعند نزولها لم تكن فريضة الزكاة قد فرضت ، إلا أنّ بالنظر إلى معناه الواسع تكون شاملة للزكاة بعد فرضها ، والعلاقة الثالثة التي تبين علاقة الإنسان

---

(١)ظ: وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٧ / ٢٦٩

(٢)ظ: المصدر نفسه ، ٧ / ٢٧٢ .

مع نفسه شملت الإيمان والذي يتبين من خلال العمل الذي يكون عند العبد وهو مرتبط بعلاقته مع خالقه ، فالصلاة عمل عبادي يترجمها الإيمان ، ويرى الكثير من المفسرين أنّ الإنفاق العلني خاص بالزكاة الواجبة ، والسبب يرجع كون الواجب لا يدخله الرياء لأنّه لازم وواجب على الناس والكل مأمور بهِ ، أمّا الإنفاق في السرّ فهو خاصّ بالمستحب لتجنب دخول الرياء فيه ، لأنّ العبد ينفقه من نفسه وتطوعه [1] .

في الآية الكريمة أمران عباديان هما (الصلاة والزكاة) فهي تأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهذا الوجوب دلّ عليه الأمر الصادر من الله تعالى إلى المؤمنين يأمرهم للقيام بالفريضتين ، فمدى تطبيق تلك الأوامر لها علاقة بإيمانه، ويبدو من سياق الآية الكريمة مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالأمر.

٧- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ الجمعة: ٩

النص القرآني يبيّن مستوى من المستويات الإيمانيّة التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالأوامر وممّا يؤكد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وهو إيمان ، ثمّ قَرَنَهُ بأمرٍ هو ﴿ فَٱسۡعَوۡاْ ﴾ ، ﴿ وَذَرُواْ ﴾ .

ومن الأقوال التي ورد ذكرها في أمر وجوب صلاة الجمعة وأنّها أمر من الله تعالى لعبادهِ المؤمنين وأنّها متعلقة بإيمان العبد ما يأتي :

---

(١)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٦ / ٥٢٩ .

من الصلوات التي أكد عليها الشارع المقدس وبيّن عظيم شأنها ومنزلتها وكذلك العلماء الأعلام عند تناولهم لمسائل الصلاة هي (صلاة الجمعة) ، فقد بيّنت الروايات الشريفة وأقوال العلماء في أهمية أدائها والملازمة عليها ، ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال :" إنّ الله سبحانه فرض عليكم الجمعة، في عامي هذا ، في شهري هذا ، في ساعتي هذه ، فريضة مكتوبة ، فمن تركها في حياتي وبعد مماتي إلى يوم القيامة ، جحودًا لها واستخفافًا بحقها ، فلا جمع الله شمله ، ولا بارك الله له في أمره ، ألا لا صلاة له ، ألا لا حجّ له ، ألا لا صدقة له ، ألا لا بركة له، إلّا أن يتوب ، فإن تاب ، تابَ الله عليه " [١] .

ويذكر السيد محمد تقي المدرسيّ في بيان الآية : إنّ وجود حكم إسلامي والإمام العادل شرطان لإقامة صلاة الجمعة ، كونها من الشعائر الدينية التي يمكن أن تستغل بجوانب عديدة ، منها تضليل الناس وجعلها منبرًا للطغاة [٢].

ومعنى الآية أنّه إذا سمعتم أذان يوم الجمعة فامضوا إلى الصلاة ، وظاهر الآية أنّ الخطاب موجه إلى المؤمنين ، إنّما يدخل فيه جميع الناس حتى وإن كانوا غير المؤمنين [٣] .

تختص الآية بوجوب الجمعة على القريب الذي يسمع النداء أمّا البعيدة داره ولا يسمع النداء فلا يدخل ضمن الخطاب ، وقد أُختلف فيمن يأتي الجمعة القاصي والداني ، والآية دالة على أنّ صلاة الجمعة لا تجب إلّا بالنداء ، والنداء لا يكون إلّا عند دخول وقتها، وهذا وارد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ووقتها كما ورد حين تميل الشمس ، وقيل قبل الزوال عند أحمد وغيره ، وقيل عند الزوال كما هو وارد في صلاة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)،

---

(١) حسين الطبرسيّ / مستدرك الوسائل ، ٦ / ١٠.

(٢) ظ : من هدى القرآن ، ١٥ / ٣٨٩.

(٣) ظ : الطوسيّ / التبيان ، ١٠ / ٨ .

وإلى هذا ذهب الجمهور بأنّه وقت صلاة الظهر ، وأمّا السعي إلى صلاة الجمعة فإنّه واجب يطلق من غير شرط [١].

قصد بالآية النداء المعروف في الجمعة هو أذان الظهر من يوم الجمعة ، وصلاة الجمعة معروفة من يوم الجمعة ، وهي واجبة بالتواتر في الكتاب والسنّة المتواترة وإجماع الأمة ، والغاية من ذلك أنّه يوم خاص بالمسلمين فكما لليهود يوم هو يوم السبت والنصارى يوم وهو يوم الأحد فيوم المسلمين هو الجمعة ، فمشروعية صلاة الجمعة والتجمع فيه إجابة من الله تعالى ورغبة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورغبة المسلمين بشكل عام ، ووصف صلاة الجمعة تلك الصلاة التي تكون ظهر الجمعة عند زوال الشمس وليست زائدة على الصلوات الخمس المفروضة إنّما هي تحلّ محل صلاة الظهر ، وهي ركعتان فخطبتا الجمعة تعوضان الركعتين الأخريين من صلاة الظهر ، فعندما يُصليها المسلمون تكون بدل صلاة الظهر التي يقيموها في الأيام الأخر، فلا يطلب معها صلاة الظهر [٢] .

الآية تتحدث عن أكبر تجمّع عباديّ سياسيّ أسبوعيّ كما إنّ السورة تهدف إلى صلاة الجمعة وبعض الأحكام المتعلقة بها ، والنداء بمعنى الأذان للصلاة ، فلا نداء للصلاة غير الأذان ففيه إلزام للمؤمنين أن يتركوا مكاسبهم ومعايشهم الدنيوية فهي إشارة إلى فلسفة صلاة الجمعة وما فيها من فضائل ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ **فاسْعَوا** ﴾ لإعطاء الأهمية البالغة لصلاة الجمعة ، وقوله تعالى : ﴿ **ذكر الله** ﴾ اشتمل على الصلاة وقيل خطبتي الجمعة المشتملة على ذكر الله ، وهناك أهمية لصلاة الجمعة تكمن في ترك الأمور الدنيوية والتوجه لذكر الله، وتوعية الناس وتعريفهم بالمعارف الإسلامية والأحداث السياسية والاجتماعية المهمة وتوثيق

---

(١)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ١٨/ ١٠٠ إلى ١٠٦ .

(٢)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٢٨ / ٢٢٠ –٢٢٢–٢٢٣ .

الاتحاد والانسجام بين المسلمين ، وتجديد الروح الدينية بين المسلمين ، ومن أهم شرائط صلاة الجمعة أن يكون إمام الجمعة عادلًا ، كما ذهب بعضهم إلى القول أنّ صلاة الجمعة محصورة بالإمام أو نائبه الخاص فهي من وظائفه الخاصة، وأنّها متعلقة في شؤون عصر ظهور الإمام المعصوم [1] .

من الصلوات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والتي أعطى لها أهمية كبيرة لعظيم منزلتها ومكانتها عند الله تعالى هي صلاة الجمعة فإضافة لمكانتها كعمل عبادي تشغل مكانة مهمة بكونها تجمع إسلاميّ مهم ليجتمع فيه المسلمون من كافة فئاتهم وللتعريف بأمور دينهم ودنياهم وتقوية الصلة بينهم وتوحيد الكلمة وطاعة الله من خلال الامتثال للأمر الإلهي في إقامتها ، وهنا تظهر شخصية المؤمن الحقيقي من خلال الالتزام بها وتطبيق أحكام الشريعة المقدسة ، ويظهر فيها مستوى إيماني هو الإيمان المقترن بالأمر، فالخطاب الإلهي بصيغة الأمر الجازم يدعو إلى إقامتها وتظهر طاعة المؤمن فيها من خلال أدائها والدوام عليها .

٨- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٨٣

الآية القرآنية تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانيّة التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالأمر، وممّا يبيّن ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو إيمان ثمّ قرنه بقوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ﴾ أي فرض عليكم ، وهو أمرٌ إلى المؤمنين أن يؤدوا الصيام .

(١)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ١٤/ ١٩٣-٢٠٢.

ففي الآية أمرٌ صريحٌ على وجوب الصيام لما في قوله عزّ وجل : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ ، فالصوم فريضة يجب تأديتها من حيث شروطها وشرائطها ، وقد دلّت الروايات والأحاديث المنقولة بالأثر على وجوبها ، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: " إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم ، ففضل به هذه الأمة وجعل صيامه فرضًا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى أمته " [١] .

وكُتب عليكم الصيام أي فرض عليكم الصيام في شهر رمضان، وهو أمر يؤمر بهِ ، والصيام العبادة المعروفة التي أمر بها الشرع [٢].

كُتب عليهم أي ألزمهم الصيام وأوجبه عليهم ولا خلاف في ذلك والصيام الإمساك ، والصوم أحد الأركان الخمسة للإسلام كما ورد في الحديث الشريف [٣] .

الخطاب من الله تعالى موجه للمؤمنين من هذه الأمة يأمرهم بالصيام بنية خالصة لله وحده لما له من الفائدة التي تعود عليهم من زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الرذائل والآثام [٤] .

أي صوم رمضان فريضة فرضها الله تعالى على الأمة ولا خلاف بين المسلمين في ذلك الفرض الذي أمر الله تعالى بهِ [٥] .

---

(١) الصدوق/من لا يحضره الفقيه ، ٢ / ٦٧.

(٢)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٣/ ١٥٢ –وظ : الطوسيّ / التبيان ، ٢ / ١١٥ –وظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٢/ ٥ –وظ : ابن عطية /المحرر الوجيز ، ١ / ٢٥٠ .

(٣)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ٢/ ٢٧٢ .

(٤)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٤٩٧ .

(٥)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ١/ ٣٢٩ .

من الأحكام التي فرضها الله تعالى وأمر بها المسلمين هو صيام شهر رمضان فقد شرعه الله تعالى على جميع الأمة ، والقول بـ " كُتِبَ عليكم " تعني الوجوب وقد افتتحت الآية بخطاب الذين آمنوا إنّما هو دليل على أهمية الحدث [١].

ورد الخطاب إلى المؤمنين بصيغة الوجوب كي يقبلوا بالحكم الإلهي الصادر لهم وإن كان ذلك خلاف ما يشتهون أو ما لم يعتادوا عليه ، وكُتِبَ يعني الفرض والعزيمة والقضاء والحتم وجيء بتذكيرهم بصفة الإيمان لتذكيرهم وقبولهم أمر الله إليهم [٢] .

تتناول الآية الكريمة فريضة الصوم التي أوجبها الله تعالى على عباده وقد جاءت الآية الكريمة بصيغة الأمر (كُتِبَ عليكم) أي فُرِضَ عليكم وهو الصوم وقد بدأت بمخاطبة الذين آمنوا يأمرهم بأداء الصوم ، فالمؤمن إيمانًا حقيقيًا لابد له من أن يؤدي ذلك فهو أمر أوجبه الله تعالى عليه ، وبلحاظ الآية الكريمة يظهر لي مستوى من مستويات الإيمان التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالأمر .

٩- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ ﴾ المائدة: ٢

الآية القرآنية الكريمة تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالأوامر ، وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو إيمان ثمّ قرنه بأمر هو : ﴿ فَٱصۡطَادُواْۚ ﴾ .

---

(١)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٢ / ١٥٤ .

(٢)ظ : محمد حسين الطباطبائيّ / الميزان ، ٢/ ٧ .

وقد بيّن المفسرون الآية بأقوالهم :

أي إذا حللتم من الإحرام فاصطادوا ما نهيتم عنه وأنتم حرم ، ولا حرج عليكم في ذلك ، لأنّ الأمر الذي من أجله منعتم زال [١] .

أي إباحة الصيد بعد التحريم وقد جاءت الإباحة بصيغة الأمر على نحو العموم لتشمل جميع الناس وقد وردت أقوال في صيغة الأمر هل تعني الوجوب أم الندب وقيل الإباحة [٢] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾ أي أنّكم إذا فرغتم من الإحرام وحللتم منه فإنّه أبيح لكم ما كان محظور عليكم وقت الإحرام ، ومن ذلك الصيد ، فالصيد يحرم على من كان محرمًا في الحج ، وهذا أمر بعد حظر [٣] .

القصد من الأمر هو تأكيد الإباحة أمّا النهي الوارد في الآية إنّما هو نهي مؤقت وأمر في بقية الأوقات والإباحة هنا إباحة أصلية بالنسبة للصيد وحصل التحريم في فترة الإحرام فقط ثم عاد إلى وضعه الطبيعي [٤] .

الصيد يحرم في حال الإحرام وفي الأرض الحرام فإن لم يكن المرء محرمًا أو في الأرض الحرام فالصيد مباح له لعدم وجود المانع من ذلك ، أمّا الأمر الوارد في الآية إنّما هو للإباحة وهو أمر بعد نهي [٥] .

تدلّ الآية الكريمة على إباحة الصيد غير المحرم بعد الانتهاء من شعيرة الحجّ وهو أمر عام

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٨ / ٤٢ – وظ : الطبرسيّ / مجمع البيان ، ٣ / ٢٢١ .

(٢)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٢ / ١٤٨ .

(٣)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ١٢ .

(٤)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٦/ ٨٥ .

(٥)ظ : محمد جواد مغنية / التفسير الكاشف ، ٣ / ٨ .

يشمل كلّ الناس ورفع الحظر عمّا كان محرمًا [١] .

الآية فيها تخصيص لحكم حرمة الصيد أثناء الإحرام فقط ، والإذن بجواز الصيد لجميع المسلمين بعد خروجهم من الإحرام [٢] .

في الآية حكم الإباحة بعد الحظر ، فبعد أن كان الصيد ممنوعًا في حال الإحرام ، يكون مباحًا عند انتهاءِهِ ، فهو رفع الحظر بعد المنع ، فبيّنت الآية أن الاصطياد بعد الإحلال من الإحرام جائزٌ ، والمعنى الوارد في ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ﴾ ، إذا خرجتم من الإحرام بعد الانتهاء من مناسك الحج ، فيحل لكم الاصطياد [٣] .

أي رفع الحظر المفروض على الصيد في الإحرام، وهو حكم يفيد الإباحة للصيد بعد الإحرام[٤].

حرمة الصيد مشروطة بأمرين : الأوّل : الإحرام والوجود في أرض الحرم .

الثاني: كون الصيد محرم بمكة في الإحرام وفي الإحلال[٥].

إنّ من علامات الإيمان الظاهرة على المؤمن هو الالتزام بأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ولعل أكثر ما يظهر ذلك في أوقات تأديته للعبادة وأداء الفرائض ومن بين الفرائض التي أمر بها الله تعالى عباده هي فريضة الحجّ وقد جعل عزّ وجلّ لهذه الفريضة أحكامًا يجب على

---

(١) ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٣ / ٤٢٢ .

(٢) ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٣ / ٤٠٩ .

(٣) ظ : محمد الصادقيّ / الفرقان ، ٨ / ٣٥ .

(٤) ظ: عبد الأعلى السبزواريّ / مواهب الرحمن ، ١٠ / ٣١٨ .

(٥) ظ: محمد السبزواريّ / الجديد في تفسير القرآن المجيد ، ٢ / ٤١٦ .

العبد تطبيقها حتى يصحّ تأديته للحجّ من تلك الأوامر الصادرة من الله تعالى لحجاج بيته الحرام هو حرمة الصيد إذا كان الحاج محرمًا فإذا فرغ من إحرامه فهو مباح له الصيد وغيره، لذا تظهر صورة الإيمان من خلال تطبيق ذلك ، ويبدو لي إنّ في الآية الكريمة مستوى من مستويات الإيمان وهو الإيمان المقترن بالأمر .

١٠- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِۢبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ... ﴾ البقرة: ٢٨٢

إنّ الآية القرآنيّة تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالأوامر ، وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وهو إيمان ثمّ قَرَنَهُ بأوامر هي : ﴿ فَٱكۡتُبُوهُ ﴾ ، ﴿ وَلۡيَكۡتُب ﴾ ، ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ ﴾ .

الآية يطلق عليها آية الدين وهي أطول آية في القرآن الكريم وسميت بهذا الاسم كونها تتحدث عن الأحكام المتعلقة بالدين والمداينة وفيها من الأوامر التي تحث المؤمنين على تطبيقها والالتزام بها تجنبًا للمشاكل والنزاعات التي قد تحصل نتيجة حدوث السهو أو الإنكار من قبل أحد الأطراف الداخلة بتلك التعاملات [١] .

والآية الكريمة تحدثت عن مسألة مهمة من مسائل التعامل في البيع التي دائمًا ما تكون في المعاملات التجارية والحياة العامة، فالكثير من الأمور المتعامل بها يكون التعامل بها بالدّين، فالآية قد وضحت سياقات تلك المعاملة كما حكمت بإباحتها، ويأتي ذلك من باب المحافظة على حقوق الناس وعدم ضياعها، كما أنّها ضمان لما قد يحدث من أمورٍ كالنسيان أو الموت لأحد الطرفين وهو حفظ لقيمة المديونية من الزيادة أو النقصان ، فتجنب الخلافات والمنازعات التي قد تحدث نتيجة تلك الظروف الحاصلة ، كما وضعتِ الآية الكريمة الشروط والضوابط لذلك العقد منها كتابته بالعدل وحضور ولي الأمر للذي يتطلب وليه كالذي عليه حجر كالصبي والسفيه والجاهل بتلك الأمور، والآية الكريمة قد أشارت إلى أنّ ذلك الأمر واجب يتحتم القيام به لقوله ﴿ فَٱكۡتُبُوهُ ﴾ وهو دلالة فعل الأمر في السياق الوارد في الآية .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : " سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : ثلاثة لا يستجيب الله لهم ، بل يعذبهم ويوبخهم ... والثالث رجل أوصاه الله تعالى ، بأن

(١)ظ : عبد الرحمن السعديّ / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ١١٨، و ظ : وهبة الزحيليّ التفسير المنير ، ٣/ ١٣٥-١٣٦.

يحتاط لدينه بشهود وكتاب ، فلم يفعل ودفع ماله إلى غير ثقة بغير وثيقة ، فجحده أو بَخَسَه" [١].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال : " قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أصناف لا يستجاب لهم ، منهم : من أدان رجلًا دينًا إلى أجل فلم يكتب عليه كتابًا ولم يشهد عليه شهودًا" [٢] .

الروايتان الشريفتان فيهما تأكيدٌ وتنبيهٌ من أجل كتابة الدّين بين الطرفين ، وهذا من باب الحرص على تطبيق الأحكام الشرعيّة ، وتنفيذ الأوامر التي دعا إليها القرآن الكريم كونها أوامرٌ إلهية، ولتجنب وقوع الأخطاء فيها، فالرواية تبيّن أنّ الله لا يستجيب لمن لا يطبق تلك التعاليم ولا يلتزم بها، والتحذير الموجود بالرواية لربما من باب أن يبقى الإنسان يقظًا في مثل تلك الأمور حتى لا يُضيّع حقه .

وفي معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ ﴾ .

عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) قال : " قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ ﴾ قال : من أحراركم من المسلمين العدول ، قال (عليه السلام) :

استشهدوهم لتحوطوا بهم أديانكم وأموالكم ولتستعملوا أدب الله ووصيته " [٣] .

---

(١) حسين الطبرسيّ / مستدرك الوسائل ، ٥ / ٢٥٤.

(٢) الحر العامليّ / وسائل الشيعة ، ٧ / ١٢٧ .

(٣) الإمام الحسن العسكريّ / تفسير الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) (المنسوب إليه) ، ٥٧٤ ، وعبد الله الجواديّ الآمليّ / تفسير تسنيم ، ١٢/ ٧٧٢.

الرواية الشريفة بيّنت أنّ اختيار الشهداء يجب أن تتوفر بهم بعض الصفات التي تؤهلهم كي يكونوا شهداء من ذلك ، رجال أي : أنّهم بالغون وأن تتوفر بهم العدالة وأن يكونوا أحرارًا ، لأنّ حقوق الناس معقودة بشهاداتهم ، وذلك أمرٌ مهم في صحة كتابة العقد .

وعن الإمام الصادق(عليه السلام) في معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ قال: " لا ينبغي لأحدٍ إذا دُعِي إلى شهادةٍ ليشهد عليها أن يقول : لا أشهد لكم عليها " [١].

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) في معناها قال : " إذا دعاك الرجل تشهد على دين أو حقّ لا ينبغي لأحدٍ أن يتقاعس عنها " [٢] .

الروايتان الشريفتان تدعوان الشهداء أنّ لا يمتنعوا عن الإدلاء بشهاداتهم في حال طلب منهم ذلك ، وأن يحضروا متى ما طُلِبَ منهم ذلك ؛ لأنّ فيه تطبيق للأحكام الشرعيّة، وبه مصلحة عامة للناس يجب تحقيقها ، وإلّا فإنّه يؤثم عليها ، والروايتان الشريفتان خطابهما واضحٌ في هذه المسألة .

أي إذا تبايعتم بدينٍ او أنّكم اشتريتم بدينٍ أو تعاطيتم أو أخذ أحدكم دينًا من الآخر إلى وقتٍ معلوم قد وقتم مدته بينكم كالقرض أو السَّلَم من شراء في أجلٍ من الاملال أو الثمن المؤجل أو المحاصيل الزراعيّة أو غيرها ، فعليكم كتابة ذلك الدّين أو القرض الذي أخذتموه وجعل شاهدين على التكاتب يكونوا شهود على ذلك البيع ، واختلف أهل العلم في الكتابة هل هي واجب فرض مندوب إليه وذهب إلى ذلك فريقين لكن الأغلب ذهب إلى الندب [٣] .

---

(١) الطوسيّ / تهذيب الأحكام ، ٦ / ٣١٢.

(٢) العياشيّ / تفسير العياشيّ ، ١ / ١٧٦ .

(٣)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٥ / ٧٠-٧٣ .

أي أنّ الله تعالى أمر بالشهادة عند المداينة كي لا يكون في ذلك جحود ولا نسيان ، والذي لم يشهد على الدين فقد عصى أمر الله [١] .

في الآية وجه للتأكيد على الكتابة في الدّين ، ومعناه أنّكم إذا كان دين بينكم فالكتابة أفضل وأن تبين الأجل المعلوم في الكتابة ، وظاهر الأمر الكتابة وجاء الإجماع على أنّ الكتابة ندب وذهب قوم إلى القول بأنّها فرض واجب [٢] .

أي الخطاب إلى المؤمنين الذي صدقوا بالله ورسوله إذا تعاملتم بالدين وداين بعضكم الآخر إلى وقت معلوم مذكور بالتسمية فاكتبوا ذلك الدّين في صك حتى لا يقع النسيان أو الجحود وتلك الوثيقة هي الضمان للحقّ ووضع الشهود على تلك الوثيقة فلا يضيع حقّ أحدٍ منهم ، وقد أُختلف هل الكتابة فرض أم مندوب إليه ، والأرجح الندب والكثير ذهب إليه والذي يكتب تلك المكاتبة أن يتصف بالعدل والانصاف والحقّ ... [٣] .

والكتابة هي كتابة الدّين الآجل وأمر الكتابة ، ومع الكتابة الاجتهاد كون الكتابة يعني الشهود ولا تكون حجّة إلّا بالشهود ، وقيل أمر بالكتابة لتجنب النسيان... [٤] .

الخطاب موجه في الآية هو من باب الإرشاد والتوجيه منه تعالى لعباده المؤمنين ، فوجه سبحانه إذا تداينتم بمعاملاتٍ مؤجلة كالدين فعليكم كتابتها لأجل حفظ المال في مقداره

---

(١)ظ : ابن أبي حاتم /تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٥٥٥.

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٢ / ٣٧١ .

(٣)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٢ / ١٧٨ .

(٤)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ٣ / ٣٨٢ .

وميقاته ، وأن يكون هناك شهود على تلك الكتابة مثبتين فيها ، وهذه الكتابة إنّما وجدت للتوثيق والحفظ [١] .

في الآية شروع في بيان كيفية المداينة التي تقع بين الناس بعد بيان حال الرّبا في الآيات السابقة ، والكتابة الواردة في الآية شملت كل معاملة كانت في أحد العوضين عندما يكون المال في الذمّة نسيئة وليس نقدًا ، والأجل المسمى أي الموعد المعلوم لذا أُشترط في توثيقه باليوم والشهر والسنة ... [٢] .

من الأوامر التي اهتم بها القرآن الكريم اهتمامًا خاصًّا والمسائل الهامة بين المسلمين لأجل الحفاظ على أموالهم وممتلكاتهم هي مسألة التداين فيما بينهم ، فهذه من الأمور الخاصّة بالمعاملات ، فالخطاب موجه للشخص المدين كون من حقّه أن يجعل الدائن مطمئن إلى حالهِ عند اقتراضه فيكاتبه على ذلك المال الذي يقترضه ، وذكر في الآية لأجل مسمى أي إعطاء مدّة للدين يثبت في المكاتبة، والقول بالدّين يشتمل على جميع المعاملات من بيع وقرضٍ أو غيرها ، وهو يدخل ضمن المعاملات الأصولية المشروعة بين الأفراد ... [٣].

ذكرت الآية بعض المسائل الخاصّة في الدّين والرهن والتجارة وقد اهتمت بالكتابة في مسألة الدّين وتثبيت الشهود في الكتابة كما بينت الحكمة من ذلك كله فهو أقسط وأقوم وأدنى

---

(١)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٧٢١-٧٢٢ .

(٢)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ١ / ٥٠٦ .

(٣)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٣ / ٩٧-٩٩ .

وذكرت تثبيت الأجل المسمى والوقت المحدد لذلك الدين ، كما ذهب العلماء إلى القول بأنّه واجب وذهب أغلبهم أنّه ندب [١] .

ومعنى الآية أي تعاملتم بالدّين المؤجل بيع مؤجل أو سلم أو قرض ، والدين هو المال الذي يثبت بذمّة الشخص والأجل المسمى هو الوقت المحدد بالأيام والشهور والسنين، ويشتمل الدّين المؤجل على جميع الأعيان إلى أجلٍ محدد [٢] .

في الآية بيان المعاملات المالية وكيفيتها وهو تشريع حول أحكام الدّين وما يراد بهِ لتوثيقه وإثباته ، وهذا حتى لا يكون هناك إنكار وجحود من قبل المدين ، ولا يوجد مجالًا للالتباس أو الإنكار وحثّتِ الآية بأن الكاتب يتصف بالحقّ والإنصاف وأن يحضر شاهدين لذلك[٣] .

الآية وردت بمعنى تدوين الأوراق التجارية ، فقد وضعت الآية بنودًا وتعليمات تخصّ تنظيم الشؤون الماليّة ، والأمر خاصّ بالمعاملات التجارية ومنها الدّين والقرض ، فإذا اقترض شخصٌ من شخصٍ آخر أو عقد معه صفقة تجارية وكان أحد الشخصين مديونًا من تلك الصفقة فعليه كتابة ذلك الدين بمكاتبة تحريرية تتضمن مبلغ الدين والوقت المحدد لسداد ذلك الدين ووضع أشخاص شهود موثوقين لتلك المكاتبة لكي لا يقع بينهما سوء فهمٍ أو إبهامٍ أو اختلافٍ فيما بينهما ، فتكون هناك كتابة للعقد لضمان الحقوق للطرفين والعقد يكون على نقودٍ أو بضاعةٍ أو ما شابه ذلك ، ويعدّ ذلك زيادة للطمأنينة بين الطرفين ، وكي يزداد ذلك الأمان فيكون كاتب ذلك العقد من العدول ، كما هو حال الشهود الموضوعين بالعقد ، ويتطلب في العقد أن يحتوي على كل التفاصيل التي من شأنها حفظ المال وحفظ كل ذي

---

(١)ظ : محمد جواد مغنية / تفسير الكاشف ، ١/ ٤٤١-٤٤٢ .

(٢)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٢ / ١١٥ -١١٦ .

(٣)ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٥ / ١٦٥ .

حقٌّ حقّه ، وأن تكون مخافة الله تعالى حاضرة في نفس كاتب العقد ، وتضمنت الآية أنّه فيما لو كان المقترض سفيهًا أو ضعيفًا فيجب على وليّه الإملاء بدل عنه والاعتراف بذلك الدّين ، ومن صفات الشهود هي الإسلام والبلوغ والعقل وغيرها ويكون إمّا رجلان أو رجل وامرأتان ... [1] .

أوجب القرآن الكريم العمل بمضامينها وإن كان بعض العلماء جعلها في باب المندوبات وعلى أي حالٍ فإنّ فيها من الأمر الإلهي ما يجعل الاهتمام بها واجبًا ، فكان الخطاب الوارد فيها للمؤمنين يدعوهم للعمل بما ورد فيها من وصايا وأحكام ومن يخالف ذلك وهو مؤمن فقد سقط إيمانه كون تلك تعاليم الله تعالى ولا تطلق صفة المؤمن إلّا على من كان محيطًا بأوامر الله تعالى ونواهيه ، وبلحاظ الآية الكريمة يبدو لي مستوى إيماني من المستويات التي ورد ذكرها في الخطابات القرآنية هو الإيمان المقترن بالأمر في باب الأحكام وفق أحكام المعاملات الذي يكون بين العبد والناس والتي توجب عليه التعامل فيه وفق ما يرضي الله تعالى بما يحقق العدل وحفظ الحقوق وعدم التعدي على الغير لترسخ أحكام الشريعة الإسلامية الحقّة وإظهار روح المحبة بين الناس .

١١- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾

الأحزاب: ٤٩

(١)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٢ / ١٦٣-١٦٥ .

إنّ النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالأوامر ، وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وهو إيمان ، ثمّ قَرَنَهُ بأمرٍ هو ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ ﴾ .

الخطاب موجه إلى الذين صدقوا الله ورسوله محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) إذا طلقتم الناس المؤمنات قبل أن تجامعوهن ، ليس عليهن عدّة فلا إحصاء ولا أقراء[١].

الطلاق لا يكون إلّا بنكاح وإن طلق المرأة قبل النكاح وإن عيّنها فلا يلزم الطلاق ، والآية تخصيص للآيتين اللتين تبيّنان المدّة المحددة لعدة المرأة المطلقة ، والطلاق يكون بدون عدّة لمن لم يدخل بها زوجها حتى وإن عقدوا النكاح [٢].

أسقط الله تعالى العدّة عن المرأة المطلقة غير المدخول بها ولها أن تتزوج مباشرة بعد طلاقها[٣].

ذكر ابن العربي أنّه بإجماع علماء الأمة ليس هناك عدّة على المرأة إذا لم يدخل بها زوجها[٤].

حكم المرأة المطلقة التي لم يمسّها الرجل بأنّه لا عدّة عليها نصّ على ذلك الكتاب وإجماع علماء الأمّة ، فمن خلال الخطاب القرآني يتبيّن أنّه لا طلاق إلّا بعد نكاحٍ ولا تطلق المرأة

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ١٩ / ١٢٨ .

(٢)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٤/ ٣٩٠ .

(٣)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٨ / ١٢٩ .

(٤)ظ : أحكام القرآن ، ٣/ ٥٨٧.

قبل النكاح وإن عيّنها الرجل ، فإنّه لا يلزم عليه أن يطلقها [١].

في الآية دلالة على إباحة الطلاق للمرأة غير المدخول بها ، وذكر المؤمنات في الآية إنّما جاء من الغالب وإلّا فليس هناك فرق في تطبيق الحكم الشرعي بين جميع النساء المؤمنات منهن والكتابيات ، والطلاق لا يتمّ إلّا بعد حصول عقد النكاح ، وهذا ما أجمع عليه السلف ، لما ورد في الآية من خطاب ، واختلف أئمة المذاهب في حصول الطلاق بالنكاح أم قبله ، إلّا أنّ الأرجح هو بعد حصول النكاح لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) " لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك " [٢].

بيّنت الآية حكم الزوجة المطلقة غير المدخول بها انّه لا عدّة عليها ، وقد جرى الاختلاف حول معنى النكاح هل هو العقد أم الوطء ويظهر الحقيقة أنّه الوطء وليس العقد فقط ، فقوله من قبل أن تمسوهن أي قبل أن تجامعوهن [٣].

الآية جاءت لتبين حكمًا شرعيًّا في المطلقات وهو انتفاء عدّة الطلاق قبل الدخول بهن ، ودليل ذلك الآية ٤٩ من سورة الأحزاب – التي بصددها – [٤].

أي أنّ الخطاب موجه إلى الذين صدقوا الله ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا عقدتم النكاح على النساء المؤمنات ثمّ وقع الطلاق قبل الدخول بهن فليس هناك عليهن عدّة،

---

(١)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ١٤ / ٢٠٢-٢٠٣ .

(٢)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٦ / ٤٤٠ .

(٣)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ٤ / ٣٨٣ .

(٤)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٥٩-٦٠ .

والعلّة من تخصيص الخطاب بالمؤمنات دون غيره إنّما هو إرشاد وتوصية للمؤمنين بأن لا يكون لهم إلّا التزوج بالمؤمنات ؛ لأجل التحصين للدين[١].

الحكم الوارد في الآية هو حكم استثنائيّ في عدّة النساء المطلقات ، فإذا وقع الطلاق قبل أن يدخل عليها الزوج فلا تلزم العدّة ، وأمّا لفظ المؤمنات فهو لا يعني أنّ الزواج من غير المسلمات ممنوعًا إنّما ذكرهن للأولوية [٢].

تبين الآية حكمًا ، فإذا عقد المؤمن على امرأةٍ وبعد ذلك طلقها قبل مسّها فلا تكون عليها عدّة ، بل يجوز لها الزواج بعد الطلاق مباشرةً ، مع دفع نصف الصداق لها ، وهذا ما ورد ذكره في القرآن الكريم [٣].

من الأحكام الخاصة بالمعاملات العامة والمتعلقة بأحكام النكاح هو الطلاق للمرأة غير المدخول بها فقد بيّنت الآية الكريمة أنّ المرأة إذا طلقها الرجل قبل أن يمسّها فإنّه لا عدّة عليها وصيغة الخطاب الوارد في الآية هو الأمر لقوله : ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ والتسريح هنا يقصد بهِ الطلاق ، لذا فعلى المؤمن تطبيق هذا الأمر وفق ما ورد في الآية الكريمة كونه حكم صادر عن الله تعالى يجب تنفيذه ، ويبدو لي من خلال استقراء الآية الكريمة مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالأمر لدلالة النداء للذين آمنوا وقُرن بفعل الأمر.

---

(١)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١١ / ٣٧٣ .

(٢)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ١٠ / ٤٤٣.

(٣)ظ : محمد تقي المدرسيّ /من هدى القرآن ، ١٠ / ٣٦٣ .

١٢- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ البقرة: ١٧٨

إنّ الآية القرآنية تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي بيّنها القرآن الكريم ، وهو الإيمان المقترن بالأوامر وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو إيمان ، ثمّ قَرَنَهُ بأمرٍ ورد بصيغة المصدر النائب عن فعل الأمر هو ﴿ فَٱتِّبَاعُۢ ﴾ .

وقد أورد المفسرون بيان للآية الكريمة منها :

أي فرض عليكم لكن ليس من باب الواجب على ولي القتيل القصاص من القاتل فلا يتوجب عليه أن يطبق عليه الحدّ ، إلّا أنّه يمكنه العفو عنه وأخذ الدّية منه فهو مباح في ذلك وله أن يأخذها أو لا يأخذها فهو مخير ، كما بيّنت الآية على أن يكون القصاص الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى، كما لا يجوز قتل غير القاتل[١].

﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ ﴾ أي الصفح عن القاتل وتركه من الواجب عليه وهو القصاص في القتل العمد والقبول بالدّية المقدمة من ذوي القاتل ، ومعنى العفو هو قبول

الدّية في القتل العمد وهذا رأي أغلب المفسرين [١] .

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٣/ ٩٣ .

كُتب عليكم أي فرض عليكم وإثبات ، وقيل كُتب في اللوح المحفوظ فهو تشريع إلهي يقتضي التنفيذ بأن يُسلم القاتل للقصاص لإقامة الحدّ عليه إذا أراد ولي القاتل ذلك والانقياد لأمر الله تعالى لأجل تحقق العدالة بين الناس ، أو أن يكون الإعفاء من قبل ولي المقتول مع دفع الدّية له أو من دون الدّية فذلك أمر راجع له أباحته الشريعة المقدسة له ؛ لوقف الاعتداء وحفظ المجتمع وعدم دخوله في النزاعات والثأر فقد يؤدي ذلك إلى تفكيكه وتهديمه [٢] .

معنى الآية أنّه فرض عليكم واجب المساواة في القتل أي تحقيق المساواة بما يفعل في القاتل مثل فعله بالمقتول ، وقد خصّ في ذلك الخطاب القتل العمد الذي يُوجب فيه القصاص دون الخطأ ، وأولياء القتيل في أمرين بين القصاص من القاتل أو العفو عنه وأخذ الدّية [٣] .

صور القصاص هو ما فرض الله تعالى من خلال هذا الحكم على القاتل إذا أراد ولي القتيل تطبيق الحدّ عليه في القصاص وإن شاء تركه وعفا عنه ، وإمّا يأخذ الدّية أو يتنازل عنها ، ونبذ ما كان معروفًا عند أهل الجاهلية بقتل شخص آخر غير القاتل او قتل الحر بالعبد أو الرجل بامرأة ، وهذا الأمر يرفضه الإسلام جملة وتفصيلًا ، فهو يبين العدالة الإلهية والاجتماعية ، ومع القسط الذي وضعه الله من خلال التشريع الإسلامي الذي سنّه في القرآن الكريم [٤].

(١)ظ : الثعلبيّ / الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، ٤/ ٣٦٠ .

(٢)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ١ / ٢٤٤ .

(٣)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ١/ ٣٦٨.

(٤)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ٢ / ٢٤٥ .

يحاول القرآن الكريم من خلال هذا الحكم محاربة الصراعات والنزاعات التي أدت لتفرقة المجتمع فتطبيق شرع الله سبحانه بالقاتل ووفق ما جاءت بهِ الشريعة المقدسة والقصاص منه قد قلل تلك الصراعات والنزاعات ولجمها [١].

ذكر القرآن الكريم الأحكام التي تقوم بإصلاح المجتمع الإسلامي ويُحسن أحواله وصلاح الأفراد ومن بين تلك الأحكام القصاص من القاتل كونه من المسائل المهمة التي تؤدي إلى حفظ النفوس ، فقد كان العرب في الجاهلية عندهم من العادات السيئة السائدة كالثأر وأخذ الغنائم وغيرها قد شتت شمل الأمة وخلق بينها العداوات والنعرات ، فقد كان الرجل منهم يقتل أي شخصٍ يصادفه لأجل سرقة ماله أو تسليب مؤنته ، فيعمد أهل القتيل لقتل أي شخصٍ من أولياء القاتل حتى وإن كان بريء ، وهذا ما خلف صراعات ونزاعات امتدت لسنوات طويلة بحجة أخذ الثأر [٢].

في الآية أحكام منها لا يقتل مسلم بكافر وإن كان الكافر ذمّيًا ، وهذا ما أجمع عليه علماء الإمامية والكثير من علماء الجمهور [٣].

معنى الآية أنّ الإسلام قد أقرّ العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع من خلال عقوبة القصاص ، فهي عقوبة زاجرة تمنع الناس من ارتكاب المعاصي ، والخطاب القرآني يوجه المؤمنين إلى أنّ عقوبة القاتل هي الاقتصاص منه ويرفض كل العادات المستشرية في المجتمع وهي عادات جاهلية خلقتها العادات السيئة المنتشرة في ذلك المجتمع المتخلف من الظلم والبغي والعدوان ، فقد بيّنت الآية الأحكام الخاصة بالقصاص ، فالحر بالحر والعبد

---

(١) ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٤٨٩ .

(٢) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٢ / ١٣٤-١٣٥.

(٣) ظ : محمد جواد البلاغيّ / آلاء القرآن ، ١ / ١٥١ .

بالعبد والأنثى بالأنثى ، كما يرفض الظلم في تطبيق ذلك القصاص ففرد واحد بمقابل الفرد المقتول ، فالعدل يتطلب عند تطبيق القصاص فلا يكون الكثير بالقليل ولا السيد بالمسود ، فمن عفا من أولياء القتيل تكون الدّية هي العوض عن دم المقتول، والعفو يكون بقبول الدّية أو عدم قبولها[١].

ورد في الآية حكم هام وضعه الإسلام وهو تثبيت لذلك الحكم وفيه شقان أمّا القصاص في حال عدم التنازل من أهل المقتول على الأخذ الدّية ، وإن وافقوا كان هناك دّية مدفوعة لهم وهذا ما يحفظ حرمة الدماء ، وتعدّ هذه مسألة هامة في الحياة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، وهي تضع حدًّا للعادات الجاهلية التي كانت مسيطرة على المجتمع [٢] .

عند تتبع أقوال المفسرين في بيان مفهوم الآية في القصاص من القاتل في حكم القتل والمقصود بهِ القتل المتعمد لا القتل عن طريق الخطأ أو القتل شبه المتعمد فهذان لهما أحكامًا خاصة قد بيّنتها الشريعة المقدسة، وبلحاظ الأقوال للعلماء في هذه المسألة يتبين أنّ القرآن الكريم قد أراد معالجة مشكلة كبيرة قد عانى منها المجتمع على مرّ العصور والأمثلة كثيرة على ذلك منها خلفت حروبًا كبيرةً امتدت لسنوات حرقت الحرث والنسل، ولأسباب يمكن معالجتها لو دخلت الحكمة فيها إلّا أن العصبية القبلية والعادات السائدة في ذلك الزمن قد زاد الطين بلةً فتوسعت المسائل البسيطة وأشعلت حروبًا ذهب فيها الأبرياء دون ذنب والسبب يرجع لعدم إحكام العقل فيها ، فجاء الإسلام لكي يثبت الأحكام العادلة للإنسان والحيوان والنبات ايضًا ويضع المجتمع تحت وصاية تلك الأحكام لجعله مجتمعًا مثاليًا بعد أن كانت تسوده العادات السيئة المقيتة التي أزهقت أرواح الكثير من الناس بداعي الثأر وغيرها.

---

(١)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١ / ٤٧٠ – ٤٧١ .

(٢)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ١ / ٤١٢ .

أمّا الخطاب الوارد فهو بصيغة الأمر الذي يوجب بالقصاص من القاتل ووفق المعايير التي ورد ذكرها في الآية إلّا من الاستثناء الوارد فيها وهو تنازل أهل المقتول عن القاتل وعدم القصاص بهِ مقابل دفع الدّية إذا أراد صاحب الحقّ أو التنازل عن الدّية إن أراد وهذا من باب العدل والانصاف في هكذا مسائل لحقن الدم، وبلحاظ الآية الكريمة نجد أنّ الخطاب الوارد للمؤمنين يوجبهم من خلال الأمر الصادر بتطبيق الاحكام الخاصة بالحدود والدّيات ويظهر لنا مستوى من المستويات الإيمانية التي وضحها القرآن الكريم بخطاباته هو الإيمان المقترن بالأمر في من عفى ويوصي إتّباع بالمعروف أي إتّباع بالخير في الصفح والعفو.

يتضح لي ممّا تقدّم في هذا المبحث أنّ القرآن الكريم ومن خلال خطاباته للمؤمنين قد حشدَ نصوصًا قرآنية بما يعطي وجودًا لمستوى إيمانيّ هو (الإيمان المقترن بالأمر) فقد صدّر تلك النصوص بقولهِ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وقرنها بأوامر ، فهو مستوى إعدادي للمؤمن تأهيلي إنِ التزم بتلك الأوامر في باب (العقيدة) ، و(الأحكام) ارتقى من مستوى التصديق القلبيّ والاقرار باللسان أي مستوى التأصيل والسلوك فقد طبق ما أُمر بهِ ، وإن لم يلتزم يبقى في دائرته من دون رقي بل يحظى بالعقاب جزاء مخالفة الأوامر الصادرة من الله تعالى .

المبحث الثاني : الإيمان المقترن بالنواهي :

من المسائل التي أخذت حيّزًا في الخطابات القرآنية المتعلقة بأفعال العباد بقبال الأوامر هي النواهي فقد ورد ذكرها في كثيرٍ من المواضع القرآنية وخاصةً في موضوعات العقيدة والأحكام ، وبالرجوع إلى تلك النواهي والموضوعات الواردة فيها نلحظ عدة فوائد منها ولعل أهمها هو الكف والابتعاد عن طريق المعصية وحثّ وتوجيه المؤمنين عن السير في الطرق غير المشروعة ، كما أنّ من النواهي توعية للحفاظ على الفرائض والواجبات وعدم تضييعها، كما أنّ ذلك كلّه له علاقة وثيقة بإيمان العبد ومستوياته فمتى ما طبق العبد تلك الأحكام وكفّ نفسه عن النواهي زاد إيمانه واقتربت منزلته من الله تعالى ، والشواهد كثيرة في ذلك أبرزها ما ورد حول الصلوات الواجبة وفريضة الحجّ وغيرها ، لذا كان لزامًا على المؤمن تطبيقها والكف عمّا نهي عنه .

وسيتم عرض بعض الشواهد القرآنية المتعلقة بالنواهي :

١ – قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ ...وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ... وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾

المائدة: ٢

إنّ النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم هو الإيمان المقترن بالنواهي وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو إيمان ثمّ قَرَنَه بالنهي في قوله : ﴿ لَا تُحِلُّواْ ﴾ و ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ ﴾ .

الأقوال الواردة في معنى الآية :

ورد في معنى الآية عن ابن عبّاس قال : " يعني بذلك مناسك الحجّ، وقال مجاهد : " تعني الصفا والمروة والهدي والبُدن من شعائر الله " [١] .

في الآية الكريمة خطاب من الله تعالى إلى المؤمنين في النهي أنّ يحلوا شعائر الله تعالى فيضيعوها ، وقد اختلف في معنى الشعائر منها ما ورد عن ابن عباس وابن جريح أنّها

مناسك الحج ومعناه : أن لاتحلوا مناسك الحج فتضيع [٢] .

فهو يراد بهِ تحريم الصيد وقت الإحرام في الحج [٣] .

أي يأيّها المؤمنون لا تحلّوا الشعائر الإلهية وقصد بها مناسك الحج ، والقصد بإحلال الشعائر هو استباحتها والتهاون بتأديتها وبحرمتها والاخلال بأحكامها ، والهدي هو ما يقدمه الحاج من الذبائح لتذبح في الحرم وهو جزء من مناسك الحج ، ثمّ تتحدث الآية في قضية الصيد أثناء الإحرام الذي يكون محظورًا على الحاج أن يقوم بهِ فتقول الآية أنّه يحل للحجاج أن يصطادوا بعد القضاء من الإحرام وترك مكان الحج فيبيح لهم الصيد [٤] .

من بين الأحكام الإلهية الإسلامية الواردة في الآية الكريمة والتي ورد ذكرها هو الطلب من المؤمنين بعدم انتهاك الشعائر الدينية وعدم المساس بها أو اختراق قدسيتها ، واختلف المفسرون فيما يقصد بالآية في لفظة [الشعائر] ماذا عني بها ، كون القرينة الظاهرة في وقت

---

(١) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٩ .

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٣/ ٤١٨ .

(٣)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٦ / ٨١

(٤)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٣ / ٤١٥.

نزولها تؤكد أنّها نزلت في نفس السنة لحجة الوداع وهي السنة العاشرة للهجرة وهي آخر حجة أداها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيتضح أنّ المقصود بالشعائر في الآية هي مناسك الحج التي أكدت باحترامها كلّها ، فالآية مقترنة مع الحديث عن مناسك الحج ، كما ورد في الآية إلى حرمة المساس بالقرابين الخاصة بالحج كالذبح سواء يشمل الهدي الذي يشتمل على علامة أو من ليس فيه علامة كالقلائد ، فقد نهتِ الآية المباركة على ذبحها والأكل منها حتى تقدم إلى محل القربان للحج في وقتها المحدد ، كما أوصت وأوجبت الآية إلى احترام الحرية للحجاج ونزع الفوارق وخاصة تك المتعلقة بالطبقة والعرق والقبيلة، وفي تأكيد للآية إلى حرمة الصيد في أثناء الإحرام فقط فمتى ما كان الحاج محرمًا لا يحقّ له الصيد ويحرم عليه ، ويكون مباحًا له الصيد وقت الإحلال [1] .

رغم الاختلاف الموجود بين العلماء في معنى –الشعائر – في الآية واختلافهم في ذلك ، فقد اعتبره البعض لفظ عام شامل لجميع الشعائر الإلهية ، إلّا أنّ الكثير من العلماء المفسرين منهم وبعض الصحابة ذاهب إلى أنّها مناسك الحج لعدة قرائن موجودة من بينها سياق الآية وذكر حكم الصيد بعد الإحرام وحليته وإباحته ، والقرينة الأخرى هي نزول الآية تزامنًا مع آخر حجّة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي أطلق عليها حجّة الوداع يبيّن أنّ الخطاب خاصّ بشعيرة الحج التي فرضها الله على عبادهِ .

وتدعو الآية الكريمة بالنهي عن تضييع مناسك الحجّ أو التفريط بها أو التعدي عليها كونها أوامر من الله تعالى لحفظ قدسية هذه الفريضة والالتزام بشعائرها التي وضعت من قبل الشريعة المقدسة ، وتحثّ المؤمنين على الالتزام بها كي يحافظوا على إيمانهم .

---

(١) ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٣ / ٤٠٨ – ٤٠٩ .

وبتتبع سياق الآية الكريمة وما ورد فيها من خطاب يظهر أنّ الآية تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالنواهي .

٢- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴾ المائدة:٩٥ .

إنّ النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم هو الإيمان المقترن بالنواهي ، وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو إيمان ثمّ قُرِنَ مباشرة بالنهي هو : ﴿ لَا تَقۡتُلُواْ ﴾ .

الآية صريحة في الحكم الوارد فيها ، فهي تنهى عن الصيد فيما لو كان المرء في الإحرام أو كان محلًا داخل الحرم ، ومن يفعل ذلك فقد ترتبتْ عليه كفارة من النعم أو إطعام مساكين ، فمن لم يكن عنده ما يدفعه لكفارته فإنّه يصوم بدلًا من ذلك .

ما جاء بسندٍ عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : " لا تستحلن شيئًا من الصيد وأنت حرام ولا وأنت حلال في الحرم ولا تدلن عليه محلًا ولا محرمًا فيصطادوه ولا تشر إليهِ فيستحل من أجلك فإنّ فيه فداء لمن تعمده " [١].

فالرواية الشريفة تحظر الصيد أثناء الإحرام ، ومن يفعل ذلك فقد ترتب عليه وجوب دفع الكفارة ، ومقدار الكفارة كما هو مشار إليها في الآية الكريمة .

---

(١) محمد جواد مغنية/ التفسير الكاشف ، ٣ / ١٢٨ .

وما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : " إذا أصاب المحرم الصيد ولم يجد ما يكفر من موضعهِ الذي أصاب فيه الصيد قوم جزاؤه من النعم دراهم ثم قومت الدراهم طعامًا لكلّ مسكين نصف صاعٍ فإن لم يقدر على الطعام صام لكلّ نصف صاع يومًا " [١] .

والرواية في الذي لم يجد ما يكفر به من النعم ، يتم تقييم بدل الذبيحة مالًا، ثمّ يقيم المال طعامًا ويعطى للمساكين كلّ مسكين نصف صاعٍ ، فمن لم يجد بدل الطعام يصوم عوضًا عن ذلك .

وفي حكم من عاد وقتل صيدًا مرة أخرى متعمدًا فعل ذلك ، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : " المحرم إذا قتل الصيد فعليه جزاؤه ويتصدق بالصيد على مسكين ، فإن عاد فقتل صيدًا آخر لم يكن عليه جزاء ، وينتقم الله منه والنقمة في الآخرة " [٢] .

وعن الإمام علي بن الحسين(عليهما السلام) قال : " صوم جزاء الصيد واجب " [٣].

الرواية تبيّن كفارة الصوم بالنسبة للمحرم إذا أصاب حيوان واجب عليه أن يقضيه. أمّا المكان الذي تذبح به كفارة الصيد إذا كانت الكفارة من النعم فهو الكعبة المشرفة لقوله تعالى: ﴿ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ ﴾ وهذا ما صرحت به الروايات الشريفة فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: " من وجب عليه هدي في إحرامه فله أن ينحره حيث شاء إلّا فداء الصيد فإنّ الله عزّ وجل يقول :﴿ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ ﴾ " [٤].

---

(١) الكلينيّ / الكافي ، ٤ / ٣٨٧ ، ومحمد باقر الإيروانيّ / تفسير آيات الأحكام ، ١ / ٢١٦ .

(٢) الطوسيّ / الاستبصار ، ٢ / ٢٦٠ ، والطباطبائيّ / الميزان ، ٦ / ١٤٤ .

(٣) العياشيّ / تفسير العياشيّ ، ١ / ٣٧٢.

(٤) الكلينيّ / الكافي ، ٤ / ٣٨٤.

من الأحكام المتعلقة بفريضة الحجّ والتي ورد ذكرها في الآية الكريمة هو النهي عن الصيد مادام المؤمن في حال الإحرام لذا يتوجب على كل مؤمن قاصدًا بيت الله الحرام الالتزام بتلك الأوامر كونها صادرة من الله عزّ وجلّ ومن لم يلتزم بها فقد فرض الله تعالى عليه بعض الأحكام الأخرى وتعدّ بمثابة الدّية ليكون هناك رادع لمثل هكذا مخالفات وإذا نظرنا في الخطاب الوارد في الآية نجد أنّه جاء يخاطب الذين آمنوا وينهاهم عن فعل المحرمات أثناء تأدية مناسك الحج ، ويبدو لي من خلال النص القرآني الكريم مستوى من المستويات التي بيّنها القرآن الكريم هو الإيمان المقترن بالنهي .

٣- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦ ﴾ الأنفال: ١٥ – ١٦

إنّ النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالنواهي ، وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وهو إيمان ثمّ قرنهُ بالنهي هو ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ﴾ .

الآية الكريمة تؤكد على عدم الهروب أمام العدو عند المواجهة في القتال والمرابطة بكلّ ما أُوتي المؤمن من قوة ومَن يتخلف أو يولي الدبر فقد باء بغضب الله ، ومن الروايات الشريفة الواردة في بيان معنى المرابطة والجهاد : ما ورد عن الإمام الصادق عن أمير المؤمنين

(عليهما السلام) لأصحابه: " إذا لقيتم عدوكم في الحرب فأقلوا الكلام واذكروا الله عزّ وجلّ ولا تولوهم الأدبار فتسخطوا الله تبارك وتعالى وتستوجبوا غضبه " [١] .

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال : " فمن انهزم حتى يجوز صف أصحابه فقد باء بغضب من الله" [٢] .

أمر الله تعالى المؤمنين في الآية الكريمة بعدم التولي يوم الزحف أمام المشركين حتى وإن كانوا فئة قليلة ، فلم يعطهم الحقّ بالفرار أمام العدو ، وقد اعتبر الفرار يوم الزحف من الكبائر ومن الموبقات ، وهو ما صرح بهِ ظاهر القرآن الكريم واتفقت عليه الأمة من الجمهور ، كما ذهب بذلك الكثير بأنّ الآية ليست خاصة بمناسبة معينة كما ذهب بعضهم أنّها خاصة بيوم بدر ، وأنّها لفظ عام يشمل كل زحفٍ إلى يوم القيامة كما ذهب لذلك ابن عباس والشافعي وأكثر علماء الأمة ، واعتبرت من الكبائر والموبقات السبع التي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي عُدَّ التولي يوم الزحف واحدة منها ، وذهب قوم أنّ حتى شهادته لا تقبل ، والذي يفعل ذلك فقد استحق الغضب الإلهي ومأواه جهنم وبئس المصير [٣] .

توعد الله تعالى الذين يفرون من الزحف بالنار ويحذرهم أن يفروا ويتركوا أصحابهم ، والذي يتولى دون سبب موجب لتوليه فيعتبر حرام وهو آثم وكبيرة من الكبائر حتى أنه عدّها رسول الله من الموبقات السبع فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد ذكر سبع

---

(١) الكلينيّ / الكافي ، ٥ / ٤٢ .

(٢) حسين الطبرسيّ / مستدرك الوسائل ، ١١ / ٧٢ .

(٣) ظ : القرطبيّ / الجامع لأحكام القرآن ، ٧/ ٣٨٠ – ٣٨٤ .

موبقات ومنهن التولي يوم الزحف [١] .

نهى الله تعالى المؤمنين إذا لقوا الكفار أنّ ينهزموا ويفروا أمامهم ، وظاهر الآية أنّه لفظ عام شامل لكل المؤمنين وفي كل زمانٍ ، وذهب بعضهم إلى القول بأنّ الخطاب خاصّ بيوم بدر منهم عمر وابن عمر وابن عبّاس وأبو هريرة وقتادة وغيرهم ، وهذا التحريم خاص بها، وذهب الجمهور إلى القول أنّ الآية فيها لفظ عام غير مخصص يشمل كلّ زحفٍ فهو محرم والآية نزلت بعد انقضاء معركة بدر فهي شاملة لكلّ زحفٍ ، كما وورد أنّ التولي من الزحف من الكبائر والموبقات التي وردت عن رسول الله بالرواية المعروفة "اجتنبوا السبع الموبقات...منه التولي يوم الزحف" وقد وردت الرواية في البخاري ومسلم، ومن يفعل ذلك–الفرار من الزحف– فقد رجع بغضب من الله وأنّ النار هي المأوى وبئس المصير، فهي عقوبة قاسية له[٢].

معنى الآية أي أنّكم إذا لقيتم الذين كفروا في الحرب ووجدتم أنّهم كثيرون فلا تنفروا ولا تولوا، فالآية تنهاهم عن التقهقر والانسحاب من ميدان المعركة وعدم إعطاء فرصة للعدو للنصر وكسب المعركة ، وظاهر الآية هو تحريم التولي ويشمل الفرد والجماعة فهو سواء في هذا الحكم فلا يحق لهم التولي عند ملاقاة الأعداء في القتال، فالواجب عليهم الثبات والصبر عند مواجهة الكفار ونيل إحدى الحسنيينِ النصر أو الشهادة [٣] .

في الآية خطاب للمؤمنين بعد الفرار من الجهاد فهو ممنوع وتأمرنا بالقتال والمواجهة في ميدان الحرب حتى وإن كان العدو قوي وكثير وكان المؤمنون قليلين ، فلا يجب الفرار من ساحة الحرب ، فالفرار من الحرب يعدّ من كبائر الذنوب –كما مرّ ذكره– وتذكر الآية

---

(١)ظ : ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم ، ٤/ ٢٧–٢٨ .

(٢)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ٢ / ٤٢٢–٤٢٣ .

(٣) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٩ / ٢٨٧و ٢٩١ .

الكريمة وجزاء من فرّ من الحرب قد باء بغضبٍ من الله وأنّ هذا الغضب مستمر ودائم عليهم وهذه إشارة واضحة في الآية المباركة ، وختمت الآية أنّ مصير الفارين من المعركة هي جهنم وبئس المصير [١] .

وقد سئل الإمام الرضا (عليه السلام)عن فلسفة تحريم الفرار من الزحف فقال : " حرّم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين، والاستخفاف بالرسل والأئمة العادلة، وترك نصرتهم على الأعداء والعقوبة لهم على ترك ما دعوا إليه من الاقرار بالربوبية، وإظهار العدل، وترك الجور وإماتة الفساد، لما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين، وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطال دين الله عزّ وجلّ وغيره من الفساد " [٢] .

الآية الكريمة تتحدث عن حكم من أحكام الجهاد في سبيل الله تتناول فيه مسألة الفرار من الزحف والهروب عن مواجهة الأعداء والتي عدّت من الكبائر ومن الموبقات لذا كان الخطاب الوارد في الآية شديد اللهجة وفيه من الوعيد لمن يتخلف عن الزحف أو يهرب وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن ذلك الفعل حتى لا يصيبهم غضب من الله تعالى وتنالهم عقوبته جلّ وعلا ، لذا كان فيها من التحذير بعدم القيام مثل ذلك العمل لأنّ الإيمان بالله تعالى يتعارض مع فعل الكبائر والفرار من الزحف كبيرة .

ويبدو جليًّا من سياق الآية المستوى الإيماني وهو الإيمان المقترن بالنهي ، فمن يفر من الزحف فقد خالف أمر الله تعالى ومن يخالف أمره عزّ وجلّ فقد أصابه غضب من الله ولا يجتمع إيمان المرء مع الغضب الإلهي كونه قد خرج من دائرة الإيمان .

---

(١) ظ : ناصر مكارم الشيراوزيّ / الأمثل ، ٥/ ٣١-٣٢ .

(٢) ظ : ناصر مكارم الشيراوزيّ / الأمثل ،٥/ ٣٣ .

٤ – قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ... ﴾ النساء: ٢٩

في الآية يظهر مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو إيمان مقترن بالنهي وما يؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو إيمان ثمّ قرنه مباشرة بالنهي هو ﴿ لَا تَأۡكُلُوٓاْ ﴾ .

في بيان معنى الآية ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : " البيع عن تراضٍ والخيار بعد الصفقة ... " والقصد من البيع وشرطه التخيير ، إن شاء أخذ وإن شاء ترك ، وهو أن يخير أحد المتبايعينِ بعد اتفاقهما على البيع بينهما ، فإن حصل بيع بينهما بإمضاء عقد البيع أو نقضه ويحصل التراضي بينهما [١].

وقد أحلّ الله تعالى الكسب عن طريق التجارة ومنه قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴾ البقرة: ٢٧٥، ومعنى ذلك هو التراضي بالتجارة [٢] .

وقصد بالآية الكريمة هي أكل الأموال بواسطة التجارة جائز ، وهذا بالإجماع ، وذكر الجمهور على أنّه جواز الغبن في التجارة ، أي أن يبيع خسارة فيبيع الرجل شيئًا يساوي مئة درهم بدرهم واحد فقط ، فهذا جائز ، كون الآية تبين أنّ التراضي في البيع جائز ومعناه رضا

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٦ / ٦٣٠ –٦٣١ .

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٣ / ١٧٩ .

الطرفين في البيع [١].

وقصد منها المبايعة ووصفها أنّها عن طريق التراضي لكلِّ طرفٍ منهما ، وفي التجارة أمران إمّا إمضاء البيع بالتصرف أو التخيير أو البيع بالعقد فقط [٢] .

معنى التجارة في الآية المباركة هو البيع والشراء الذي يكون عن تراضٍ [٣] .

عن مجاهد معنى التجارة هي البيع ، وفي حديث مرفوع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا " ، وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) " إذا تبايع الرجلان فكل منهما بالخيار ما لم يتفرقا " [٤] .

وقصد من التجارة تمام البيع والتراضي فيه باللسان وأن يختار أحدهما في البيع بالقبول [٥] .

وعن ابن عباس قال " أنّ النبيّ صلى الله عليه آله وسلم بايع رجلًا ثم قال له : اختر فقال : قد اخترت فقال : هكذا البيع " [٦] .

البيع يراد بهِ التجارة وقد تنشأ عنها زيادة في الأموال والأرباح ففيه الفائدة للصناعة والناس ، فهي واسطة نافعة لكليهما ، كما هو ترويج للبضاعة وتسويقها خدمة للطرفين [٧] .

---

(١)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٢ / ٤١ .

(٢)ظ : الطبرسيّ / مجمع البيان ، ٣ / ٥٧ .

(٣)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ٥/ ١٥١ .

(٤)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ٢٦٩ .

(٥)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ١ / ٧٣٢ .

(٦) السيوطيّ /الدر المنثور ، ٤ / ٣٥٢ ، وعبد الأعلى السبزواريّ /مواهب الرحمن ، ٨ / ١٢٧ .

(٧)ظ: سيد قطب / في ظلال القرآن ، ٥ / ٦٣٩ .

وقد ورد حديث لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يقول أحدهما للآخر اختر" [١] .

توصي الآية الكريمة بأن يأكلوا الأموال بالتجارة التي تقوم بتراضي الطرفين ضمن قواعد الشرع المقدس ، وهذه التجارة شملت كلّ العقود والعروض التي قصد بها الربح، فليس كل تراضٍ يحلّ فيجب أن يقع التراضي ضمن حدود الشرع [٢] .

والتجارة في الآية تشتمل على البيع والإيجار والرهن وأن تكون تلك التجارة بعيدة عن الإكراه والجبر والخداع فهي قائمة عن طريق التراضي [٣] .

بلحاظ ما ورد من الأقوال بيان واضح في كيفية البيع والطريقة التي يتم بها ، كما أنّ البيع الذي ورد ذكره هو البيع الحلال من الوجه الشرعيّ ، والذي يكون بعيدًا عن استغلال حقوق الناس وأموالهم ، ولا تدخل فيه الأطماع والطرق غير الشرعيّة ، فليس كل بيعٍ قد أحلّته الشريعة المقدسة فهناك من البيوع ما حرمها الشارع وكلّ له أسبابه الموجبة للتحريم ، فمن التجارة والبيع ما كان فيه ضرر اقتصاديّ ونفسيّ على المجتمع كالرّبا وغيره ، ومنه ما يكون التبادل بالسلع مقابل المال عن تراضٍ فيه اتفاق الأطراف ومنفعة لهم ولكنه ضرره أكثر من نفعه ، فهو مؤثر في المجتمع في كثير من الجوانب ، كما هو الحال في المتاجرة بالخمر ولحم الخنزير والميتة غيرها من الأصناف التي حرمها الشارع المقدس لما تلحق من الأضرار الجسيمة في المجتمعات التي تتفشى فيها، إذ يكون ضررها صحيًا وأخلاقيًا واقتصاديًا وإلى غيرها من الأضرار التي تصيب الناس في المستقبل .

---

(١) محمد الطباطبائيّ / الميزان ، ٤/ ٣٢٩ .

(٢) ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٣ / ٣٣ .

(٣) ظ : محمد تقي المدرسيّ /من هدى القرآن ، ٢ / ٦٤ .

وبتتبع الآية الكريمة وما فيها من النهي الموجه للمؤمنين وحثّهم بالابتعاد عن الطرق غير المشروعة عن طريق النصب والاحتيال لأخذ أموال الناس بالباطل ومن يفعل ذلك فقد خالف أمر الله تعالى ومن يخالف أمره عزّ وجلّ فقد سقط إيمانه لذا توصي الآية الكريمة بأن يكون الكسب عن طريق التجارة والكسب الحلال حتى لا يكون هناك تلاعب وأكل أموال الناس بالباطل .

ويبدو لي مستوى إيماني من المستويات الإيمانية التي أشار إليها القرآن الكريم من خلال الخطاب الإلهي إلى المؤمنين وهو الإيمان المقترن بالنواهي فمتى ما التزم المؤمن بما دعاه الله تعالى وتجنب ما نهى عنه كان مؤمنًا حقيقيًا يستحق المنزلة الرفيعة .

٥- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ آل عمران: ١٣٠

إنّ الآية القرآنية تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالنواهي ، وممّا يؤكد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو إيمان ثمّ قَرَنَهُ مباشرة بنهي هو ﴿ لَا تَأۡكُلُواْ ﴾ .

الخطاب القرآني صريح في تحريم الرّبا والنهي عن التعامل به بكلّ أشكاله فهو يدعو إلى الابتعاد عن وتجنبه ، وإن كان الإنسان يعمل به ، فإنّه يتوب إلى الله لعل الله يغفر له ويتوب عليه .

وما ورد عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) قال: " إذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم " [١] .

ظاهر الرواية يبين أنّ اختلاف المادة المتعامل بها تنفي تحقق الرّبا ، وهو نص الرواية الشريفة .

وفي رواية عن زرارة عن الإمام الصادق (عليه السلام) فيمن يتحقق الرّبا قال : " لا يكون الرّبا إلّا فيما يكال أو يوزن " [٢] .

ومن جملة المفسرين الذين تكلموا عن مفهوم أو في بيان هذه الآية ما ورد :

الآية توجه خطابها إلى المؤمنين بعد أكل الربا بعد إسلامهم ، وقد شملتهم هداية الله تعالى وليس هو الحال كما كانوا في الجاهلية عندما يؤخر الدين فيقوم الدائن بمضاعفة المال المدين مقابل إمهاله فترة أخرى لأجل استرداد المال مضاعفا ، وهو ما تحدث به الآية أضعافًا مضاعفة ، والتقوى التي ذكرتها الآية هي خطاب للمؤمنين أيضًا لأجل تقوى الله في أمر الرّبا وعد أكل المال عن طريق الرّبا ، وفي غير ذلك فهو شامل لكلّ أمر الله تعالى للمؤمنين والواجب تطبيقه وتنفيذه كي ينجحوا وينجوا من عقابه عزّ وجلّ وأن يثيبهم بالخير على عملهم [٣].

---

(١) حسين الطبرسيّ / مستدرك الوسائل ، ١٣ / ٣٤١ .

(٢) الكلينيّ /الكافي ، ٥ / ١٤٦.

(٣)ظ: الطبريّ / جامع البيان ، ٦ / ٤٩-٥١ .

الآية تتحدث بالنهي عن الرّبا ، وقيل هو ربا الجاهلية وزيادة المال عند تأخيره ، فيدخل فيه الزيادة المحرمة في التعامل من جهة مضاعفة المال ، والتقوى المذكورة في الآية هو اتقاء الله تعالى وترك معاصيه [١].

تشير الآية إلى حرمة أكل الرّبا وقد وصفت الآية حال العرب في أكل الربا فهم يضاعفون الدّين فكان الدائن يخير المديون إمّا قضاء دينه أو أن يربي ومضاعفة وهو إشارة إلى تكرار التضعيف سنة بعد أخرى ، فكانوا يُبقون الدين على المدين لقاء مضاعفة الدين فقد يصل المبلغ الفاحش ، وقد دلّت الآية على قبح ذلك العمل وحرمت الآية كافة أنواع الرّبا ، وهذا ما فهم من الآية [٢].

الخطاب موجه إلى الذين صدقوا بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد الأكل والانتفاع من الرّبا كونه منهي عنه من قبل الله عزّ وجلّ ، وبالتالي فهو حرام التعامل به ، ومعنى الرّبا هو الزيادة والانتفاع منه بتأخير الأجل لزيادة الفائدة منه ، ووجه التحريم أنّ الله تعالى يرى المصلحة في تحريمه [٣].

تحريم الرّبا وعدم الزيادة على الدين هو ما ورد في الآية الكريمة ، كما يفعلون ويزيدون عليها مقابل تأخير تسديده ، كما هناك وعيد لمن يستحل الرّبا كما إنّ حكمه في الآية حكم الكافر [٤].

---

(١)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٢ / ٥٨٧ –٥٨٨ .

(٢)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ١/ ٥٠٧ .

(٣)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٢ / ٣١١ .

(٤)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ٤/ ٢٠٢ .

نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن التعاطي بالرّبا ، وهو ردّ لكلّ من يتعاطى الرّبا أن يصبر على المدين ؛ لأنّهم كانوا في الجاهلية إذا حلّ أجل الدين إمّا أن يسدد المال وإمّا أن يزيد عليه ، فيكون ذلك ربًا ، وهو معنى الآية لقوله أضعافًا [١].

الآية تتكلم عن إرشاد للمؤمنين إلى الأصلح لهم والأمر بترك الربا والنهي عنه ، كما أنّ الآية نازلة قبل الآية التي تتحدث عن الربا في سورة البقرة لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ البقرة: ٢٧٥ ، فالحكمة من تحريم الرّبا إنّما القصد منه حمل الأمّة وأن يواسي الغني الفقير من خلال إقراضه قرضًا حسنًا وعدم مضاعفة المال عليه أو لغرض إبعاد المسلمين عن التكاسل في استثمار الأموال عن طريق الرّبا واللجوء إلى التشارك والتعاون فيما بينهم [٢].

وقد استدل البعض على أنّ الآية قصد بها أنّ الرّبا الفاحش حرام ، أمّا إذا كان غير فاحشٍ فليس بحرامٍ والدليل لذكره أضعافًا مضاعفةً ، والصحيح أنّ الرّبا حرام بكلّ أشكالهِ ومراتبهِ قلّ أو كَثُر ولا علاقة للّفظة أضعافًا كونها قيّد في النهي ، إنّما هي إشارة لما كان عليه حال الناس أيام الجاهلية فهم كانوا يضاعفون المال أضعافًا بشكل فاحش [٣] .

الآية دالة على تحريم الرّبا من خلال النهي عنه وتقوى الله تعالى في الأموال التي تجمع عن طريق الرّبا وأكلها ، الوعيد لمن يستحلّ الرّبا ويعمل بهِ في النار ، والذي يستحلّه فقد كفر ، فالأمر أن يطيع الله تعالى في تحريمه كما يطيع رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في

---

(١)ظ : ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ١١٧ .

(٢)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٤ / ٨٤-٨٧ .

(٣)محمد جواد مغنية / تفسير الكاشف ، ٢ / ١٥٥ .

تبليغهِ للناس بتحريم الرّبا ، فقد كانوا يبيعون الأموال بالآجل ويزيدوا قيمتها ، فذكر القرآن الكريم ذلك من خلال القول أضعافًا مضاعفةً [١].

من بين أساليب القرآن الكريم هو محاربة الانحرافات الاجتماعية المتجذرة في المجتمع ما قبل الإسلام ، فالكل يعرف أن من بين تلك الانحرافات والمفاسد التي كافحها الإسلام وحاربها هو الرّبا ، حيث كان سائدًا في المجتمع الجاهلي وخاصة بمكة المكرمة ، وقد كشف القرآن الكريم الخطأ الذي يتصور بعض الناس بأنّ الرّبا يزيد من أموالهم والحقيقة أنّ الزكاة والإنفاق في سبيل الله هو من يزيدهم ويضاعف لهم مالهم ، أمّا الرّبا فهو ممحق للمال ، وفي قصده أضعافًا مضاعفة هو الرّبا الفاحش والزيادة الربوية غير المعقولة [٢] .

من الأخطار التي تضرّ بالمجتمع وتقطع أوصاله هو الرّبا فهو خطر على الوحدة الإسلامية والشخصية الرسالية لها ، فهو يشكل فجوة اقتصادية تؤثر في الأمّة ، فالفائدة الحاصلة من المال بمرور الزمن إنّما تؤثر على الفقير وتزيد مسكنته وتزيد الغني الشبع والجشع ، فهو خطر على المسلمين ، وبهذا تهتز الشخصية الإسلامية التي رسمها الدين في الحياة السعيدة للمسلم وضمان حقوقه ويتزعزع إيمانه ومواجهة العدو، فالرّبا تبدأ بذرة صغيرة تنمو لتنضج فتكون آفة على الأمّة ، لذا فالإسلام وقف ضده وحاربه وجعل الرّبا والمرابي كحال الكفر والكافر في نفس المنزلة [٣] .

من المسائل التي تهدد المجتمع الإسلامي وتفكك وحدته وتجعل اهتمامه بالدنيا دون الدين وتضعف وجوده هو الرّبا فنجد الإسلام قد حارب هذه الظاهرة الممتدة على مرّ العصور ودعا

---

(١)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٢/٤١٥.

(٢)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٢ / ٤٢٩ – ٤٣٠ .

(٣)ظ : محمد تقي المدرسيّ /من هدى القرآن ، ١/ ٦٥٥-٦٥٦ .

للقضاء عليها عن طريق محاربتها بشكلٍ جدي وفرض العقوبات عليها لأجل تخليص الناس منها ومن عواقبها ومن الآيات التي نهت عن ذلك هي الآية آنفة الذكر فهي تتحدث عن حرمة التعامل بالربا ووصفته بالأكل لما يؤثر في المجتمع والأفراد فيجعلهم في حالة ضعف أمام المال وأصحاب الأموال الذين يتعاملون بالرّبا ، ونجد أنّ الخطاب موجه للمؤمنين بالكف عن تلك الآفة التي تنخر بجسد المجتمع الإسلامي وتقضي عليه وتنهاهم عن التعامل بهِ وأن يتقوا الله تعالى في عملهم وإنّ من يفعل ذلك فقد خرج من دائرة الإيمان كونه لم يلتزم بتعاليم القرآن الكريم ولم يتجنب ما نهى عنه .

والذي يظهر لي من الآية الكريمة مستوى من المستويات الإيمانيّة هو الإيمان المقترن بالنواهي في باب الأحكام الخاصّة بالمعاملات ، ولكي لا يكون هناك شكّ أنّه تجارة أو بيع فقط بيّن القرآن الكريم ذلك الأمر وذكر بعواقبهِ وأنّه بحكم الكافر الذي لا يؤمن بالله تعالى؛ لأنّه من لم يلتزم بتعاليم الله عزّ وجلّ فليس بمؤمن.

٦- قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ البقرة: ٢٢١

إنّ الآية الكريمة تشير إلى مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالنواهي فالإيمان قد حدّده سياق الآية التي تشير إلى النهي عن نكاح المشركات والنكاح من المؤمنات والنهي في قوله: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ﴾ .

أُختلف فيما نزلت الآية هل المراد جميع المشركات أم بعضهن دون بعض ، وهل الآية منسوخة أم لا، فقال بعضهم أنّها نزلت بتحريم النكاح من كلّ المشركات وهنا تشتمل كلّ مشركة كانت سواء عابدة وثن أو يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو غيرهم ، وقيل نسخت من سورة المائدة الآية [٤-٥] لتخرج منها أهل الكتاب [١]. وقيل الآية لا منسوخة ولا مخصوصة، فهي تحرم النكاح من الكفار فهي عامة لتشمل أهل الكتاب المشركين بالله كاليهود والنصارى ، وقال بعضهم كابن عباس ومجاهد وغيرهم أنّها منسوخة بالآيات في سورة المائدة وقد أخرج منها أصحاب الكتاب ... [٢].

المشركات كلّ من يشرك بالله إلهًا آخر ، فيخرج من ذلك اليهوديات والنصرانيات (الكتابيات) في اللفظ والمعنى الوارد في الآية [٣] .

معنى الآية تحريم الزواج من النساء الكافرات حتى يؤمنّ بالله تعالى ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو لفظ عام فلا يحلّ لمسلم أن يتزوج كافرة ، فهو تحريم نكح جميع المشركات من أهل الكتاب وغيرهم وهي لا منسوخة ولا مخصوصة عندنا، وبقية العلماء عندهم اختلاف في ذلك ... [٤].

واختلف العلماء في حرمة نكاح المشركات ثمّ نسخت الآية بعدم دخول النساء الكتابيات منهن فأحلّهن في سورة المائدة الآية [٤-٥] ، وقد روي ذلك القول عن الصحابة والتابعين منهم

---

(١)ظ : الطبريّ/ جامع البيان ، ٣/ ٧١١ .

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٢ /٢١٧-٢١٨ .

(٣)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ١/ ٢٩٦ .

(٤)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٢ / ٧٠ .

قتادة وسعيد بن جبير أنّه لفظ عام في كلّ كافرة ، وقد خصصت الآية فيخرج منها الكتابيات فلم يتناول اللفظ العموم وهو قول الشافعي...[١].

هذا التحريم الوارد في الآية من الله تعالى على المؤمنين بالزواج من المشركة ، وقد اختصّ الخطاب النساء من أهل الكتاب فهن مستثناة في أمر الزواج ، وقيل قصد الآية المشركات من عبدة الأوثان فيخرج أهل الكتاب من اللفظ الوارد في الآية [٢].

الكلام في الآية على قسمين الأوّل :أنّها تعمّ أهل الكتاب كونهم مشركين بالله لما ورد في القرآن الكريم في مواضع عدّة على إشراكهم بالله كاليهود والنصارى وغيرهم .

والقول الآخر : يخرج الكتابيات من اللفظ الوارد في الآية لما ورد في سورة المائدة الآيتان [٤-٥] وهو تخصيص لهن لما ورد من تعميم الآية وهذا المحكي عن جملة من الصحابة والتابعين أبرزهم ابن عباس وسفيان ، وقيل هي ناسخة للآية الواردة في سورة المائدة كونها نزلت بعد المائدة ، والقول الأوّل هو الراجح [٣] .

وقيل إنّ ابن عمر عندما سئل عن نكاح أهل الكتاب استشهد بتحريم ذلك من الآية ، وقيل أن الآية لفظ عام توجه بتحريم النكاح من جميع الكفار وليست منسوخة أو مخصوصة ، وقيل أنّها منسوخة – لما ورد ذكره – وقيل أنّه يجوز التمتع بالكتابيات وجعلهن من ملك اليمين [٤].

---

(١)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ٣ / ٦٧ .

(٢)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٥٨٢ .

(٣)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ١ / ٣٩٣ .

(٤)ظ : محمد جواد البلاغيّ / آلاء الرحمن ، ١/ ١٩٧ .

تعدّ الآية من آيات الأحكام فهي تتناول حكمًا وهو الزواج ، ولفظة نكاح تعني عقد الزواج ويقال الوطء ، وتعني الآية أنّه لا يحلّ للمسلم أن يتزوج المشركة وكذلك المشرك لا يحلّ له أن يتزوج بالمسلمة ، وعليه فإنّ النكاح والزواج لفظ واحد يقصد منه حقيقة الزواج مع تفصيلاته ، ولفظ المشركين شامل لكلّ من لا يؤمن بنبوة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وفي هذا فإنّ القول قد شمل أهل الكتاب أيضًا ، وقيل أنّ القرآن الكريم لا يطلق لفظة المشركين على أهل الكتاب ، فهو يخرجهم من دائرة الشرك، على الرغم من كونهم ممن أشرك بالله تعالى في عقيدتهم كما اعتقد اليهود أنّ عزير ابن الله واعتقاد النصارى بروبية عيسى المسيح وأنّه ثالث ثلاثة...[١].

هناك جملة من الأحكام في الآية يُنَظم من خلالها المجتمع الإسلامي ومن بين تلك الأحكام تحريم النكاح من المشركات ، ومعناه أن لا تتزوجوا المشركات اللاتي لسن كتابيات إلى أن يدخلن بالإسلام ويكونن مؤمنات ويؤمنّ برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نبيًّا من الله ، وخلاصة القول يحرم الزواج من المشركات ما دمن على شركهن حتى يؤمنّ ... [٢].

الآية فيها حكم حرمة الزواج من المشركات ، ومنع الإسلام الزواج للمرأة المؤمنة من الرجل المشرك ومنع الزواج للرجل المؤمن من المرأة المشركة، وترجيح الرجل المؤمن في الزواج مهما كان شكله أو ما يملك على الرجل المشرك وإن كان يتمتع بالشكل والثروة ، كون المرأة هي الأمّ ولها الدور الكبير والأساسي في تنشئة الأولاد وتربيتهم وتعليمهم العقيدة الصحيحة ،

---

(١)ظ : محمد جواد مغنية /تفسير الكاشف ، ١/ ٣٣٢.

(٢)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١ / ٦٦١ .

لذا نهى الإسلام عن الزواج بغير المسلمة ، لما فيه من التأثير على سلوك الأسرة الإسلامية وأخلاق الأولاد وسلوكهم ورعايتهم...[١].

هذا الجزء من الآية القرآنية الكريمة له ارتباط بالجزء التالي من الآية نفسها فالحكم فيه واحد وسياق الكلام مرتبط معه ، فالآية بعمومها تتحدث عن حرمة النكاح بالمشركات وهو نهي النكاح منهن وقد وضحت الآية السبب من ذلك ، وبلحاظ الآية وما ورد فيها من خطاب يبرز مستوى من المستويات التي اشار إليها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالنهي .

٧- قال تعالى : ﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ البقرة: ٢٢١

أي حرمة نكاح المؤمنات من المشركين مهما كان ذلك المشرك ومن أي صنف من الشرك حتى ولو زوجت بعبد مؤمن هو أفضل عند الله تعالى من حرّ مشرك مهما كان حسبه ونسبه، وقيل لا يحلّ نكاح المسلمة من غير أهل دينها سواء يهوديًا أو نصرانيًا أو مشركًا حتى يؤمنوا بالإسلام [٢] .

وفي قول ابن عطية: يحرم وطء المشرك للمؤمنة وهو إجماع الأمة على هذا الرأي لما فيه من الغضاضة على الإسلام ، كما أنّ في الآية أمر بولاية النكاح [٣] .

---

(١)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ١/ ٥٤٠-٥٤١.

(٢)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٣ / ٧١٩ .

(٣)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٢٩٧/١ .

أي لا تزوجوا النساء المسلمات من الكفار جميعهم سواء من أهل الكتاب أو غيرهم حتى يؤمنوا [1] .

منع الإسلام لزواج الرجل المشرك من المرأة المسلمة حتى وإن كان المشرك من أصحاب الجاه والنفوذ والثروة ، كون تأثير الزوج على الزوجة أكثر بالعادة من تأثير الزوجة على الزوج [2] .

هنالك ترابط بين هذا الجزء من الآية والجزء الأوّل منها كونها تتحدث عن موضوع واحد بنفس السياق وهو النكاح من المشركين ففي الآية نهي عن الزواج بالرجل المؤمن من المشركة ونهي آخر من زواج المشرك من المرأة المؤمنة وهذا النهي الصادر إنّما لمصلحة الطرفين – المؤمن والمؤمنة – وتأثريها فيهم ، لذا فالذي لا يلتزم بما نهى الله تعالى عنه فقد بطل إيمانه لأنّ في الآية حكم بالنهي وفيه حرمة الزواج من المشركين والمشركات ، وفيها يظهر مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالنهي في باب الأحكام الخاصّة بمسائل النكاح .

٨- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ ﴾ النساء: ١٩

إنّ النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالنواهي ، وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو إيمان

---

(١)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ١/ ٧٠ .

(٢)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ١/ ٥٤١ .

ثمّ قَرَنَهُ مباشرةً بالنهي هو ﴿ لَا يَحِلُّ ﴾ .

نهى الله تعالى عباده المؤمنين من التمسك بالعادات الجاهلية التي كانت سائدة وكيف أنّ الرجل كان يرث المرأة من أقاربهِ بما تملك فيجعلها تحت يدهِ فيمنعها من الزواج ومن كافة حقوقها حتى تموت ، فلما جاء الإسلام وضع حدًّا لتلك الظواهر المقيتة والعادات السيئة وشرع الأحكام التي تنصف المجتمع ومن بينها المرأة فحرّم تلك العادات وجعلها محظورة وحرّم التعامل مع المرأة هكذا أسلوب [١].

الآية نزلت لتحريم ما كان سائدًا في زمن الجاهلية في مسائل الإرث وخاصة المتعلقة بالمرأة فأكدت على تطبيق حكم الله تعالى فيها وخاصة بما يتعلق بالإرث وتطبيق ما جاء في الشريعة المقدسة [٢].

تنهى الآية الكريمة المؤمنين على استقلال النساء ذوات القربى فلا يحبسوهن طمعًا في ميراثهن لكي لا يعطوهن الحقوق الشرعية وحجبهن عن الزواج وأخذ ميراثهن والأموال التي يملكهن ، وهذه عادة الجاهلية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية ، فالآية لأجل تطبيق حكم الله وتحريم ما كان من عادات الجاهلية وتطبيق حكم الله في أمر الله فيها [٣] .

الآية تخاطب الأولياء أنّه لا يحلّ لهم وراثة النساء كرهًا ، فكان الرجل إذا مات فإنّ أولياءه أحقّ بزوجته في نفسها ومالها وكلّ ما تملك هي إرث لهم ولا يحق لها الاعتراض أو نفي

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٦ / ٥٢٢ .

(٢)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٢ / ٢٦ .

(٣)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٣ / ٣٩ .

ذلك ، فنزلت الآية لتحرم تلك العادات والتطبيق لشرع الله في القرآن الكريم كما أمر الله تعالى وأنّها حرة في نفسها ومالها [١].

من بين الأحكام الخاصّة بالنساء الواردة في هذه السورة المباركة هو تثبيت الإرث الخاص بالمرأة المتوفاة فقد كان في الجاهلية محصورًا على زوجها ، والخطاب في ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ خطاب عام للأمة جميعًا ، والإرث مصير الكسب إلى كلّ إنسان عقب شخصًا آخر واستعماله يخصّ الأموال في الأكثر والأرض ، وقد يرد إمّا مادي أو معنوي ، ومنه [يرث الأرض ومن عليها] ، أو القول [فلان ورث مال فلان] [٢].

قيل: هي إشارة إلى ما كان من أمر الجاهلية بأنّ الولد الأكبر يرث أباه عند موته سواء في زوجته ومالها وكل ما تملك تكون إرثًا للولد الأكبر فنهت الآية عن ذلك الفعل وحرمته [٣].

من بين الأحكام التي دعا إليها القرآن الكريم والتي لها تأثير في المجتمع والأسرة هو مسألة الإرث وخاصة فيما يخصّ المرأة والإرث المخصوص في الآية إنّما هو الإرث بالغصب دون وجه حقّ سواء أكان من العادات الجاهلية المقيتة التي كانت سائدة والتي تخصّ أن المرأة تورث بنفسها وليس بمالها فقط عند وفاة زوجها إلى الابن الأكبر أو الإرث المادي الذي بقي إلى يومنا هذا ساريًا ، لذا فالآية تنهى عن ذلك العمل السيء والتصرف الخاطئ الذي لا يمت للدين ولا للإنسانية بشيء ، وقد خاطب القرآن الكريم المؤمنين بهذا الخطاب لكي

---

(١)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ٥ / ٩٤.

(٢)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٤ / ٢٨٢-٢٨٣ .

(٣)ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٧ / ١٦١ .

يتعظوا وينتبهوا لأنفسهم من هكذا عملٍ لأنّ المؤمن لا يمكن أن يتصف بالإيمان ويخالف ما جاء من عند الله تعالى فلا يجتمع الأمران ومن يفعل ذلك فقد خرج الإيمان من قلبهِ .

ويبدو لي عند تتبع الآية القرآنية مستوى من المستويات الإيمانيّة التي حدّدها القرآن الكريم في خطاباته هو الإيمان المقترن بالنهي الذي دعا الله تعالى عباده المؤمنين ممّن صدقوا بهِ وبالشريعة الإسلامية المقدسة في الكفِّ عنه .

يتبين للباحث ممّا تقدم – في هذا المبحث – أنّ النصوص القرآنية الكريمة التي مرّ ذكرها قد أظهرت من سياقها مستوى إيماني وهو (الإيمان المقترن بالنواهي) ، كما أنّها لا تختلف عن سابقاتها من الآيات القرآنية الكريمة التي برّزت المستوى الإيماني المقترن بالأوامر – في المبحث الأوّل من هذا الفصل– فقد تصدر خطابها بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وقرنها بالنواهي ، وهي بنفس المستوى الإعدادي للمؤمن والتأهيل له ، فمتى ما تجنب تلك النواهي في الأحكام العبادية والمعاملات والتزم بها فقد ارتقى من مستوى التصديق القلبيّ والاقرار باللسان إلى مستوى أعلى من التأهيل والسلوك فذلك يعتمد على مدى تطبيقه لما نهى الله عنه ، فإن لم يستجب ويتجنب تلك المحرمات فهو باقٍ في دائرته وقد يستحق العقوبة الإلهية كونه لم يلتزم بما أريد منه من تطبيق تلك الأحكام الصادرة عن الله تعالى .

الفصل الثاني : الإيمان المقترن بالعمل والتقوى :

المبحث الأوّل: الإيمان المقترن بالعمل الصالح .

المبحث الثاني : الإيمان المقترن بالتقوى .

توطئة :

تضمن القرآن الكريم عند تعرضه لمفهوم الإيمان على معانٍ ومصاديق ومداليل كثيرة، كما تناول الإيمان مقرونًا بعدة أمور وأفعال ، ومن بين ما تناوله اقتران الإيمان بالعمل وبالتحديد العمل الصالح، كما أنّ العمل الصالح بمثابة الحرث للآخرة ، ويبقى العمل الصالح هو مفتاح للمعرفة الحقّة للإيمان كون الإيمان عمل ، كما أنّ ترجمة الإيمان الذي هو التصديق القلبي تكمن في العمل الذي يقوم به المرء ، فتتضح صورة الإيمان من خلاله .

إنّ درجة الإيمان أو مستوى إيمان كلّ مؤمن تتأثر بما يقدم من عمل صالح ، وثوابه على قدر عمله ، وهذا ما صرح به القرآن الكريم وورد في الروايات الشريفة المستفيضة في هذا الشأن .

وفي مسألة الإيمان المقترن بالتقوى فقد تناول القرآن الكريم التقوى بنطاقٍ واسعٍ ومستفيض ليبيّن للناس أنّ اكتمال إيمان العبد يكمن بالتقوى ، كما أنّ الثواب الذي يحصل عليه العبد من الله تعالى هو نتيجة تقواه بتطبيقه الأوامر والنواهي وبكلّ ما جاءت فيه الشريعة المقدسة، ونجد أنّ القرآن الكريم دائما ما يورد الإيمان والتقوى متلازمين ، حتى أنّ العمل الصالح الذي يقوم بهِ العبد ويستحق الأجر عليه منوط بالتقوى فتكاد أن تكون التقوى هي الموجه والمسيّر للمؤمن كي يطبق كل ما يأمره الله بهِ ، لذا نجد أنّ الإسلام يحثّ على التقوى ، فهي حالة في قلب الإنسان تبيّن صدق إيمانه ومنزلة رفيعة ينالها الإنسان ليزداد إيمانه .

وقد بيّنت الآيات القرآنية الكريمة أنّ التقوى يجب أن تصبح ملازمة للإنسان كي يحصل على ثمرات تلك التقوى التي أعطاها الله تعالى لكلّ من يتصف بها .

المبحث الأوّل : الإيمان المقترن بالعمل الصالح .

من الأمور التي ترفع مكانة الإيمان وتزيد من درجته هو العمل الصالح فالعبد من الممكن أن يكون مؤمنًا بما يقوم بهِ من تنفيذ أوامر الله واجتنابه نواهيه وصحة عقيدته وتطبيق الفرائض والمستحبات كالصلاة والصوم والحج والصلوات النافلة وصوم التطوع والعُمرة وغيرها لكن هناك أمور أخرى لا يقوم بها وفي حاله هذا يمكن أن يطلق عليه صفة المؤمن لكنه لا يمكن أن يقاس إيمانه بمن يقوم بكلّ ما ذكر ويضاف عليه الأعمال الصالحة التي يقوم بها فهنا زاد إيمانه وارتفعت منزلته ووصل لمستوى إيماني أرفع وكما ورد بكلام مولانا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام قوله: " الْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الْآخِرَةِ " [1] ، فقوله (عليه السلام) واضح وصريح من ناحية الغرض المراد من العمل الصالح على أنّه الثواب الموعود بهِ في الآخرة ، هناك رواية عن مولانا الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قوله : " إِنَّكُمْ لَا تَكُونُونَ صَالِحِينَ حَتّى تَعْرِفُوا، وَلَا تَعْرِفُوا حَتّى تُصَدِّقُوا، وَلَا تُصَدِّقُوا حَتّى تُسَلِّمُوا أَبْوَابًا أَرْبَعَةً لَا يَصْلُحُ أَوَّلُهَا إِلَّا بِآخِرِهَا، ضَلَّ أَصْحَابُ الثَّلَاثَةِ، وَتَاهُوا تَيْهًا بَعِيدًا، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الْوَفَاءَ بِالشُّرُوطِ وَالْعُهُودِ، فَمَنْ وَفى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَرْطِه، واسْتَعْمَلَ مَا وَصَفَ فِي عَهْدِه، نَالَ مَا عِنْدَه ، واسْتَكْمَلَ مَا وَعَدَه ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى أَخْبَرَ الْعِبَادَ بِطُرُقِ الْهُدَى ، وشَرَعَ لَهُمْ فِيهَا الْمَنَارَ، وأَخْبَرَهُمْ كَيْفَ يَسْلُكُونَ، فَقَالَ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ طه: ٨٢ " [2] .

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)/ نهج البلاغة ، ١/ ٦١ – الكلينيّ / الكافي ، ٥/ ٣٥ .

(٢) الكلينيّ / الكافي ، ١/ ١٠٦ .

إنَّ هذا المبحث قائم على بيان مستوى متقدِّم من مستويات الإيمان، هو (الإيمان مع العمل)، أي: هو (الإيمان) المقترن بـ (العمل) الموصوف بكونه (صالحًا)، ففي النُّصوص كلِّها الَّتي تمَّ استقرائها نجد صريح القرآن تارةً يقدِّم (الإيمان على العمل)- وهو الأعم الأغلب-قال تعالى: ﴿ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ الكهف: ٨٨ ، وتارةً يقدِّم (العمل على الإيمان)- وهو أقلُّ من المستوى الأوَّل- قال تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ طه: ١١٢.

المطلب الأوّل : مكاسب العمل الصَّالح لأصحابه :

هذا المطلب قائم على استقراء مرحلة قبل الاختبار- قبل التَّلبُّس- فمن يؤمن، ويقرن إيمانه بعمل- بشرط أن يكونَ صالحًا- فله جملة مكاسب يشرع القرآن في بيانها مفصَّلًا.

أ – دخول الجنّة :

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ النساء: ٥٧

تتحدث الآية القرآنية عن مستوى من المستويات الإيمانية التي ورد بيانها في القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالعمل الصالح ، وممّا يبين ذلك قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ثمّ ذكر مكسب من مكاسب المؤمنين الذين يعملون الصالحات ﴿ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ وهو دخول الجنّة خالدين فيها .

ممّا وعد الله جلّ ثناؤه المؤمنين والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم هي الجزاء بدخول الجنّة فقد ورد الكثير من النصوص القرآنية التي تبين أنّ الله تعالى يثيب عباده المؤمنين

الجنّة ، كما تطرق القرآن الكريم إلى وصف تلك الجنّة وما فيها من الخيرات والتي لا يمكن للمرء أن يتصورها ؛ كون ما فيها خارجًا عن التصور البشري، فجاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ النساء: ١٢٤

كما ورد في كتب التفسير المختلفة في معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ النساء: ٥٧

إنّ الذين آمنوا بالله ونبيّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وصدقوا بما أنزله الله عليه من الأمم جميعًا ، وأدّوا بما فرضه الله عليهم من الفرائض واجتناب المعاصي فهو معنى العمل الصالح من أعمالهم فهو ما دعت إليه الآية وبالمقابل إنّ الله سيدخله الجنّة يوم القيامة وهو جزاء تلك الأعمال الصالحة فالله يثيبهم عليها [١] .

في الآية وعد للمصدقين بالله عزّ وجلّ والذين يعملون الصالحات ويقصد منها الذين يعملون الحسنات والحسنات طاعة الله والعمل الصالح إمّا عنى بهِ عمل الطاعة أو العمل الجيد الممدوح يعني العمل الصالح بكلّ جوانب ذلك العمل والله سيدخله الجنّة على العمل الصالح الذي قام بهِ [٢] .

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٧/ ١٦٧-١٦٨ .

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ٣ / ٢٣٢ .

" ولما ذكر الله وعيد الكفار ، عقب بوعد المؤمنين بالجنّة على الإيمان والأعمال الصالحة... ومطهرة معناه: من الريب والأقذار التي هي معهودات في الدنيا وظليلًا معناه: عند بعضهم يقي الحر والبرد، ويصحّ أن يريد أنّه ظل لا يستحيل ولا ينتقل، كما يفعل ظل الدنيا، فأكده بقوله ظليلًا لذلك، ويصح أن يصفه بظليلٍ لامتداده "[١] .

ويرى ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في مسألة الثواب الذي يعطيه الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات فيقول : " هذا إخبار عن مآل السعداء في جنات عدنٍ التي تجري فيها الأنهار في جميع فجاجها ومحالها وأرجائها حيث شاؤوا وأين أرادوا ، وهم خالدون فيها أبدًا لا يحولون ولا يبغون عنها حولًا، وقوله: ﴿ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلٗا ﴾النساء: ٥٧ ، أي: ظلًا عميقًا كثيرًا غزيرًا طيبًا أنيقًا. "[٢] .

أي وعدٌ للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنّ الله تعالى سيدخلهم الجنّة جزاء عملهم الصالح الجنّة التي تجري من تحتها الأنهار والأشجار والسواقي حيث يكونون خالدين فيها ويعطيهم الله أيضًا أزواجًا مطهراتٍ يستريحوا لهن ويجدون فيهن لذة الروح والجسد وبنعيم دائمٍ ليس بزائلٍ من ظلالٍ وطيبِ الريح بعيدًا عن الريح اللافحة والزمهرير الذي أعدّهُ الله تعالى للعاصينَ [٣].

الآية من قبيل التذكير بمبدأ الثواب والعقاب والوعد والوعيد فبعد ذكر الوعيد للكافرين وعاقبتهم أعقبت الآية التذكير بالوعد والثواب للمؤمنين والتوكيد على الوعيد للكفار العصاة

---

(١) ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٢/ ٦٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ٣٣٨ .

(٣) ظ: ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ١٦٨/٣ .

بمصيرهم المحتوم وتحققه بينما جاءت الكلام بالسين المشعرة بقصر مدة التنفيس وقصد منها تقريب الخير والبشرى للمؤمنين الذين عملوا الصالحات وأنّ الله يجازيهم بأحسن الجزاء [١] .

" أهل الجنّة هم خالدون فيها أبدًا عطاءً غير مجذوذ ، وأهل النار هم خالدون فيها – لأكثر الحدود – ما دامت النار ودامت عقوباتهم في النار ، فقد يختلف أبد النار عن أبد الجنّة ؛ لأنّ أبد الجنّة هو قضية فضل الله الذي ليس مجذوذًا عن أهله ، وأبد النار هو قضية عدله فليكن محدودًا بحدود العصيان أم يقل إذا شملهم غفران ، وقوله تعالى : ﴿ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾[النساء: ٥] ، تعم قبيلي الرجال والنساء ، فإنّ كلًّا زوجٍ للآخر ، وظلهم الظليل ككل هو ظلّ الله الممدود برحمته الواسعة لأهلها في الجنّة " [٢] .

بعد ذكر العذاب على الكافرين ذكر الله تعالى غيظًا بالكافرين نعيم الجنّة في الآخرة وبيان لذّة الجنة والأزواج الصالحات ، فالزوجة الصالحة أنس والجنّة دار النعيم وحُسن المنظر [٣] .

بقبال ما توعد الله بهِ الكفار من العذاب الدائم في النار المستعرة وهذه المشاهد المروعة يأتي الوعد للمؤمنين بالجنات الندية التي تجري من تحتها الأنهار فنجد المشهد فيه ثباتًا وطمأنينة وخلودًا للمؤمنين الذين يعملون الصالحات جزاء لهم على أعمالهم فهو تقابل كامل في المشاهد والصور والإيقاع التي تبين الإيحاء القوي المؤثر في النفس [٤] .

---

(١)ظ: أبو حيان / البحر المحيط ، ٣/ ٣٩٠ .

(٢)محمد الصادقيّ / الفرقان، ٧ / ١٢٦ .

(٣)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٥/ ٩٠ .

(٤)ظ : سيد قطب / في ظلال القرآن ، ٥/ ٦٨٤ .

جعل الله تعالى دخول الجنّة جزاء المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، فالإيمان بغير عملٍ صالحٍ لا يكفي لتزكية النفس وحصوله على هذا الجزاء ، فلا يمكن أن يظهر الإيمان بغير أن يرافقه عمل صالح فيموت الإنسان ولا تظهر آثار العمل الصالح وثمراته منه [١] .

وأمّا الذين آمنوا فالله يثيبهم ثوابًا محققًا غير مقطوع بهِ يقينًا ومن ذلك الثواب العظيم هو دخول الجنان والتمتع بما فيها فهو الخلود فيها إلى غيرها من الثواب الجزيل [٢] .

إنّ مَن آمن بالله تعالى وبما أنزل وعمل صالحًا من موقع القناعة والإيمان وكان سيره في الحياة الدنيا على خطٍ مستقيمٍ فإنّ الله تعالى يدخله الجنان التي تجري من تحتها الأنهار وفيها يكون الخلود الأبدي فلا موت بعدها ويشعر الإنسان بالطمأنينة والسعادة في رحمته عزّ وجلّ ورضاه [٣] .

ثمن الابتعاد عن الملذات الدنيوية من قبل المؤمنين وعزوفهم عن خيرات الظالمين ورضاهم بالقليل مع الحقّ هو حصولهم على الجنّة التي وعدهم الله بها ، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملًا [٤] .

الآية تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالعمل الصالح ، شأنها شأن الكثير من الآيات الواردة بنفس هذا الغرض وهو اقتران الإيمان بالعمل الصالح ، فقد بيّنت الآية أنّ الإيمان المقترن بالعمل الصالح إنّما يودي بصاحبهِ إلى الجنّة ، فمن بين ما وعد الله بها المؤمنين الذين يعملون الصالحات هو دخول الجنّةِ ، فالجنّةُ هي جزاء كلّ إنسانٍ مؤمنٍ

---

(١)ظ: محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ٥ / ١٦٧ .

(٢)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٥/ ١٢٥ .

(٣)ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٧/ ٣١١ .

(٤)ظ : محمد تقي المدرسيّ /من هدى القرآن ، ٢/ ١٠١ .

يعمل صالحًا ، وهذا ما ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، كما يصف القرآن الكريم تلك الجنّةَ الموعود بها بما فيها من الأنهار والأشجار والظِلال وحياةٍ خالدةٍ غير زائلةٍ ، فهي البشرى التي وعد الله بها الناسَ وخصّ بها المؤمنين منهم ، بقبال ما توعد به الكافرين من نار جهنم وما فيها وبخلودٍ دائمٍ أيضًا ، كما هم أصحاب الجنّة خالدين فيها أبدًا ، وكما هي الجنّة الرحمة التي يرحم الله بها عباده ، كذلك هي جهنم العقوبة التي يستحقها الكافرون ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾ المدثر: ٣٨ .

ب – توفية الأجر:

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ آل عمران: ٥٧ .

الآية القرآنية تتحدث عن مستوى إيماني وهو كما مرّ آنفًا وهو الإيمان المقترن بالعمل الصالح في قولهِ : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ثمّ بيّن مكسب من مكاسب الإيمان إذا قرنه المؤمن بالعمل الصالح وهو : ﴿ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ ﴾ ، فالله تعالى يُثيب كلّ مؤمنٍ عمل صالحًا بأن يوفيه أجره على أكمل وجه دون أن ينقص من أجرهِ شيئًا وهذا إذا ما أردنا أن نلحقه بشيءٍ فإنّه ضمن العدل الإلهي بين خلقهِ فلا يُبخس عنده جلّ وعلا حقّ أحدٍ من الخلق فالله عادل يحبّ العدل .

ومن أقوال العلماء المفسرين في ذلك :

عنت الآية أمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فالله تعالى سوف يوفيهم أجورهم أي يوفوا أجورهم في الدار الآخرة فالله عزّ وجلّ لا يحب الظالمين[١].

وقيل:" فيعطيهم جزاءَ أعمالهم الصالحة كاملًا لا يُبخسون منه شيئًا ولا يُنقصونه" [٢].

وقال ابن عطية : " وتوفية الأجور هي قسم المنازل في الجنّة فذلك هو بحسب الأعمال ، وأمّا نفس دخول الجنّة فبرحمة الله وبفضلِهِ " [٣] .

وفي معنى الآية "أي في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالجنات العاليات " [٤].

في دلالة الآية أنّه لا يجوز أن يكون جزاء المُحسن بنفس جزاء المسيء ولا يجوز أن يُعطى المسيء بما يستحقه المُحسن ؛ لأنّ ذلك ظلم والله تعالى حاشا أن يظلم عبده، وفي معنى توفية الأجر هي المساواة في قدر الاستحقاق كون المقدار لا يخلو من كونه مساويًا أو فيه زيادة أو نقصان ، فأمّا الزيادة إنّما تكون على قدر الاستحقاق فليس من العدل إعطاء ثواب العمل من لم يكن عاملًا لكن ممكن أن تُعطى الزيادة من باب التفضل ... [٥] .

ومعنى توفية الأجر أي أنّه يوفر عليهم جزاء أعمالهم ويتممه عليهم [٦] .

---

(١)ظ: مقاتل بن سليمان / تفسير مقاتل بن سليمان ، ٢٧٩ .

(٢) الطبريّ / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٥/ ٤٥٧ .

(٣) المحرر الوجيز ، ١/ ٤٤٥ .

(٤) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ٤٩ .

(٥)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٢/ ٤٨٠ .

(٦)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٢/ ٢٤٩ .

بيّنت الآية توفية الأجر على الإيمان وعمل الصالحات وهي تنبيه للدلالة على كمال إيمان العبد فالتوفية تعني دفع الشيء على وجه مكتمل دون نقص حاصل ، والأجور في الآية تعني ثواب أعمالهم ، وهو تشبيه لمن يعمل في الحياة فيعطى الأجر بحسب عمله الذي يقوم بهِ والله لا يظلم عنده أحد [١] .

ومعنى الآية إنّ الذين يؤدون فرائض الله تعالى سيعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملا دون نقصٍ ولا يُبخسون شيئًا [٢] .

الذين آمنوا بالله تعالى وعملوا الصالحات فالله تعالى يوفيهم أجورهم جزاء أعمالهم الصالحة أمّا من لم يعمل صالحًا فليس له من الأجر شيئًا وهي آية الرحمة والجنّة وهذا وعد من الله تعالى يدلّ على حسن الجزاء والخير للذين يتبعون الله تعالى ويعملون العمل الصالح [٣].

جزاء الذين يؤمنون بالله تعالى إيمانًا صادقًا والذين يعملون الصالحات السعادة والطمأنينة في الدنيا وجزاؤهم الجنّة في الحياة الآخرة وهذا ما يعبر عنه السعادة في الدارين الدار الدنيا ودار الآخرة وهي خيرٌ وأبقى [٤] .

بما أنّهم انفتحوا عليه عزّ وجلّ من خلال ما أُنزل من الآيات الكريمة واتبعوا رسله والرسالات السماوية التي هي طريق الحقّ والهداية للصراط القويم والتي تدلّهم إلى الله تعالى سيوفيهم الله أجورهم بأحسن الجزاء فالله جلّ ثناؤه لا يضيع عمل عمالٍ من جميع خلقه ، فالذي يعمل

---

(١)ظ : أبو حيان /البحر المحيط ، ٢ / ٧٦٠ .

(٢)ظ : السيوطيّ / الدر المنثور ، ٣/ ٦٠١ .

(٣)ظ : محمد حسين الطباطبائيّ / الميزان ، ٣ / ٢٤٤ .

(٤)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٢ / ٢٦٥ .

الأعمال الصالحة وقلبه مؤمن فلا يأتيه الكفر والباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أمّا الذين ظلموا أنفسهم من خلال كفرهم ومعصيتهم لله تعالى وظلموا الخلق بالبغي والعدوان إنّما هو الحدّ الفاصل بين من هو مؤمن ومن هو كافر فكلّ يعطى أجره حسب عمله [١] .

الملفت للنظر أنّ الآية السابقة لهذه الآية اكتفت بذكر الكفر فقط أمّا الآية هذه فقد جاء الإيمان فيها مقرون بالعمل الصالح ، وهذا الأمر فيه إشارة واضحة أنّ الكفر وحده يعدّ سببًا للعذاب الإلهي ، أمّا الإيمان وحده غير كافٍ للنجاة والجزاء بل يجب أن يكون مقرون بالعمل الصالح حتى يصبح إيمانًا حقيقيًا [٢] .

إنّ الله عزّ وجلّ عدلٌ يحبّ العدلَ ولا يحب الظالمين فلا يظلم أحدًا من خلقهِ ، ولا يبخس حقّ أحدٍ من خلقه فالله تعالى سوف يفي جميع حقوق عباده بالكامل ولا ينقص منها شيء ، وكذلك لا يعطي الجزاء بالجنّة دون مقابل بل يجب أنّ يعمل العبد عملًا صالحًا يثيبه عليه فكل أجرٍ على قدر الجهد والعمل الصالح الذي يؤديه [٣] .

من بين ما جعله الله للمؤمنين الذين يعملون الصالحات هو توفية الأجر لعباده العاملين ، وهذا يندرج ضمن العناية الإلهية لهم ، فالله حقّ وعدل ، ومن عدله سبحانه جلّ وعَلا أن يعطيَ لكلّ إنسانٍ حقّه من الأجر جزاءً لما قدم من عمل دنيوي منوط به يستحق عليه الأجر الذي وعده بهِ في الآخرة ، أجرًا غير ممنون وعطاءً غير مجذوذٍ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ فصلت ٨.

---

(١) ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٦/ ٥٥ .

(٢) ظ: ناصر مكارم الشيرازيّ /الأمثل ، ٢ / ٢٩٦-٢٩٧ .

(٣) ظ : محمد تقي المدرسيّ /من هدى القرآن ، ١/ ٥٧١-٥٧٢ .

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ الانشقاق٢٥.

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾ هود: ١٠٨ .

ت – زيادة الفضل :

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ ﴾ النساء: ١٧٣.

الآية تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالعمل الصالح وبيان جزاء ذلك الإيمان وهو توفية الأجر والزيادة في الفضل فلا يقتصر الجزاء على توفية الأجر بقبال إيمانهم المقترن بالعمل الصالح إنّما يكون هناك زيادة في الفضل فأمّا الإيمان المقترن بالعمل الصالح فهو بقوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وأمّا جزاؤه فهو بقولهِ : ﴿ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ ﴾.

وفي جملة ما أورده المفسرون في معنى الآية :

أي الزيادة على ما وعدهم من الجزاء على عملهم الصالح والثواب عليه من فضل الله وزيادة ما لم يعرفهم مبلغه ولم يحدد لهم منتهاه ، وذلك إنّ الله تعالى وعد عباده المؤمنين بأن يزيد عليهم عطاءه فالحسنة بعشرة أمثالها من الثواب والجزاء ، ومحو الذنوب عنهم إذا تابوا فذلك هو أجر كلّ عامل على عمله الصالح من أهل الإيمان المحدود مبلغه ، وهذه الزيادة إنّما هي فضل من الله فالعدل هو الأجر على قدر العمل وتلك الزيادة التي يعطيها الله لعباده هي فضل من الله لهم غير أنّ الذي وعد عباده المؤمنين أن يوفيهم فلا ينقصهم من الثواب على

أعمالهم الصالحة ، هو ما حدّ مبلغه من العشر ، والزيادة على ذلك غير محدود مبلغها ، فيزيد من شاء من خلقه على ذلك قدر ما يشاء ، لا حدّ لقدره يوقف عليه[١] .

وعد من الله تعالى إلى الذين يقرون له بالوحدانية ويعترفون بالربوبية وخاضعون له بالعبادة والذين يعملون الصالحات التي أمرهم بها على لسان رسله أنّه سوف يوفيهم أجورهم وهو أن يؤتيهم أجر أعمالهم الصالحة ويثيبهم عليها من فضله والزيادة تعني هو مضاعفة الأجر فالحسنة بعشرة أمثالها وذلك تفضل من الله تعالى عليهم فكل تلك الزيادة إنّما هي فضله عزّ وجلّ لعبادهِ المؤمنين الذين يعملون الصالحات [٢] .

أي الذين آمنوا لله إيمانًا خالصًا وصدقوا بالله ورسوله فلا يبخس لهم حقّ عند الله تعالى قليلًا كان أو كثير والزيادة يحتمل أن تكون في مضاعفة الحسنات فالتضعيف ليس محصور كما ورد ذكره في الآية الكريمة [٣] .

التوفية تعني إعطاء الشيء وافيًا أي الزيادة فوق المقدار المطلوب وكون تحقق المساواة يخفى لقلة الموازين عندهم ولاعتمادهم على الكيل جعلوا تحقق المساواة بمقدار فيه فضل على المقدار المساوي لذا فقد اطلقت التوفية على إعطاء المعادل ؛ بقبال الخسران والغبن[٤].

بعد توفية الأجر من قبل الله عزّ وجلّ دون أن ينقص من الثواب والأجر شيئًا لعباده المؤمنين ، يتكامل فضل الله تعالى بزيادة الفضل لهم ذلك الفضل الذي يؤتيه من يشاء وهو الفضل العظيم الذي خصّ الله به عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات والذين واظبوا

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٧/ ٧٠٩- ٧١٠ .

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٣ / ٤٠٥ .

(٣)ظ : ابو حيان / البحر المحيط ، ٣/ ٥٧٠ .

(٤)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٦ / ٦١ .

على ما أمرهم به تعالى في الدنيا ، فالدنيا دار اختبار والآخرة يجازى المرء على ما قدمه في حياته فيزيده الله من فضله بحسب أعماله ويغشيه برحمته الواسعة التي وسعت كل شيء ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة : ٥ .

بلحاظ الآية الكريمة يظهر لنا كنظيراتها من الآيات السابقة مستوى الإيمان المقترن بالعمل الصالح ونتاج ذلك المستوى على صاحبهِ هو توفية الأجر والزيادة في الفضل من الله تعالى، فالذي يؤمن ويعمل من الصالحات سيناله الجزاء الحسن منه تعالى لصدق إيمانه وتطبيق ذلك من خلال العمل الصالح له كون الإيمان ليس تصديقًا فقط إنّما ثمرة الإيمان هو العمل الصالح ويعدّ هذا المستوى الإيماني أرقى من المستوى الذي سبقه – توفية الأجر – فهنا يضاف إلى توفية الأجر زيادة في الفضل بينما في النص السابق توفية في الأجر دون زيادة في الفضل .

ث – الحياة الطَّيِّبة :

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ النحل: ٩٧ .

إنّ النص القرآني يتحدث عن مستوى إيماني من المستويات التي تحدث عنها القرآن الكريم وهو (الإيمان المقترن بالعمل الصالح) وممّا يبيّن ذلك قوله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ ثمّ يذكر مكسب من مكاسب الإيمان المقترن بالعمل

الصالح في قوله : ﴿ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ أي جزاؤهم الحياة الطيبة والأجر الحسن .

ومن الجدير بالذكر أنّه قدّم العمل الصالح على الإيمان لبيان أنّه يختلف عن العمل الصالح الصادر من غير المؤمن ، فالجزاء هنا لمن كان مؤمنًا .

بعض أقوال المفسرين في بيان معنى الآية :

قيل: " الحياة الطيبة: الرزق الحلال في الدنيا" [١] .

وعن ابن عباس في معنى قوله تعالى : ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ قال: " يجزيهم أجرهم في الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون " [٢].

أي وعد من الله تعالى بأن كلّ مؤمنٍ بالله تعالى وتوحيده مُقرّ بتصديق الأنبياء والرسل يعمل صالحًا من الطاعات سواء كان فاعله ذكرًا أو أنثى فأنّ الله يحييه الحياة الطيبة التي يرضاها ، وورد عن ابن عباس أنّ معنى الحياة الطيبة هو الرزق الحلال ، وعن الحسن : القناعة ، وقال قتادة : حياة طيبة في الجنّة ، وذهب قومٌ الأَوْلى أنّ المراد هو القناعة في الدنيا ؛ لأنّه عقيب ما توعد غيرهم به من العقوبة فيها مع أنّ الكثير من المؤمنين ليسوا ميسوري الرزق في الحياة الدنيا[٣] .

---

(١) الطبريّ / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٤ / ٣٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٤ / ٣٥٦ .

(٣) ظ: الطوسيّ / التبيان ، ٦ / ٤٢٤ .

قال ابن عطية : " واختلف الناس في (الحياة الطيبة) فقال ابن عباس والضحاك : هو الرزق الحلال ، وقال الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام : هي القناعة وهذا طيب عيش الدنيا ، وقال ابن عباس أيضًا : هي السعادة ، وقال الحسن البصري : هي حياة الآخرة ونعيم الجنّة " [1] .

في الآية وعدٌ من الله تعالى لمن يعمل الصالحات وفق كتاب الله وسنّة نبيّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذكرٍ أو أنثى وكان قلبه مؤمنًا إيمانًا صادقًا بكلّ ما جاء بهِ الله ونبيّهِ والقيام بكلّ ما هو مأمور بهِ من عملٍ وفق شرع الله تعالى فإنّ الله سبحانه سوف يهبه حياة طيبة في الدنيا، ويجزيه بأحسن ما عمله في الحياة الآخرة ، والحياة الطيبة تشمل كلّ وجوه الراحة من أي جهة كانت في العيش أو الاولاد أو الراحة النفسية أو غيرها ، وقد قال عنها ابن عباس وجماعة بأنّها الرزق الحلال الطيب ، وعن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)أنّه فسرها بالقناعة ، وكذا قال ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أنّها هي السعادة ، والحسن ومجاهد وقتادة : لا حياة طيبة إلّا في الجنّة. وقال عنها الضحاك الرزق الحلال والعبادة في الدنيا، وقال الضحاك أيضًا : هي العمل بالطاعة والانشراح بها، والأرجح أنّ الحياة الطيبة شاملة لهذا كله [2] .

أورد المفسرون معنى الحياة الطيبة بعدة تفسيرات منها : أنّها الرزق الحلال ، وقال بعضهم القناعة والرضا بالنصيب ، وقيل الرزق اليومي ، فيما قال بعضهم العبادة مع الرزق الحلال،

---

(١) المحرر الوجيز ، ٣ / ٤١٩ .

(٢) ظ: ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٤/ ٦٠١ .

وقال بعضهم أنّها التوفيق لطاعة أوامر الله واجتناب نواهيه ، فيما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال " هي القناعة [1] .

من بين الوعود التي وعدها الله تعالى لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات هو الحياة الطيبة ، ولعل هذا الجزاء يكون جزاءً دنيويًا قبل أن يكون أخرويًا ، فلربما يجازي الله المؤمن على إيمانه الحقيقي أن يجعل حياته طيبةً لا يطالها الخبث والفواحش ما ظهر منها وما بطن، كما يمكن أن تؤول على أنّها الرزق الحلال .

وقد أورد العلماء المفسرون للقرآن الكريم في مصنفاتهم بأنّها القناعة ، كما ورد آنفًا فيما جاء عن أمير المؤمنين وولده الإمام الحسن المجتبى صلوات الله وسلامه عليهما ، فيما ذهب آخرون على أنّها حياة الآخرة ونعيم الجنّة ، وذهب بعضهم إلى الجمع بينهما أي خير الدنيا والآخرة ، بأن يحيه حياةً طيبةً في الدنيا ويجزيه بأحسن الجزاء في دار الآخرة ، فيما رأى آخرون على أنّ لا حياة طيبة إلّا في الآخرة .

ولو جُمعت الآراء كلها نجد أنّها تصبّ في مصبٍّ واحد وهو عطاء الله تعالى الجزيل لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، فهو الكريم لعبادهِ والعظيم بعطائه سبحانه وتعالى ، وهذه الآية كمثيلاتها من الآيات السابقة تتضمن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالعمل الصالح .

---

(١)ظ: ناصر مكارم الشيرازيّ /الأمثل ، ٧/ ١٦٤ .

ج – جزاء الحسنى والقول يسرًا :

١ – قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ الكهف: ٨٨ .

إنّ النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالعمل الصالح في قوله : ﴿ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ ثمّ بيّن مكسب من مكاسب الإيمان المقترن بالعمل الصالح في قوله : ﴿ فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ أي إنّ جزاءه الحسنى واليسر في أمرِهِ .

" وأما من صدق الله منهم ووحده، وعمل بطاعته، فله عند الله الحسنى، وهي الجنة {جزاء} : يعني ثوابًا على إيمانه، وطاعته ربه " ، ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾: أي معروفًا " [١] .

" وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يريد بالحسنى الجنّة ، والجنّة هي الجزاء ، فأضاف ذلك كما قال «دار الآخرة» والدار هي الآخرة، والثاني أن يريد بالحسنى أعمالهم الصالحة في إيمانهم، فوعدهم بجزاء الأعمال الصالحة ... ووعدهم بذلك بأنّه ييسر عليهم أمور دنياهم"[٢].

---

(١) الطبريّ / جامع البيان ، ١٥ / ٣٧٩.

(٢) ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٣/ ٥٤٠

أي أنّ جزاء المؤمنين الذين يعملون الصالحات يكون في الآخرة عند الله عزّ وجلّ، ويسرًا كما ورد يعني (معروفًا) [١].

أي من آمن بالله وتوحيده وتصديق دعوته، ويعمل عملًا صالحًا وفق ما يقتضيه إيمانه ، سيجزيه الله تعالى الجنّة ، وسنطلب منه أمرًا ذا يسر غير صعب وليس فيه مشقة ، لزيادة رغبته في دين الله وينفذ أوامر الله المنوطة به من صلاة وصيام وزكاة وصدقة ونحوها ، فلا يأمره بالصعب والمشقة ، ولكن باليسر السهل [٢] .

أيّ عملٍ يقوم بهِ الإنسان لابد أن يكون له جزاء ، سواء أكان ذلك الجزاء ماديًا أم معنويًا ، وسواء أكان صالحًا أم غير صالحٍ ، فجزاء العمل الصالح هو المكافأة والإثابة ، وجزاء العمل غير الصالح هو العقاب ، وهو ما جاء ذكره في الكثير من مواضع القرآن الكريم ، وفي هذا الموضع بالتحديد تبين الآية أنّ الإثابة والمكافأة لمن كان مؤمنًا واقترن إيمانه بالعمل الصالح فإنّ له الحسنى ، وذهب الكثير من العلماء أنّ الحسنى في الآية بمعنى الجنّة ، فثوابه أخروي أعدّه الله للمؤمنين المتمسكين بما أمرهم الله بهِ المقيمين للفرائض والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والله يحب المتقين ، فالمستوى من الإيمان هنا هو المقترن بالعمل الصالح كما أنّ إيمانه ثابتًا مطمئنًا ، ثم تذهب الآية إلى القول بأنّ ثوابهم ليس مختصرًا على الحسنى فقط إنّما بتيسير أمورهم وهذا قد يكون جزاءً دنيويًا وأخرويًا ، فأريد به خير الدنيا والآخرة وذلك على الله يسير .

---

(١)ظ : ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ١٩٣ .

(٢)ظ: وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٨ / ٣٥٦ .

المطلب الثاني : سمات أصحاب العمل الصَّالح بعد الإنجاز :

هذا المبحث قائم على استقراء مرحلة بعد الاختبار – بعد التَّلبُّس– فمن آمنَ، وقرن إيمانه بعمل– وكانَ صالحًا– فلها صارَ مالكًا، أي: لتلك المكاسب الَّتي شرع القرآن في بيانها مفصَّلًا. وتغيَّر نمط الخطاب، فخاطبهم أنَّهم أصحاب الجنَّة، بدلًا من لهم جنَّات .

أ – أصحاب الجنّة خالدون فيها :

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: ٨٢ .

إنّ الآية القرآنية تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدتها النصوص القرآنية وهو الإيمان المقترن بالعمل الصالح وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فورد ذكر الإيمان وقرنه بالعمل الصالح ثمّ ذكر سمة من سمات المؤمنين الذين يعملون الصالحات بقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

والنص يتحدث عن سمات أهل الإيمان الذين قرنوا إيمانهم بالعمل فهو لم يقل يدخلون الجنّة، ولم يقل من أهل الجنّة ، وإنّما قال (أصحاب الجنّة) فهي لهم .

" هذه الآية متناولة لمن آمن بالله وصدق به ، وصدق النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعمل الصالحات التي أوجبها الله تعالى عليه ، فإنّه يستحق بها الجنّة خالدًا أبدًا ... " [١]

" فيه وعد لأهل التصديق والطاعة بالثواب الدائم ... " [٢]

---

(١) الطوسيّ / التبيان ، ١ / ٣٢٦ .

(٢) الطبرسيّ / مجمع البيان ، ١/ ٢٠٣ .

بعد أن ذكر الله تعالى مصير العصاة من أهل النار وما أعدّه لهم من العقاب والهلاك أتبعه بذكر المؤمنين وما أعدّه لهم من الخلود في الجنّة وأُريد بالذين آمنوا هنا هم أمّة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين صدقوا بِهِ حقًّا وكذلك مؤمنو الأمم السالفة من قبل الذين آمنوا بما جاء عن أنبيائهم وصدقوا بهم وهو ظاهر اللفظ [١] .

" أي من آمن بما كفرتم به ، وعمل بما تركتم من دينه ، فلهم الجنّة خالدين فيها، يخبرهم أنّ الثواب بالخير والشر مقيم على أهله ، لا انقطاع له أبدًا " [٢] .

" فمن مقتضيات الإيمان أن ينبثق من القلب في صورة العمل الصالح ... وهذا ما يجب أن يدركه من يدعون الإيمان " [٣].

" فهم أهلها ومجتمعها وهم الذين يمثلون أخلاقيتها المنفتحة على الروح والرضوان ويجدون لها حيويتها وحركيتها في إنسانيتهم الخيّرة التي عاشت مع الله وانتهت إليه في مواقع القرب عنده " [٤].

" عن ابن عباس أنّها نزلت في علي (عليه السلام)خاصةً ، وهو أوّل مؤمن وأوّل مصلٍ بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) " [٥] .

من بين ما أعطى الله تعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات الخلود في الجنّة جزاء أعمالهم التي قاموا بها في الحياة الدنيا وفق ما أراده الله عزّ وجلّ منهم وكونهم التزموا بطاعتهم لله

---

(١)ظ: أبو حيان /البحر المحيط ، ١ / ٤٠٦ – ٤٠٧ .

(٢) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ١/ ٣١٦ .

(٣) سيد قطب /في ظلال القرآن ، ١/ ٨٦ .

(٤) محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٢/ ١٠٦ .

(٥) هاشم البحرانيّ / البرهان في تفسير القرآن ، ١ / ٢٦٣.

تعالى وثبتوا على إيمانهم وكان إيمانهم مقرونًا بالعمل الصالح ففي الآية دلالة على أنّ مستوى إيمانهم مقترن بالعمل الصالح وهو إيمان مطمئن كون الآية قد بيّنت أنّهم أصحاب الجنّة فإيمانهم ثابت .

ب – لَا يَخَافُون ظُلْمًا ولا هضمًا :

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ طه : ١١٢ .

إنّ الآية القرآنية تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالعمل الصالح وبيّن ذلك في قولهِ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ ثمّ يُظهر سمة من سمات العمل الصالح وهو ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فإنّه مطمئن لا يخاف الظلم ولا الهضم .

وفي معنى الآية فقد ورد عن المفسرين أقوال منها :

" أي ليس هناك خوف من الله تعالى أن يظلمه لعمل لم يقم بهِ أو أن يحمل عليه وزر غيره فيعاقبه عليه ، كما أنّه لا يخاف أن يهضمه فينقصه من حسناته لأعماله الصالحة أو لا يعطيه ثوابها فلا يخاف من الله أن يظلمه [١] .

" فأخبر الله تعالى أنّ من يعمل الأعمال الصالحات وهو مؤمن عارف بالله تعالى مصدق بأنبيائهِ ، ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ : أي لا يخاف ظلمًا بالزيادة في سيئاته ولا زيادة

---

(١)ظ: الطبريّ / جامع البيان ، ١٦/ ١٧٥ .

في عقابه الذي يستحقه على معاصيه (وَلَا هَضْمًا) أي ولا نقصانًا من حسناته ولا من ثوابه..." [١].

" لما ذكر الظالمين ووعيدهم، ثنى بالمتقين وحكمهم، وهو أنّهم لا يظلمون ولا يهضمون، أي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير واحد، فالظلم الزيادة بأن يحمل عليه ذنب غيره ، والهضم النقص " [٢].

" أي ومن يعمل الأعمال الصالحة (أي الفرائض) مقرونًا عمله بالإيمان بربّهِ ورسلهِ وكتبهِ واليومِ الآخرِ ، فلا يظلم ولا يهضم حقّه ، أي لا يزاد في سيئاته بأن يعاقب بغير ذنبٍ ، ولا ينقص من ثوابِ حسناتهِ " [٣] .

بلحاظ ما مرّ ذكره من أقوال المفسرين يتبين أنّ المراد من قوله تعالى أنّ الذين آمنوا واقترن إيمانهم بالعمل الصالح فإنهم لا يظلمون من قبيل أعمالهم فلا يزيد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ، فالظلم يراد به في الآية هي زيادة السيئات ، والهضم النقص في الحسنات ، وهذا لا يصدر منه جلّ شأنه لما وعد به عبادَهُ المؤمنين الذين يعملون الصالحاتِ فسوف يجازيهم على أعمالهم بأحسن الجزاء إن شاء تعالى وسياق الكلام في الآية الكريمة يبيّن أن مستوى الإيمان المراد بها الإيمان المقترن بالعمل الصالح وهو إيمان مطمئن.

---

(١) الطوسيّ / التبيان ، ٧ / ٢١٢ .

(٢) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ٣١٨ .

(٣) وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٨ / ٦٤٤ .

وخلاصة القول إنّ هذه السمات تختلف تبعًا لاختلاف العمل فأصحاب الجنّة غير الذين لا يخافون ظلمًا وهضمًا ، فالأخير واصل إلى حالة الاطمئنان بكونه لا ينقص من حسناته ولا يُزاد في سيئاته ولا يُؤخذ بذنبِ غيرهِ .

يتضح ممّا تقدم أنّ هذا المبحث يتحدّث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالعمل الصالح ، وهو مستوى أرقى من المستوى الأوّل المقترن بالأوامر والنواهي ، فالمستوى الأوّل مثل مرحلة الإعداد والتدريب ورسم المسار ، وهذا المستوى تحدّث عن التطبيق الفعلي للمستوى الأوّل ، والذي يبدو لي أنّ الجزاء يختلف في كلّ نصّ ، فالجزاء يتناسب طرديًا مع العمل نوعًا ، الذي يُحدّد درجة الإيمان ، فالجزاء على قدر العمل لذا يختلف باختلاف العمل، ويمكن القول : أنّ الجزاءَ يُحدّد نوع العمل ، ونوع العمل يحدّد درجة الإيمان .

وبعبارة أخرى : الإيمان يختلف من فردٍ لآخر تبعًا لاختلاف العمل الذي يترتب عليه الجزاء .

وبلحاظ ما تقدّم في هذا المطلب الاوّل – مكاسب العمل الصالح لأصحابهِ – .

كما تناولت الآيات القرآنية الكريمة بيان الجزاء فمرة يذكر أنّه يدخل الجنّة خالدًا فيها وفي موضع آخر تبيّن أنّ الجزاء دخول الجنّة خالدًا فيها وله فيها أزواج مطهرة والظل الظليل ولعله قصد منه الراحة والسكينة ، وفي آية أخرى عبّر عن الجزاء بتوفية الأجر ، وفي آية أخرى أضاف على توفية الأجر الزيادة في الفضل، وفي موضع آخر ذكر أنّ الجزاء هو الحياة الطيبة وقد ذكر المفسرون عدّة معاني للحياة الطيبة منها الجزاء الدنيويّ كالرزق والسعادة والجزاء الأخروي الجنّة ونعيمها وفي أخرى ذكر أنّ جزاء المؤمن الذي يعمل الصالحات هو الحسنى والأمر اليسير وهو متعلق بالجزاء الدنيوي والأخروي ، وكلّ ذلك

الأجر والثواب يحدّده مستوى إيمان العبد وهو الإيمان المقترن بالعمل الصالح كما أنّ هذا المستوى يختلف من شخصٍ لآخرة بحسب عمله الصالح الذي يقوم بهِ .

أمّا ما ورد من الآيات القرآنية في المطلب الثاني – سمات أصحاب العمل الصالح بعد الإنجاز – فهو يمثل مرحلة متقدمة عمّا سبقها من مراحل الإيمان فإنّه قد آمن وقُرِن إيمانه بالعمل الصالح فاستحق المكاسب التي شرعها الله تعالى في كتابه الكريم فبعد أن ذكر من قبل أنّهم يدخلون الجنّة صار الخطاب لهم هنا أصحاب الجنّة والخلود فيها وأعطاهم الأمن والاطمئنان بأنّه لا يصيبهم الظلم والهضم في أجرهم فقد حفّهم الله برعايته وحفظه فكانوا مستحقين لذلك .

المبحث الثاني: الإيمان المقترن بـ (التَّقوى) .

هذا المبحث قائم على بيان مستوى متقدِّم من مستويات الإيمان، هو (الإيمان مقترن بالتَّقوى)، أي: ورد الحديث فيه عن (الإيمان) المقترن بـ (التَّقوى)، ففي النُّصوص كلِّها الَّتي تمَّ استقراؤها نجد صريح القرآن: تارةً يقدِّم (الإيمان على التَّقوى)– وهو الأعم الأغلب– قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٢ ، وتارةً يقدِّم (التَّقوى على الإيمان)– وهو أقلُّ من المستوى الأوَّل– قال تعالى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٦

المطلب الأوّل : مكاسب التَّقوى لأصحابها :

هذا المطلب قائم على استقراء مرحلة قبل الاختبار– قبل التَّلبُّس– فمن يؤمن، ويُقرن إيمانه بالتَّقوى– فله جملة مكاسب يشرع القرآن في بيانها مفصَّلًا .

أ – أجر عظيم :

قال تعالى : ﴿ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ آل عمران: ١٧٩

إنّ الآية القرآنية تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية التي أشار إليها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتقوى ، ويُلحظ ذلك من خلال قوله : ﴿ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾ ثمّ ذكر مكسب ذلك الإيمان المقترن بالتقوى وهو ﴿ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ ، فالمؤمن المتقي الله تعالى في كلّ شيء فإنّ الله عزّ وجلّ سوف يجزيه أجرًا عظيمًا لإيمانه وتقواه .

وفي معنى الآية فقد أورد المفسرون في معناها عدّة أقوال :

" يقول: فلكم بذلك من إيمانكم واتقائكم ربكم ثواب عظيم " [١] .

في الآية الكريمة دلالة على أنّ الثواب الذي يحصل عليه العبد هو نتيجة الإيمان والتقوى الذي هو عليه ، وليس تفضل عليه [٢] .

قال القرطبيّ (ت ٦٧١هـ) : " ﴿ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أَيِ الْجَنَّةُ " [٣].

" رتب حصول الأجر العظيم على الإيمان ، والمعنى : الإيمان السابق ، وهو الإيمان بالله ورسله ، وعلى التقوى وهي زائدة على الإيمان ، وكأنها مرادة في الجملة السابقة فكأنّه قيل : ﴿ **فآمنوا بالله ورسله واتقوا الله** ﴾ " [٤].

أي أنّ كلّ إيمان لابد من أن يلازمه التقوى ، وحصول الأجر وفق تلك التقوى .

" أنّ الإيمان بالله ورسله مادة لطيب الحياة وهو طيب الذات ، وأمّا الأجر فيتوقف على التقوى والعمل الصالح ، ولذلك ذكر تعالى أولًا حديث الميز بين الطيب والخبث، ثمّ فرع عليه قوله : ﴿ **فآمنوا بالله ورسله** ﴾ ، ثمّ لما أراد ذكر الأجر أضاف التقوى إلى الإيمان فقال : ﴿ **وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم** ﴾ " [٥].

---

(١) الطبريّ / جامع البيان ، ٦/ ٢٦٦ .

(٢) ظ: الطبرسيّ / مجمع البيان ، ٢ / ٣٦٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ٤/ ٢٩٠.

(٤) أبو حيان الأندلسيّ / البحر المحيط ، ٣/ ١٧٦ .

(٥) محمد حسين الطباطبائيّ / الميزان في تفسير القرآن ، ٤/ ٨٢ .

لابد من اجتماع صفتي الإيمان والتقوى بالإنسان كي يستحق الثواب من الله فلا يكفي الإيمان وحده للاستحقاق ، فيجب أن ينسجم الإيمان مع التقوى كون التقوى تحقق تمثل الطاعة لله تعالى والانضباط في تطبيق تعاليمه والالتزام بأوامره ونواهيه والعمل بكلّ ما أقرته الشريعة المقدسة [١].

" وإن تؤمنوا بما جاؤوا به من أخبار الغيب ، وتتقوا الله بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، فلكم ثواب عظيم لا يستطيع أحدٌ تحديد مقداره ... ويلاحظ أنّ القرآن يقرن دائمًا بين الإيمان والتقوى ، كما يقرن بين الصلاة والزكاة ، لتلازمهما والإعلام بأنّ الإيمان لا يكتمل إلّا بهما ، ويقرن أيضًا بين الجهاد بالنفس والجهاد بالمال " [٢].

في الآية مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالتقوى ويمكن القول أنّه إيمان مطمئن يظهر ذلك من سياق الآية الكريمة والوعد الذي وعده الله تعالى والبشرى للمؤمنين بالجزاء الحسن على ثبات إيمانهم ، كما أنّ من مكاسب التقوى التي أعدها الله تعالى لعباده المتقين هو الأجر العظيم ، فقد بيّن القرآن الكريم أنّ للتقوى مكاسب مادام المرء قد قرن إيمانه بها فثوابه عند الله تعالى على ذلك أجرًا عظيمًا ، فالإيمان وحده لا يكفي دون التقوى فلا يكتسب الإيمان الكمال مالم يقترن بالتقوى ، فقد يكون الإنسان مؤمنًا لكنه ليس متقيًّا ، ولأجل ذلك كان لابد أن يكون الإنسان مؤمنًا متقيًا ليحصل على أجره بأحسن الجزاء.

---

(١) ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٦ / ٤٠٩ – ٤١٠ .

(٢) وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٢ / ٥١٠ .

ب – بلوغ الفلاح :

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ آل عمران: ٢٠٠

الآية القرآنية تُبيّن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتقوى وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ ثمّ بيّنت مكسب من مكاسب الإيمان المقترن بالتقوى وهو بلوغ الفلاح في قولهِ : ﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ أي من يتقي الله وهو مؤمن فقد أفلح .

من الأمور التي تلازم الإيمان هي التقوى وما يترتب على تلك التقوى من مكاسب كثيرة ومن بين تلك المكاسب ما ذكرته الآية المباركة وهو بلوغ الفلاح عند الله تعالى فجاء هنا مستوى الإيمان مقترنًا بالتقوى وهذا الاقتران ينتج عنه أنّ الإنسان سوف يكون طريقه الفلاح وجاء الفلاح هنا لفظ عام لم تخصصه الآية ولعله الفلاح الدنيويّ والأخرويّ ، فأمّا الفلاح الدنيويّ يكون السعة في الرزق وطيب العيش ، وأمّا الفلاح الأخرويّ فقد يكون عبور الصراط والفوز بالجنّة والمنزلة الرفيعة ، وهو ما يعطيه الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين الصابرين المرابطين على نصرته وإتباع أوامره واجتناب نواهيه وتطبيق ما ورد في الشريعة المقدسة.

وهو دعوة للمؤمنين أن اتقوا الله واحذروا من مخلفة أوامره وعدم اجتناب نواهيه فإذا لم تخالفوه فسوف تفلحون وهو النعيم الدائم والنجاح في الاختبار الإلهي الذي جعله الله تعالى لعباده[1].

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٦ / ٣٣٧ .

وفي معنى الآية أربع أقوال :

الأوّل : هو أن يُطاع الله تعالى ولا يُعصى وأن يُشكر فلا يُكفر وأن يُذكر فلا يُنسى .

الثاني : هو أن يتقي جميع المعاصي والذنوب .

الثالث: هو طاعة الله تعالى دون سواه فلا يُتقى غيره .

الرابع : هو الاعتراف بالحقّ في الأمن والخوف [١].

معنى الآية هي التقوى في عدم مخالفة الله عزّ وجلّ في أوامره كي تفوزوا بالنعيم الأبدي والنجاح بطاعتكم من الثواب الدائم [٢].

الدعوة إلى عباد الله بالتقوى وعدم المخالفة في كلّ الأوامر الصادرة عنه لأجل الفلاح والنعيم الدائم المعد لهم منه سبحانه [٣].

" إنّه حثٌّ على التقوى ولابد للاستقامة والمصابرة والمرابطة من أن تمتزج بعنصر التقوى ولا يشوبها شيء من الأنانية أو الرياء أو أغراض شخصية .

وهكذا تختم الآية هذا البرنامج بذكر النتيجة التي تنتظر كلّ من يطبق هذا البرنامج ، إنّه الفلاح والنجاح الذي يمكنكم الوصول إليه عبر الأخذ بهذه التعاليم والأوامر ، وإلّا فلن تحصلوا على شيء من النجاح والانتصار" [٤] .

---

(١)ظ : الماورديّ / النكت والعيون ، ١/ ٤١٣ .

(٢)ظ: الطوسيّ / التبيان ، ٣ / ٩٥ .

(٣)ظ: الطبرسيّ / مجمع البيان ، ٢ / ٣٨٣ .

(٤) ناصر مكارم الشيرازيّ /تفسير الأمثل ، ٢/٥٦٠ .

لبلوغ الفلاح لابد من عملٍ يقوم به العبد ليحصل عليه ، وهذا العمل هو التقوى، وما يترتب عليها من آثار ، فالفوز بالدنيا والآخرة يتطلب من الإنسان أن يكون مؤمنًا متقيًّا ليحقق ذلك الفوز، فمستوى الإيمان في الآية كما سابقتها هو الإيمان المقترن بالتقوى وهذا الاقتران يسهل للإنسان طريق الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة ليحصل على السعادة في الدارينِ جزاء ذلك العمل .

ت – التقوى الحقّة لله تعالى والموت مسلمًا :

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٢.

إنّ النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتقوى وممّا يبيّن ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ ثمّ يبيّن مكسب من مكاسب ذلك الإيمان المقترن بالتقوى وهي التقوى الحقّة لله سبحانه والموت على ملّة الإسلام في قولهِ : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ .

" يعني بذلك جلّ ثناؤه : يا معشر من صدق الله ورسوله {اتقوا الله} خافوا الله وراقبوه بطاعته، واجتناب معاصيه ﴿حقّ تقاته﴾ : حقّ خوفه، وهو أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى" [١].

" وظاهر الآية يقتضي أنّه خطاب للمؤمنين خاصة ويجوز أن يحمل من جهة المعنى على جميع المكلفين على التغليب ؛ لأنّه معلوم أنّه يجب عليهم من ذلك مثل ما يجب على

---

(١) الطبريّ / جامع البيان ، ٥/ ٦٣٦ .

المؤمنين من اتقاء جميع معاصي الله " [١].

" قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اتقوا الله حق تقاته ، أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى" [٢].

" ركيزة أولى بعد الإيمان تقوم عليها الجماعة المسلمة تحقيقًا لكيانها وتأدية لدورها ، صمودًا في وجه أعداءها الألداء ، هي تقوى الله حقّ تقاته والموت مسلمًا ، فبدون هذهِ الركيزة تكون الأمة فالتة في تجمّعٍ جاهلٍ قاحلٍ مهما ملكت من ادعاءاتٍ وحملت من أسماءٍ براقة مشرقة كـ(المؤمنون) " [٣].

يراد في التقوى بعد الإيمان الورع بتجنب المحارم والتقوى من الذنوب والكبائر التي تنزل السخط الإلهي على العبد وتجعل صاحبها مستحقًا النار كالشرك والكفر وسائر الكبائر والموبقات التي وعد الله تعالى مرتكبيها جهنم وبئس المصير [٤] .

" أمّا قوله تعالى : ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فقد تكون نتيجة طبيعية للسير على خط التقوى في الحياة ؛ لأنّ ذلك هو الذي يعمّق وعي الإنسان للإسلام في الداخل ، ويركّز خطواته على الصراط المستقيم ، فلا يبقى في حياته اهتزاز أو ارتباك يبتعد به عن الإسلام..." [٥] .

---

(١) الطوسيّ / التبيان ، ٢/ ٥٤٤ .

(٢) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ٨٧ .

(٣) محمد الصادقيّ / الفرقان في تفسير القرآن ، ٥ / ٢٨٩ .

(٤) ظ: محمد حسين الطباطبائيّ / الميزان ، ٦ / ٣٧ .

(٥) محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٦ / ١٨٨ .

يوصي الله عباده المؤمنين بأن يتقونه حق تقاته وأن يلتزموا بما جاءت به الشريعة المقدسة ، فالشريعة إنّما هي أفعال وتطبيق عملي فمن التزم بها كان متقيًّا حقًّا ، ومن يفعل ذلك فإنّه قد أسلم وجهه لله تعالى ومضى على إسلامه حتى يتوفاه الله ، فيموت وهو مسلم ، وهي الغاية المبتغاة لكل مؤمنٍ آمن بالله عزّ وجلّ وما جاء بهِ نبيّه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا مستوى الإيمان المقترن بالتقوى الذي جعله ثابت الإيمان فيبقى على إيمانه حتى مماته.

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ الطلاق: ٢

وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ الطلاق: ٤ .

ث – تكفير السَّيِّئات وإدخال جنّات النعيم :

١ – قال تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ المائدة: ٦٥

تبيّن الآية الكريمة مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتقوى في قولهِ : ﴿ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ ﴾ ثمّ بيّنت الآية مكسب من مكاسب الإيمان المقترن بالتقوى وهو :﴿ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ فمن يؤمن وقرن إيمانه بالتقوى فإنّ الله تعالى سوف يكفر عنه سيئاتهِ ويدخله جنات النعيم.

أي أنّهم لو آمنوا بالله تعالى وكتابه واتقوا في تطبيق أوامره واجتناب نواهيه لستر الله عليهم سيئاتهم ولأدخلهم جناتهِ [١] .

من تاب وصلح وأناب ونصح في توبته فإنّ الله تعالى سوف يتب عليه ويكفر عنه السيئات ويمحوها له ويدخله الجنّة ويشمله بنعيمهِ [٢].

توجب الآية الالتزام بما يوجبه الإيمان من الأعمال الصالحة والسلوك السوي ولا يعمل ذلك إلّا من كان متقيًّا [٣] .

خطاب الله تعالى خطاب عام لكلّ الناس ، فالقرآن الكريم إنّما هو موجهٌ للبشرية جمعاء، والإسلام دين كلّ الأمم ، فالأنبياء عليهم السلام إنّما دينهم الإسلام وهذا ما صرح بهِ القرآن الكريم في كثير من المواضع على لسان الأنبياء والرسل كنوح (عليه السلام) في قوله تعالى:

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

يونس: ٧٢.

وإبراهيم (عليه السلام)في قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ البقرة: ١٣٢.

وموسى (عليه السلام)في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ يونس: ٨٤.

---

(١)ظ: ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٢/ ٢١٧ .

(٢)ظ: محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٨/ ٢٥٦ .

(٣)ظ: محمد تقي المدرسيّ / من هدى القرآن ، ٤٢٣/٢.

وسليمان (عليه السلام)في قوله تعالى : ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ النمل: ٣١.

لذا فإنّ الكثير من الخطابات القرآنية تخصّ الناس جميعًا منها ما جاء في قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٨، وقوله عزّ وجلّ :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ يونس: ١٠٨.

في الآية الواردة آنفًا نجد أنّ القرآن الكريم قد خاطب أهل الكتاب بأن يؤمنوا ويتقوا ليكفر الله عنهم سيئاتهم ويبدلهم حسناتٍ ويدخلهم جناتِ النعيم إذا ما آمنوا واتقوا والتزموا بتعاليم الشريعة المقدسة ، فباب العودة إلى الله مفتوحٌ والتوبة موجودة لمن أراد سبيل النجاة وطريق الحقِّ فمن اهتدى للصراط القويم ذلك فضل الله على عباده المؤمنين المتقين الصادقين الذين يعملون الصالحات والآية الكريمة من باب التحذير والإنذار لكي يدركوا أنفسهم قبل فوات الفرصة عليهم ومادام هناك متسع من الوقت بالرجوع لطريق الصواب والآية تتحدث عن مستوى الإيمان الذي يتحقق فيه رضا الله تعالى واستحقاق المثوبة منه وهي الجنّة وهو الإيمان المقترن بالتقوى ، فالإيمان وحده كما ورد من قبل لا ينفع ما لم يكن العبد متقيًا كي يكتمل إيمانه ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ الطلاق : ٥ .

ج – فتح البركات :

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ٩٦

النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتقوى وهو في قوله : ﴿ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ ﴾ ثمّ ذكر مكسب من مكاسب الإيمان المقترن بالتقوى وهو ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فنزول بركات السماء وتسخيرها من الأرض مرتبط بمدى إيمان الفرد والتزامه ، وهي مُعَدَة لمن كان مؤمنًا وقُرن إيمانه بالتقوى.

البركات التي يعطيها الله تعالى لعبادهِ المؤمنين المتقين إنّما هي بركات في الأشياء المسخرة لهم وبركات في ذاتهم وفي أنفسهم وبركات بمشاعرهم وفي الطيبات من الرزق فيرفعهم الله درجات في الدار الدنيا بحسن المنزلة والجاه وبركات الآخرة المعدّة لهم [1].

" الآية دلالة على أنّ افتتاح أبواب البركات مسبب لإيمان أهل القرى جميعًا وتقواهم، أي أنّ ذلك من آثار إيمان النوع الإنساني وتقواه لا إيمان البعض وتقواه فإنّ إيمان البعض وتقواه لا ينفك عن كفر البعض الآخر وفسقه ، ومع ذلك لا يرتفع سبب الفساد وهو ظاهر" [2].

" في ما يثيره الإيمان ، وتتحرك به التقوى من البركات في انطلاقة الخير من فكر الإنسان وروحه وعمله ، فتنمو الطاقات ، وتتحرك بالعطاءِ ، وتنطلق بالخير ، وتتحول الحياة – من خلال ذلك – إلى حركةٍ مسؤولةٍ في اتجاه الصلاح والإصلاح، وبذلك تتحرك بركات الأرض

---

(١) ظ: سيد قطب / في ظلال القرآن ، ١٣٣٩-١٣٤٠ .

(٢) محمد حسين الطباطبائيّ / الميزان ، ٨ / ٢٠٥ .

والسماء إلى نهر يتدفق بكلّ ما يصلح الحياة والإنسان؛ لأنّ الإيمان والتقوى يعمّقان في الذات معنى المسؤولية التي تبتعد عن العبث والفساد والأنانية ، فلا يبقى هناك إلّا ما ينفع الناس ، وبذلك تكون علاقة الإيمان والتقوى بالبركات علاقةً ترتبط بينابيع الخير التي يفجّرها عقل الإنسان وروحه وإرادته ، في حركة المواقف والعلاقات والأعمال في الحياة " [١].

" لو آمن أهل القرى كأهل مكة وغيرهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، واتقوا ما نهى الله عنه وحرمه من الشرك والفساد في الأرض بارتكاب الفواحش والآثام لأنزل عليهم الخيرات الكثيرة من السماء كالمطر وأخرج لهم خير الأرض من نباتٍ ومعادنَ وكنوزٍ ، وآتاهم من العلوم والمعارف والإلهامات الربَّانية لفهم سنن الكون" [٢].

" أي لو أنّ الناس قد سلكوا طريق الإيمان والتقوى بدل من أن يسلكوا الطغيان وتمردهم في دينهم وتكذيب آيات الله تعالى وفعل الكبائر والظلم والفساد في الأرض فإنّ الله لن يخلصهم من العذاب والعقوبة ونيل غضب الله فحسب بل سوف يفتح عليهم من خيراته من السماء والأرض ويرضى عنهم لإتّباعهم سبيل الحقّ [٣].

تبين الآية المباركة أنّ بركات الله تعالى لعبادهِ إنّما هي متعلقة بإيمان الناس وتقواهم، فمتى ما كان الناس مؤمنين متقين زاد الله عليهم بركاته ، وفاض عليهم من عندهِ ، بركات السماء والأرض ورضي عنهم ورزقهم من رزقه وينزل عليهم من خيره ما يحقق لهم الأمن والطمأنينة والراحة النفسية فالآية تشير إلى مستوى إيماني مهم وهو الإيمان المقترن بالتقوى التي تحقق مرضاة الله عنهم .

---

(١) محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ١٠ / ١٩٣ .

(٢) وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٥/ ٢٠.

(٣) ظ: ناصر مكارم الشيرازيّ /الأمثل ، ٤/ ٤٣٦.

كما أنّ الآية مشتملة على وعد ووعيد ، وعدٌ بفتح البركات للمؤمنين المتقين ، ووعيد بحبسها فيما لو أنّهم لم يؤمنوا ولم يتقوا ، وكلّ ذلك بيده عزّ وجلّ فهو القاهر فوق عباده جلّ ثناؤه يثيب المؤمن على عمله ويعاقب غير المؤمن على أفعاله وكلّ بمشيئته سبحانه .

ح – سعة الرَّحمة :

قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٦

الآية القرآنية تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية التي أشار إليها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتقوى وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ... وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وقد بيّنت مكسب من مكاسب الإيمان المقترن بالتقوى وهو : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ... ﴾ ، فرحمة الله الواسعة قد كتبها تعالى للذين اتقوا والذين بآيات الله يؤمنون .

معنى الآية أنّ رحمة الله تعالى في الآخرة كتبها للمتقين للمعاصي ويخافون عقابه والمصدقين لآياته والمؤمنين بحججهِ وبيناته ...[١].

" أي أنّ الله عزّ وجلّ قد أوجب رحمته للذين يتجنبون الشرك وقيل يتجنبون الكبائر والمعاصي جميعها ويصدقون بما أنزل الله من الحجج والبيّنات [٢].

---

(١)ظ: الطوسيّ / التبيان ، ٤ / ٥٥٨ .

(٢)ظ: الطبرسيّ / مجمع البيان ، ٤/ ٢٧٤ .

" للّذين يتقون الكفر والمعاصي ، ويؤتون الزكاة خصّها بالذكر لإنافتها ولأنّها كانت أشق عليهم ، والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها" [١].

" أمّا الرحمة بمعنى الثواب فإنّ الله سبحانه يمنحها لمن آمن واتقى ... أي أنّ رحمة الله التي هي بمعنى الثواب لا ينالها إلّا من اتقى الله ، وآتى المال على حبّه ، وآمن بنبوة محمد صلى الله عليه وآله إذا بلغت إليه رسالته " [٢].

" فالمكلفون بشرعة الله مكلفون برحمة خاصة رحيمية من الله ، فإنّ آمنوا بها في مثلثٍ

﴿ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ... " [٣].

" يضيف في ختام الآية : سرعان ما أكتب رحمتي للّذين تتوفر فيهم ثلاثة أمور : اتقوا ، وآتوا الزكاة ، وآمنوا بآياتي" [٤].

في الآية المباركة بيان بأن رحمة الله قد وسعت كل شيء ، إلّا أنّها خاصّة ببعض الناس ، ومن بين هؤلاء الأفراد هم المتقون المؤمنون ، فالله تعالى يبين في هذا الموضع شرط الإيمان والتقوى لإنزال رحمته للناس ، وهذا تبيانٌ لعظم الاتصاف بهاتين الصفتين اللتين تشكلان الإيمان الحقيقي بالله تعالى وبما أنزل في شريعته المقدسة فالآية الكريمة توضح مستوى الإيمان المقترن بالتقوى ومدى أهميته في خلاص العبد من العقاب وحصوله على الثواب الجزيل .

---

(١) البيضاويّ / أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ٣/ ٣٧.

(٢) محمد جواد مغنية / تفسير الكاشف ، ٣ / ٤٠٣ .

(٣) محمد الصادقيّ / الفرقان ، ١١/ ٣٣٢ .

(٤) ناصر مكارم الشيرازيّ /الأمثل ، ٤/ ٥٢٨ .

المطلب الثاني : سمات أصحاب التَّقوى بعد تحقُّق التَّقوى :

هذا المطلب قائم على استقراء مرحلة بعد الاختبار – بعد التَّلبُّس – فمن آمنَ، وقُرن إيمانه بالتَّقوى – وكانَ متَّقيًا – فهو متَّقٍ. وتغيَّر نمط الخطاب، فخاطبهم أنَّهم المتَّقونَ، بدلًا من خطابهم بـ (اتَّقَوْا).

وقد وسم القرآن الكريم أصحاب التقوى وأعطاهم سمات لتميزهم دون غيرهم ومن بين تلك السمات :

أ – هم المتقون :

قال تعالى : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ... وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٧٧

الآية القرآنية تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتقوى وممّا يبيّن ذلك قوله : ﴿ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ وهو الإيمان ثمّ قرنهُ بالتقوى بقولهِ : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ ووسمهم بأنّهم المتقون .

وذكر المفسرون عدّة أقوال في ذلك منها :

" أي اتقوا بفعل هذه الخصال نار جهنم " [١].

" هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم ؛ لأنّه حققوا الإيمان القلبيّ، بالأقوال والافعال ، فهؤلاء هم الذين صدقوا ... لأنّهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات " [٢].

---

(١) الطبرسيّ / مجمع البيان ، ١ / ٣٦٧ .

(٢) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ١/ ٤٨٨ - ٤٨٩ .

أي أنّهم المتقون حقًّا الذين يخشون الله تعالى ويتصلون بهِ عن طريق عمل الخيرات وأداء الواجبات والطاعات خاضعون له مُسَلِمون له في الإتّباع [١].

" الذين يخافون الله ويخشونه بالغيب فتتحول خشيتهم له إلى خطّ عملي في حياتهم وفي دوافعهم ، فيقفون عند ما حرم الله عليهم من مالٍ حرامٍ ، أو أكلٍ حرامٍ ، أو شربٍ حرامٍ ، أو لعبٍ حرامٍ ، أو عرضٍ حرامٍ ، أو علاقةٍ محرّمةٍ ، أو غير ذلك ممّا نهى الله عنه ، ويندفعون بالتزامٍ مؤكدٍ في ما فرضه الله عليهم وألزمهم به من الواجباتٍ في عباداتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم في البيت وفي العمل وفي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... " [٢] .

الصادقون والمؤمنون يعرفون من الصفات التي يحملوها التي ورد ذكرها في الآية الكريمة وهي صفات البر ، فالذي يتصف بتلك الصفات هم الأتقياء حقًّا الذين اتّقوا غضب الله وعقوبته بابتعادهم عن المعاصي والموبقات ففازوا برضاه سبحانه وحصلوا على الثواب الجزيل في الحياة الآخرة [٣].

أي إنّ صدقهم يظهر من خلال أعمالهم وما يقومون بهِ من سلوك مع الإيمان والعقيدة التي هم عليها ، كما إنّ تقواهم تظهر بمدى التزامهم بالواجبات المنوطة بهم تجاه الله تعالى وتجاه الناس الذين هم بحاجة إليهم وتجاه كلّ المجتمع الإنساني الذي يعيشون فيه [٤].

تورد الآية الكريمة الصفات التي يتصف بها الإنسان ليصل إلى مرتبة الإيمان الحقيقي ، الإيمان الذي يقترن بالتقوى، فإيمان بلا تقوى لا يعتبر إيمانًا كاملًا ، والوصول إلى التقوى لا

---

(١)ظ : سيد قطب / في ظلال القرآن ، ١٦٢ .

(٢)محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٣ / ٢١٢ .

(٣)ظ: وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١/ ٤٦٤ .

(٤)ظ: ناصر مكارم الشيرازيّ /الأمثل ، ١ / ٤١١ .

يكون إلّا بتطبيق ما أمرتنا بـه الشريعة المقدسة ، فالذين يطبقون ما أمر الله بـه ونهى عنـه أولئك المتقون حقًّا كما أنّ الخطاب القرآني الوارد في الآية ذكرتهم بـ(المتقون) وهو أعلى درجة في التقوى وفيه يظهر مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالتقوى وهو إيمان مطمئن .

ب – أعلى الدّرجات :

قـال تعـالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ البقرة: ٢١٢.

الآية القرآنية تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتقوى وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو الإيمان ، ثمّ قُرِنَ مباشرةً بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ﴾ وبيّن منزلتهم فقال : ﴿ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ .

وفي معنى الآية :

" فإن قلت : لِمَ قال : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، ثمّ قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ﴾ ؟ قلت : ليريك أنّهُ لا يسعد عنده إلّا المؤمن المتقي ؛ وليكون بعثًا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك " (١).

" ومعنى الفوق هنا في الدرجة والقدر فهي تقتضي التفضيل وإن لم يكن للكفار من القدر نصيب ... وتحتمل الآية أنّ المتقين هم في الآخرة في التنعم والفوز بالرحمة فوق ما هم

(١) الزمخشريّ /الكشاف ، ١/ ٤٢١ .

هؤلاء فيه في دنياهم ... وتحتمل هذه الآية أن يراد بالفوق المكان من حيث الجنّة في السماء والنار في أسفل السافلين، فيعلم من ترتيب الأمكنة أنّ هؤلاء في الجنّة وهؤلاء في النار " [١].

" أي : الذين اجتنبوا الكفر فوق الكفار في الدرجات ، وقيل : أراد أن حالهم فوق هؤلاء الكفار ؛ لأنّهم في عليين ، وهؤلاء في سجين " [٢].

" أي في الدرجة، لأنّهم في الجنّة والكفار في النار ، ويحتمل أن يُراد بالفوق المكان، من حيث إنّ الجنّة في السماء، والنّار في أسفل السافلين. ويحتمل أن يكون التفضيل على ما يتضمنه زعم الكفار ... " [٣].

" هذا هو ميزان الحقّ في يد الله ، فليعلم الذين آمنوا قيمتهم الحقيقية في هذا الميزان، وليمضوا في طريقهم لا يحفلون سفاهة السفهاء ، وسخرية الساخرين ، وقيم الكافرين، إنّهم فوقهم يوم القيامة ، فوقهم عند الحساب الختامي الأخير ، فوقهم في حقيقة الأمر بشهادة الله أحكم الحاكمين" [٤].

قوله الذين اتّقوا ولم يقل الذين آمنوا كون الإيمان دون تقوى لا ينفع صاحبه لذلك لابد من أن يكون إيمان المرء مقترن بالتقوى حتى يكتمل إيمانه [٥].

---

(١) ابن عطية / المحرر الوجيز ، ١ / ٢٨٥ .

(٢) الطبرسيّ / مجمع البيان ، ٢/ ٥٣ .

(٣) القرطبيّ / الجامع لأحكام القرآن ، ٣ / ٢٩ .

(٤) سيد قطب /في ظلال القرآن ، ٢١٤.

(٥) ظ : محمد جواد مغنية/ التفسير الكاشف ، ١/ ٣١٥ .

في الآية الكريمة بدل لفظ الإيمان بالتقوى كون الإيمان دون العمل لا ينفع فالتقوى هنا تعني العمل الذي يقوم بهِ المرء إذا كان مؤمنًا [١] .

" فإنّ الله عندما يجعل المؤمنين فوق الكافرين يوم القيامة ، فإنّه يجعل لهم كل القيمة الكبرى التي يرتفعون بها إلى أعلى الدرجات ، فلا يضعف المؤمنين ولا يستسلمون للشعور أمام الاضطهاد ... " [٢].

الآية تبيّن مقام المتقين في الآخرة فهم الأعلى رتبة من الذين كفروا وهم أعلى مقامًا عند الله تعالى فهم أعلى عليين والكافرون في الدرك الأسفل [٣].

وعد الله تعالى عباده المؤمنين المتقين بأفضل الجزاء وأحسنه ، وهذا ما جاء في مواطن كثيرة من الآيات القرآنية وإنّ دلّ ذلك على شيء إنّما يدلّ على عظم منزلتهم ورفعة مكانتهم فجعلهم في أعلى الدرجات وأفضلها منزلًا ، لكونهم اجتنبوا المعاصي والفواحش فاتقوا أنفسهم عن ملذات الدنيا الزائلة فعوضهم الله تعالى بنعيم الآخرة الدائم الذي وعدهم بهِ فالله رفعهم درجات فوق درجاتهم لتطبيقهم ما شرعه لهم لذا استحقوا تلك المكانة بفضله وبتقواهم فهنا الآية تبيّن منزلة المؤمن الحقيقي الذي قرن إيمانه بالتقوى فكان مستوى إيمانه المطمئن المقترن بالتقوى هو من أوصله لتلك المنزلة الرفيعة والمكانة السامقة .

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾الشورى:٢٠ .

---

(١)ظ: محمد حسين الطباطبائيّ / الميزان ، ٢ / ١١٢ .

(٢)محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٤ / ١٣٨ .

(٣)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١/ ٦٠٧ .

ت – هم الناجون :

قال تعالى : ﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ النمل: ٥٣

الآية بيّنت مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتقوى وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهو الإيمان ثمّ قرنه بقولهِ : ﴿ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ وبيّن سمتهم بأنّ أنجاهم من كلّ سوء لإيمانهم وتقواهم .

الآية فيها إخبار من الله عزّ وجلّ أنّه قد أنجى المؤمنين من قوم صالح ؛ لأنّهم كانوا يتقون الله ولا يعصونه لخوفهم من العقاب الإلهيّ ، فالاتقاء هو أن يمتنع العبد من البلاء خوفًا من نزوله على صاحبه ، والإنسان التقي الذي يعمل ليقي نفسه من العقوبة الربّانيّة ودفعها عن نفسه [١].

تشير الآية كيف أنّ الله سبحانه قد أنجى المؤمنين من قوم نبيّهِ صالح (عليه السلام)وتبيّن الآية السبب في ذلك يرجع كون الله أنجاهم لأنّهم كانوا متقين عن الكفر وارتكاب المعاصي وفعل الحرام لذلك دفع الله تعالى عنهم عذابه ونجاهم من المهلكة [٢].

" لأنّهم ساروا على الخطّ المستقيم في العقيدة والعمل بما يمثله خطّ الإيمان والتقوى الذي يقود صاحبه إلى النجاح والفلاح " [٣].

الإيمان واتّقاء العقاب الإلهي بالطاعة لله تعالى هي سبيل النجاة دائمًا في الدنيا والآخرة [٤] ،

---

(١)ظ: الطوسيّ / التبيان ، ٨ / ١٠٥ .

(٢)ظ: البيضاويّ / أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ٤/ ١٦٣ .

(٣)محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ١٧ / ٢١٨.

(٤)ظ: وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١٠ / ٣٥٠ .

أي إنّ المؤمن الذي يلازم التقوى عن طريق طاعة الله تعالى في كلّ شيء هو سبيل نجاته من العقاب الدنيوي والأخروي .

منذ بدء الخليقة والناس صنفان صنف المؤمنين المتقين – مع اختلاف مستوى إيمانهم – الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصنف آخر هم أهل الضلالة والعصيان – مع اختلاف درجات ضلالهم أو عصيانهم – الذين تسيرهم أهواءهم ونزواتهم فيتبعوا سُبل الشيطان ، وفي مواطن كثيرة يزداد طغيانهم وجبروتهم ليرسل الله عليهم عذابه ليهلكهم به .

وفي الآية الكريمة إشارة وبيان بأنّ الله إنّما مهلك أولئك العصاة ومنجي الذين آمنوا وقرنوا إيمانهم بالتقوى ، في إشارة للّطف الإلهي والوعد الصادق لهؤلاء بأنّ الله منجيهم من العذاب دون غيرهم والسبب يرجع لإيمانهم وتقواهم .

كما تبين الآية الكريمة أنّ من أسباب نجاة المؤمنين هو أنّهم متقون ، فالتقوى هنا قد نجتهم من العذاب وحملتهم إلى الخلاص منه ، كما أبعدتهم عن المهالك ، فتكشف الصورة جليّةً عمّا يريده الله تعالى من عباده وهو ليس الإيمان وحده إنّما يجب أن يقترن بالتقوى للوصول إلى الكمال الذي يريده الله لهم فالنجاة من العذاب والمهلكة متعلقة بكمال إيمان العبد ، وهذا غاية ما يبحث عليه كلّ مؤمنٍ ، فالآية تشير إلى مستوى الإيمان المقترن بالتقوى وفائدة ذلك الإيمان لصاحبه فيه خلاصه من العقاب والعذاب الذي سوف يلحق بغيره لأنّه لم يتبع ما أمره الله سبحانه بهِ ، وهنا تتجلى صورتان للإنسان صورة المؤمن المتقي وصورة للكافر العاصي لربّهِ وتبزغُ حقيقةٌ لمصير هذان الصنفان الأوّل أصحاب الجنّة المنعمون والآخر أصحاب النار الهالكون وهذا وعد الله ووعيده لخلقهِ كلّ حسب عملهِ في دار الدنيا ، كما يظهر من خلال سياق الآية مستوى الإيمان المقترن بالتقوى .

اختلف هذا المبحث – الإيمان المقترن بالتقوى – عن سابقه – الإيمان المقترن بالعمل الصالح – هو أنّه يمكن حصول الإيمان دون العمل الصالح وحصول العكس أيضًا أي حصول العمل الصالح دون الإيمان ، أمّا في الإيمان المقترن بالتقوى فلا يمكن حصول التقوى دون الإيمان فالعبد لكي يصل للتقوى لابد من كونه مؤمنًا .

وبلحاظ ما تقدّم يتبيّن أنّ هذا المبحث قائم على استقراء مستوى الإيمان المقترن بالتقوى وبيان مكاسب تلك التقوى لأصحابها وسمات أصحاب التقوى من خلال ما ورد في الآيات القرآنية والتي تبيّن مرحلة ما قبل الاختبار وهي متمثلة بمكاسب التقوى ، ومرحلة ما بعد الاختبار وتكون متمثلة بسمات أصحابها ، كما بيّنت أنّ المكاسب بمثابة الحافز لبلوغ التقوى ، وأن يسعى المؤمن للحصول عليها ، أمّا سمات أصحاب التقوى فهي تمثل مرحلة حصول التقوى وتلبُسها بالمؤمن وإثباتها له.

الفصل الثالث : الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابيّ أو السلبيّ :

المبحث الأوّل: الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابيّ .

المبحث الثاني : الإيمان المقترن بالتحوّل السلبيّ .

توطئة :

بالرجوع للقرآن الكريم فإنّ من أسباب خلق الله لبعض مخلوقاته – الإنس والجن – هو لأجل العبادة له وحده ولا شريك له قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ ، لذا كان حَرِيًّا بهم أن يخلصوا العبادة له وحده وأن يؤمنوا بهِ إيمانًا خالصًا إلّا أنّهم انحرفوا عن المسار والطريق الصحيح الذي رسمه الله تعالى لهم فأشركوا وكفروا بهِ وجعلوا له الأنداد والنظائر وهذا ما ورد ذكره في القرآن الكريم فمن الأسباب الرئيسية لبعثة الأنبياء والرسل وتنزيل الكتب السماوية على الأمم والأقوام هو الانحراف العقدي للناس وعبادتهم للآلهة المتعددة واعتقادهم بأنّها تقربهم إلى الله زلفا كما أوضح القرآن ذلك من خلال قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣

أو أنّهم لجهل منهم ولأجل سد الفراغ الحاصل في عقائدهم اختاروا آلهةً متعددة وكلّ حسب أهوائهِ وهذا ممّا جعل مهمة الرسل والأنبياء شاقّة ومتعبة لذا اختار الله من خلقه من هم على قدر المسؤولية لهذهِ المهمة الصعبة ، وفي هذا الفصل يتم تسليط الضوء على عدة فئات من الناس وبيان مستوى إيمانهم وتحوّلهم من مستوى إلى آخر من الكفر إلى الإيمان ومن ملّي الذين يسمون أهل الكتاب إلى الإسلام ومن الإيمان إلى الكفر وهم أهل الردّة ومن الإيمان إلى النفاق وهم ما يطلق عليهم المنافقون ، وهذا التحوّل المذكور من مستوى لآخر إمّا تحوّل إيجابيّ أو تحوّل سلبيّ بحسب الحالة التي أصبح عليها .

المبحث الأوّل : الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابيّ .

وقد جاء على ثلاثة مطالب تناول كل مطلب مستوى من المستويات الإيمانية المقترن بالتحوّل الإيجابي للعبد وكيف تحوّل من حالة السلب إلى حالة الإيجاب ويدخل ضمن الإيمان التصاعدي .

المطلب الأوّل : التحوّل من الكفر إلى الإيمان .

وهو من الأمور الإيجابية والتي دعا إليها القرآن الكريم في كثير من المواضع والخطابات التي تؤكد على الناس أن يؤمنوا بالله تعالى وأن يتركوا الكفر والشرك بهِ سبحانه ، وبالتالي فالأمر يعود بالفائدة على الإنسان المؤمن فيكسب أجره أمّا الذي يبقى على كفره فإنّ عذاب الله تعالى وعقوبته ستناله ولن ينفعه كفره .

قال تعالى : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ البقرة: ٤١.

إنّ النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابي وهو إيمانٌ تصاعدي من الكفر إلى الإيمان .

الخطاب خاص لأهل الكتاب بأنّ القرآن الكريم مصدقًا لما في التوراة فأمرهم تعالى بالتصديق بهِ وأنّ التصديق للقرآن الكريم يعني التصديق للتوراة كون ما جاء في القرآن مطابقًا لما ورد في التوراة كون التوراة أقرّت بنبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمرهم بتصديقه واتّباعه، وقد ورد بنفس ذلك المعنى في الإنجيل وهو الإقرار بنبوة نبينا محمد (صلى الله عليه

وآله وسلم) والتسليم له والإيمان بما أنزل عليه من الكتاب السماويّ ، فقوله لما معكم قصد بهِ التوراة والإنجيل [١].

في الآية خطاب خاصّ لأهل الكتاب جميعهم أن لا يكونوا أوّل من يكفر بكتاب الله تعالى ، وقيل هو تحذير لهم لأن لا يكونوا أول السابقين للكفر بكتاب الله المنزل على نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والجحود بهِ قيل : هي صفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [٢] .

جاء النداء مخاطبًا اليهود أن صدقوا بما أنزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من القرآن الكريم ؛ لأنّه من السماء إلى الأرض وهو مصدق في كتبكم التوراة والإنجيل ، فالقرآن جاء ليكون حجّة عليهم بما بَشّر بهِ موسى وعيسى عليهما السلام ولا تكونوا سابقين بالكفر بهِ والجاحدين لصفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتبهم ، وقيل هو خطاب موجه لعلماء أهل الكتاب فإن كفروا فقد كفر أتباعهم [٣] .

الآية فيها أمرٌ وفيها عطف على من سبقها من خطاب لبني إسرائيل ، وقيل هي في بعض أكابر اليهود من علماء ورؤساء وقيل هي نازلة لأهل الكتاب جميعًا أن يؤمنوا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكتابهِ كونه مكتوب عندهم في العهدين القديم والجديد وأن يؤمنوا بما أنزل الله تعالى كونه أخبرهم في تلك الكتب من قبل بإخباره فصار لزامًا عليهم إتّباعه كون الأمر حاضر عندهم في كتبهم [٤].

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ١/ ٥٩٩ .

(٢)ظ الطوسيّ /التبيان ، ١/ ١٨٦ .

(٣)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ١/ ١٢٧ .

(٤)ظ : أبو حيّان/البحر المحيط ، ١/ ٣٣٢ .

الكلام موجه لأهل الكتاب أن يؤمنوا بما أنزل في القرآن مصدقًا لما معهم كون كلّ شيء مذكور في كتبهم، لأنّ أهل الكتاب قد كفروا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد سماعهم بهِ وببعثته ، والذي يكفر بالقرآن الكريم فإنّه يكفر برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن كفر بالنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كفر بقرآنهِ ، فالآية تطلب من أهل الكتاب وخاصّة يهود المدينة المنورة الإيمان بالرسول والقرآن ، كونهم أوّل من كفر بهِ وبمبعثه ، ففي الآية توجيه إلى الإيمان بالنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكتابهِ وترك الدنيا وملذاتها فإنّها قصيرة فانية حقيرة تودي بأهلها إلى الضياع وتوصيهم بأن لا يشتروا بآيات الله تعالى الدنيا وملذاتها وشهواتها [1] .

أمرٌ إلى معشر أهل الكتاب أن يؤمنوا بالذي جاء بهِ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مصدقًا بما جاءت بهِ كتبهم من بشرى لنبوته والأمر بإتباعه ، والنهي عن الكفر بهِ وبما أنزل عليه [2].

الخطاب فيه دعوة إلى الدخول في الإسلام والإيمان بما جاء في القرآن الكريم ، وقد قدم الخطاب بما يهيئ لهم نفوسهم بمقدمة من أجل ترغيبهم ، فهي دعوة للإيمان بالقرآن المنزل من عند الله أو بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله وما أخذ الله عليهم من عهود أخرى كالإيمان بالرسل والكتب السماويّة جميعها التي جاءت بعد النبيّ موسى (عليه السلام) وهذا لا يدخل ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّما ما عاهدوا الله عليه ، لكن يدعوهم الله تعالى الى الإيمان والتصديق بهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهي دعوة

---

(١)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ١/ ٢٤٣ .

(٢)ظ : الشوكانيّ/ فتح القدير ، ١/ ١٧٧ .

للإيمان بالقرآن الكريم ويستلزم بذلك الإيمان بالذي جاء بهِ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أنزل عليه [١] .

الخطاب لأهل الكتاب بأنّ الله أمرهم أن يؤمنوا بالقرآن الكريم وأن لا يسعوا للكفر برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن لا يقدموا مصالحهم الخاصّة وأن يفعلوا ما أمرهم بهِ الله تعالى من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لتطهير نفوسهم وأموالهم [٢].

الآية تشير أنّ الخطاب موجه لأهل الكتاب وخاصة اليهود منهم لما في كتابهم التوراة من تطابق مع ما جاء بهِ القرآن الكريم وهي دعوة إلى توحيد الله عزّ وجلّ وترك الفواحش والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما أنّ في التوراة وصفٌ لصفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فالآية هنا تحذرهم من الكفر بهِ وبما أنزل عليه من كتاب سماوي وجحد لتلك الحقائق وتوجههم للإيمان بهِ وبما جاء من عند الله ، ويحذرهم بأن لا يشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا لأجل متاع الدنيا ، فتلك الآيات قد بيّنت وصدقت ودلّت دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكرت صفاته ، فمتاع الدنيا قليل بخس فلا تتبعوا أهواءهم في ذلك [٣].

تخبر الآية الكريمة أنّه مادامت الرسالات هدفها واحد وليس أهدافًا ومصالح ذاتية، إنّما مصلحة عامة فلابد ممن يؤمنون بالرسلات السابقة وصدقها وحقيقة مصدرها من الله تعالى للإيمان بالرسالة الجديدة ، ومن لم يؤمن بها سيكون قد كفر [٤].

---

(١)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ١ / ٤٥٨ .

(٢)ظ : محمد جواد مغنية /التفسير الكاشف ، ١/ ٩٤ .

(٣)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١ / ١٦٣ .

(٤)ظ: محمد تقي المدرسيّ /من هدى القرآن ١ / ١٤١ .

بتتبع الآية الكريمة وسياقها وسياق من سبقها من الآيات وبلحاظ ما ورد من أقوال المفسرين نجد أنّ خطاب الآية والأمر الواقع فيها دعوة لترك الكفر والتحوّل إلى الإيمان وهذا من ضمن ما دعا إليه القرآن الكريم ونزلت بهِ الرسالات السماوية فأهم هدف كان ولا زال هو توحيد الله تعالى والإيمان بهِ ونبذ الكفر والشرك ونفيهِ عنه سبحانه فكل الشرائع والكتب السماوية نزلت لتؤكد أنّ هدفها الأساس هو الإيمان بالله تعالى ووحدانيته وترك الكفر كونه يؤدي بصاحبهِ إلى المهالك وعاقبته النار خالدًا فيها وهذا ما يمكن القول عليه ضمن المستويات الإيمانية هو مستوى الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابي وهو(الإيمان بعد الكفر) وهو صفة إيجابية للعبد فهو الهداية بعد الضلالة فالآية الكريمة تتحدث عن ذلك المستوى من الإيمان وهو الإيمان التصاعدي والتحوّل من الكفر إلى الإيمان .

المطلب الثاني : التحوّل من مِلِّي إلى مُسْلِم :

وقد عنى ذلك إنّ من أهل الكتاب من دخل الإسلام والتزم بتعاليمه وأصبح مؤمنًا واهتدى لطريق الصلاح وهو طريق الشريعة المقدسة فإنّ الله تعالى سيتقبل إيمانه بأحسن القبول مادام الإيمان خالصًا لله تعالى لا تدخله المعاصي والسيئات ، وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم وقد وعدهم الله تعالى بأن يوفيهم أجورهم ويتقبل إيمانهم ويثيبهم عليه بأفضل الثواب وأفضل الأجر وأحسن الجزاء ، ومن ذلك ما ورد في قوله عزّ وجلّ بخصوص أهل الملّة واكتسابهم صفة الإيمان الحقيقي :

١ – قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

البقرة: ٦٢

الآية تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم هو الإيمان التصاعدي وهو التحوّل الإيجابي من ملّي إلى مسلم .

في الآية إشارة إلى المؤمنين من المؤمنين وإلى أهل الكتاب أنفسهم من اليهود والنصارى والصابئين الذين هم أصحاب الديانات التي سبقت الإسلام فمن آمن بالله وصدقه وأقرّ بالبعث والنشور بعد الموت يوم القيامة وأطاع الله تعالى فيكون إيمانهم كاملًا خالصًا لوجه الله فإنّ الله تعالى سوف يثيبهم على أعمالهم الصالحة بأحسن القبول، أمّا إيمان أهل الكتاب يعني التصديق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبما جاء بهِ، فمن آمن بهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وبما جاء بهِ واليوم الآخر وعمل صالحًا ، ولم يبدل ذلك ولم يغير حتى مات على تلك العقيدة فإنّ الله يثيبه على عمله وله الأجر عند ربّه كما ورد في الآية الكريمة [١] .

اختلف المتأولون ماذا عني بالآية بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فقال سفيان الثوريّ (ت ١٦١هـ) : هم المنافقون من المسلمين وقد قرنهم بأهل الكتاب (اليهود والنصارى والصابئون)، ثمّ بيّن أنّه من آمن منهم وكان داخلًا في الإيمان ، وقيل : أنّهُ قصد بهم المؤمنين في الأمّة الذين ثبتوا على إيمانهم وصدّقوا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كما ورد عن ابن

(١) ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٢/ ٣٨-٣٩ .

عباس : أنّه قصد من آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن بقي على يهوديته ونصرانيته وصابئيته وهم المؤمنون بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم... [١] .

الآية تتحدث إنّ من صدق بالله وأقرّ بالبعث والحساب بعد الموت في يوم الحساب وعمل عملًا صالحًا وكان طائعًا لله تعالى فإنّ له الأجر عند الله وثوابه على عمله الصالح ، معنى كلامه عزّ وجلّ إنّ الذين آمنوا بالله واليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله تعالى إيمانًا خالصًا وآمن باليوم الآخر فعند الله أجره ولا يخاف عليه ويوفيه الله أحسن الأجر[٢].

اختلف أهل العلم ماذا تقصد الآية من المؤمنين ومن هم ، فذهب قوم أنّه قوم آمنوا بعيسى (عليه السلام) ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يصبؤوا وانتظروا خروج نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقيل : هم جماعة منهم حبيب النجار وورقة بن نوفل وأبو ذر الغفاري وسلمان المحمدي وبحير الراهب وغيرهم آمنوا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل بعثته فمنهم لم يدركه ومنهم من أدركه وآمن بهِ ، وقيل : هم المؤمنون من أمّة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وذكر السديّ : هو سلمان المحمديّ وأصحابه الذين تنصر على أيديهم قبل المبعث النبوي ، وعنى بالآية توحيد الله وصفاته وعدله ، والإيمان بيوم القيامة والبعث والنشور والجنّة والنار وقد عمل صالحًا بما أمره الله من الطاعة له وحده فهم جزاؤهم وثوابهم عند الله عزّ وجلّ فالله أعدّه لهم فلا خوف عليهم في الآخرة ولا يحزنون في الدنيا ،

---

(١)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز، ١ / ١٥٦ .

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ١/ ٢٨٣ .

والإيمان الذي ورد في الآية إنّما هو الإيمان الراسخ والتصديق والاعتقاد بالقلب فهو الإيمان الخالص لله [١].

في الآية تنبيه من الله سبحانه إنّ مَن أحسن مِنَ الأمم السابقة وأطاع فإنّ الله سيجزيهم الحسنى وهذا الأمر مستمر إلى قيام الساعة فكلّ من اتبع نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فله ذلك من السعادة الأبدية ولا خوف عليهم مستقبلًا ولا يحزنون في الدنيا ، كما قال الله تعالى في محكم كتبه : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ يونس: ٦٢ [٢] .

بيّنت الآية إنّ باب الله تعالى مفتوح لكلّ الطوائف حتى إذا كانوا من أهل الكتاب والديانات السابقة فكلّ مَن أراد التوبة والرجوع إلى الله فإنّ رحمته وعطفه سبحانه تشملهم جميعًا شرط أن يؤمنوا بهِ ويصدقوا له وأن يعملوا الصالحات ، وقد ابتدأت الآية بالمؤمنين من باب الاهتمام إليهم ، فالمراد من المؤمنين في الآية هم أمّة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين صدقوا بالله ، بعدها يأتي ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى والصابئة فكلّ من عمل صالحًا من هؤلاء وأخلص في إيمانه لله وحده فإنّ الله تعالى يتقبل إيمانه ويغفر له ويرحمه برحمته [٣] .

أي المصدقون بنبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالذي جاء بهِ من عند الله مصدقًا، وآمنوا بالله وحده لا شريك له وبالبعث والنشور والحساب وعملوا الصالحات من

---

(١)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ١/ ١٧٢ .

(٢)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ١/ ٢٨٤ .

(٣)ظ : ابن عاشور/ التحرير والتنوير ، ١/ ٥٣١.

جميع الديانات والمذاهب فإنّ الله تعالى يثيبهم على عملهم الصالح ولا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة وما يرافقه ، ولا يحزنون على الدنيا وملذاتها وزينتها ، فإنّ لهم نعيمًا دائمًا في الجنّة جزاء من الله تعالى على إيمانهم [١] .

ذكرت الآية عدة فئاتٍ الذين يطلق عليهم مؤمنين واليهود والنصارى والصابئة ودعتهم الآية للإيمان بالله تعالى إيمانًا حقيقيًّا من خلال الإخلاص لله بتوحيده في الإلهية وما لله من صفات الجلال والجمال والإيمان باليوم الآخر بحقيقتهِ من المعاد الجسماني والجنّة والنار والحساب والجزاء وكلّ ما ذكره القرآن الكريم حول اليوم الآخر فعليه الإيمان بها وتأمره بالعمل الصالح وفق ما أمرت الشريعة المقدسة وكذلك الإيمان بالنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وبما جاء بهِ فهو ملازم لحقيقة الإيمان ... [٢] .

٢- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾ النساء: ٤٧.

إنّ الآية الكريمة تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابي من ملّي إلى مسلم وهو إيمان تصاعدي .

الخطاب موجه لأهل الكتاب يأمرهم أن يصدقوا بما نزله على رسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن يؤمنوا بالكتاب المنزل عليه كونه مطابقًا لما ورد عندهم في كتابهم التوراة

---

(١)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١/ ١٩٤ .

(٢)ظ : محمد جواد البلاغيّ / آلاء الرحمن ، ١ / ٩٨ .

الذي أنزل على موسى (عليه السلام)، فهي دعوة لأهل الكتاب لكي يؤمنوا بالله الواحد الأحد وبمحمدٍ نبيّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) والتصديق بكلّ ما جاء بهِ من عند الله تعالى [١] .

الخطاب في الآية موجه لليهود والنصارى من أهل الكتاب اليهود والنصارى أمرهم الله تعالى بأن يؤمنوا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويؤمنوا بالقرآن الكريم وغيره من الأحكام مصدقًا لما معهم من كتبهم التوراة والإنجيل والتي ورد فيهما صفات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والتصديق به ... [٢] .

خاطب الله تعالى أهل الكتاب بالتحذير والتخويف ممّا يفعلوه من إخفائهم لعلم الكتاب الذي بين أيديهم ودعاهم أن يصدقوا بما جاءهم بهِ نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من القرآن وبقية الأحكام ، وتذكيرهم إنّ التوراة والإنجيل قد تضمنا صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويخبران بصحة ما جاء بهِ ، فإن لم يفعلوا ذلك فإنّ الله قد هددهم بعذاب أليم بمحو آثار وجوههم وردّهم على أدبارهم فيمشون القهقري ، وهذا هو عقابهم من ربّهم [٣].

دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مجموعة من أحبار اليهود إلى اتباعه وأن يتقوا الله ويسلموا ، فأنكر الأحبار ذلك الأمر وجحدوه وقالوا إنّهم لا يعلمون عنه شيء وبقوا على كفرهم وعنادهم فنزلت الآية الكريمة لتدعوهم إلى الهداية قبل أن يُنزل الله غضبه عليهم فيمسخهم ويعاقبهم جزاء إنكارهم لآيات الله وإصرارهم على الكفر والضلال [٤] .

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان، ٧/ ١١١ .

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٣ / ٢١٥ .

(٣)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٣ / ٨٣ .

(٤)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ٥ / ٢٤٤ .

الآية تبين دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى إتّباع الدين الحقّ وترك العبادات الأخرى كون الإسلام خاتم الأديان وقد ورد التبشير بهِ والدعوة لاتباعه من الكتب السماوية السابقة التوراة والإنجيل حيث أخبر الأنبياء أنصارهم وأتباعهم للتصديق برسالة النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وإتباع ما جاء بهِ من القرآن الكريم وبقية الأحكام وإلّا سينزل الله غضبه عليهم ويمسخهم عقوبة على عدم إتّباعهم للشريعة الحقّ [١] .

الخطاب إلى أهل الكتاب بصورة عامّة واليهود على نحو الخصوص بعد أن ذكر صور ضلالتهم وجحودهم فأراد إقامة الحجّة عليهم لأجل إرجاعهم إلى الصواب ويكون ذلك وازع لهم إن كان لهم وَزْعٌ ، كما يعدّ ذلك بمثابة الوعظ وإعطاء الفرصة بالرجوع إلى الله والهداية لهم وهي فرصة يعطيها القرآن الكريم إليهم من خلال تحذيرهم وتهديدهم بالعواقب التي ستصيبهم إذا ما رجعوا إلى الله والهداية بهديهِ [٢] .

ظاهر الخطاب القرآني شمل اليهود والنصارى لأنّهم يسمون أهل الكتاب إلّا إنّ دليل الخطاب يبيّن أنّه خصّ اليهود فقط ودعاهم للإيمان بما جاء بهِ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنّ ما ورد في القرآن الكريم هو مطابق لما ورد في التوراة والإنجيل، وإنّ النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد دعاهم من قبل فلم يستجيبوا دعوته وقد قدّم لهم البراهين والدلائل والبينات عدة مرات لكي يهديهم إلّا أنّهم أبوا الهداية وكان همهم دنيويًا بحتًا فقد همّوا بالكسب والمال أيًّا كان مصدرهما ويرون إنّ الإسلام لا يتوافق مع مصالحهم لذلك رفضوا أن يتبعوا

---

(١)ظ : أبو حيان / البحر المحيط ، ٣ / ٣٧٧ .

(٢)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٥/ ٧٨ .

طريق الإسلام ، ثمّ تحذرهم الآية وتتوعدهم بالطمس على وجوههم والمسخ كما فعل الله تعالى مع أصحاب السبت نتيجة مخالفتهم لأوامر الله وعدم إتّباع سبيل الرشاد [١] .

الآية تحدثت عن فتح باب الأمل إلى أهل الكتاب ليرجعوا إلى صوابهم والتمسك بهداية الله ونبذ الضلالة وتركها بعد أن اشتروا الضلالة بالهدى وحرفوا كتبهم وإضاعتها فالآية تلزمهم بالإيمان فيما جاء بهِ نبيّ الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) وإتباعه والالتزام بما يقوله ؛لأنّ الإيمان بالتوراة يستلزم منهم الإيمان التصديق بالقرآن الكريم ، فالله سبحانه يأمر أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالإيمان بكلّ ما نزل على نبيّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) من القرآن الكريم فقد جاء مصدقًا ومؤيدًا بما جاءت بهِ الكتب السماوية السابقة الصحيحة قبل تحريفها التي دعت إلى توحيد الله ونبذ الشرك وترك المعاصي والفواحش ما ظهر منها وما بطن وتصديق الأخبار الواردة فيها من البشارات بنبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهي غاية ما يريده الله منهم ، بعدها هددهم إن لم يرجعوا إلى صوابهم واتباعهم الهدى سيعاقبهم ومسخهم وطمس وجوههم وهلاكهم كما فعل مع أصحاب السبت إذ مسخهم قِرَدَةً وخنازيرَ...[٢] .

تعقيبًا على ما ورد في الآية التي سبقتها فالخطاب موجه لأهل الكتاب يوجههم للإيمان بالقرآن الكريم والذي هو موافق لما ورد في كتبهم من علامات وبشرى لظهور الإسلام ويدعوهم لاتباعه والدخول فيه وإتباع نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو الطريق لخلاصهم وتدعوهم الآية لعدم إخفاء الحقائق وإظهارها للناس لكي يهتدوا وخاصّة أهل الكتاب منهم الذين خَفَتْ عنهم الحقائق نتيجة التحريف والتزوير الذي أُحدث في كتبهم ،

(١)ظ : محمد جواد مغنية / التفسير الكاشف ، ٢/ ٣٤٠-٣٤١ .

(٢)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٣ / ١٠٧-١٠٨ .

بعدها تحذرهم الآية وتتوعدهم بالعذاب النازل بهم إذا لم يهتدوا ويتبعوا سبيل الرشاد ويذكرهم بما فعله الله تعالى بأصحاب السبت لأنّهم عصوا الله وخالفوا أوامره بأن مسخهم فيهددهم بطمس وجوههم ومسخهم [1].

الخطاب بظاهره موجه إلى أهل الكتاب بنحو العموم كونه يخاطبهم بما اتصفوا بهِ إلّا أنّ قرينة السياق تبين أنّ المخصوصين بالخطاب هم اليهود كون الآيات وذكر أصحاب السبت هو لليهود وأنّهم المعنيون بالخطاب وإنّ الله يحذرهم من مغبة عنادهم وكفرهم وجحدهم وتزويرهم للحقائق وتحريفهم للكتب السماوية لذا فالقرآن الكريم ومن خلال الخطاب الإلهي يدعوهم بالرجوع إلى رشدهم وإتباع سبيل المعروف والتمسك بالهدى الذي هو إتّباع نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أنزل الله عليه في القرآن الكريم كونه سبب خلاصهم ودفع العذاب والعقاب عنهم وأن يتوقفوا عن تشويه الحقائق وإضمارها وخاصّة ما ورد في التوراة الذي يدعوهم لتوحيد الله وما فيه من البشارة بظهور النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما بشر بهِ أنبياؤهم وخاصّة النبيّ موسى (عليه السلام) فقد جاء ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتابهم ، لذا أمرهم بإتباعه إذا ما ظهر وتظهر دعوة الآية لهم بالتحوّل الإيجابي من ملّي إلى مسلم وتطبيق أمر الله تعالى بدخولهم الإيمان الذي يضمن لهم دفع العذاب عنهم ويدعوهم لعدم تضييع الفرصة عليهم ومستوى الإيمان الذي تدعو إليه الآية هو الإيمان التصاعدي من الكفر إلى الإيمان والتحوّل من ملّي إلى مسلم .

---

(١)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٣ / ١٥١ .

٣- قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ المائدة: ٦٥ .

الآية الكريمة تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابي من ملّي إلى مسلم وهو إيمان تصاعدي .

والمقصود في الآية هم اليهود والنصارى تدعوهم للإيمان بالله وبرسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والتصديق بهِ وإتباعه وإتباع ما أنزل عليه والنهي عمّا نهى عنه واجتناب المنهي عنه ومن يفعل ذلك فإنّ الله سيكفر عنه سيئاته يمحو الله تعالى ذنوبه ويغطيها له ولم يفضحه فيها ومن يؤمن إيمانًا صادقًا فجزاء ذلك الجنّة التي وعدهم الله بها [١] .

لو أنّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد آمنوا وصدقوا بالنبيّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واتقوا من الكفر والفواحش لستر الله عليهم ذنوبهم ولغفر لهم وأدخلهم الجنّة [٢] .

الآية تتحدث عن أهل الكتاب وتدعوهم أن يؤمنوا ويصدقوا بالله ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أنزل عليه في القرآن الكريم والتقوى من الشرك والمعاصي ومن يفعل ذلك

فإنّ الله تعالى يغطي عن ذنوبه ويدخله الجنّة جزاء إيمانه بهِ [٣] .

أي لو أنّ الذين عندهم الكتب السماوية وهم اليهود والنصارى تمسكوا بالإيمان الذي طلبه منهم عزّ وجلّ والإيمان بما جاء بهِ نبيّه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حسب ما أمروا

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٨ / ٥٦١- ٥٦٢ .

(٢)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٣/ ٣١١ .

(٣)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ٦/ ٢٤١.

في كتبهم المنزلة على رسلهم – التوراة والإنجيل – وتجنبوا المعاصي التي هي أعظمها الشرك بالله والجحود والإنكار لما جاء بهِ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكفر الله عنهم ذنوبهم التي اقترفوها وإن كانت كثيرة ، وقيل هو توسعة الرزق عليهم [١] .

عقب نهيهم والتعريض بهم خاطب الله تعالى أهل الكتاب وأمرهم أن يؤمنوا بنبيّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) والتصديق والتسليم له ومن يؤمن بما أمره الله تعالى إيمانًا خالصًا فإن الله تعالى يؤتيه أجره مرتين أجرٌ لإتباعه نبيّه وأجره لإتباعه النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ما ورد عن السنّة النبوية المطهرة [٢] .

يعدّ الإيمان مدخلًا لتكفير الذنوب فلو أنّ أهل الكتاب آمنوا بالله وبما جاء بهِ رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فليست هناك أي عقدة تجاههم فإنّهم لو تابوا وعملوا صالحًا وآمنوا بالإسلام واتبعوا المنهج القويم لتاب الله عليهم وغفر لهم ذنوبهم وشملهم برحمته الواسعة ويكفر عنهم كل سيئة ويدخلهم الجنّة التي وعد الله بها المؤمنين [٣] .

الآية تبيّن أنّ باب العودة والتوبة مفتوح للمنحرفين من أهل الكتاب كي يعودوا إلى الطريق الصحيح والإيمان بما أمرهم الله تعالى بهِ وتبيّن الآية الأثر العميق الذي يتركه الإيمان في حياة الإنسان وفي عاقبته وهو المغفرة لهم وإدخالهم جناتٍ النعيم التي وعد الله تعالى عباده

---

(١)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ٢ / ٨٢ .

(٢)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٦/ ٢٥٢-٢٥٣ .

(٣)ظ : محمد حسين فضل الله /، من وحي القرآن ، ٨ / ٢٥٦ .

المؤمنين منهم فهي إشارة إلى النعم الأخروية التي وعدهم الله بها فالآية فيها إشارة واضحة على ذلك [1].

في الآية خطاب لأهل الكتاب ممّن هم على الظلم تحثهم الرجوع إلى الله تعالى والهداية من دنس الكفر وتدعوهم بأن يؤمنوا ويصدقوا بما جاء بهِ نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والتصديق بما ورد في القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابي من ملّي إلى مسلم وهو ضمن مستوى الإيمان التصاعدي الذي يحقق لهم حسن العاقبة في الدنيا والآخرة ويكسبوا رضا الله ومغفرته .

المطلب الثالث : التحوّل من مذنبٍ إلى تائبٍ .

إنّ من سُبل النجاة التي وهبها الله تعالى لعباده وجعلها باب رحمته لهم والنجاة من المهلكة والغرق في الظلمات والعاقبة السيئة هي التوبة فكانت ولا زالت وستبقى الحبل الذي ينجي العبد من سوء العاقبة ونزول العقاب الإلهي عليه سواء أكان عقوبة دنيوية أم أخروية فالذي يتوب توبة حقيقية ويترك ما بَدَرَ منه فيجعله خلفه ويتمسك بحبل الله المتين فإنّ الله غافر له ومنجيه ويسهل أمره ويفتح له بركاته وفضله .

وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تدعو للتوبة بعد فعل السيئات والآثام وترشد العبد بالكف عنها والرجوع لله تعالى لكي يغفر الله له ويكون مؤمنًا حقيقيًا ومن ذلك :

١ – قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ الأعراف: ١٥٣.

---

(١)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٣ / ٥٧٣.

إنّ الآيـة القرآنيـة تتحـدث عـن مسـتوى مـن المسـتويات الإيمانيـة الإيمـان المقتـرن بـالتحوّل الإيجابي فهو إيمان تصاعدي وهو تحوّل العبد من مذنبٍ إلى تائبٍ .

الآية تشير أنّه خير من الله تعالى إلى كلّ تائب من ذنب قام بهِ أو معصية اقترفها كبيرة كانت أو صغيرة كانت فلهم أن يؤمنوا بالله وترك معصيتهم حتى لو كانت كفرًا بالله ، فإذا صدقوا بالله فإنّه يقبل توبتهم والله يستر عليهم تلك السيئات [١].

في الآية ترتيب الإيمان بعد التوبة وأُريد بذلك الإيمان الخاص بعد أن يؤمنوا إيمانًا مطلقًا ، وعلى ذلك الأمر تكون التوبـة من الكفر وتوبـة الكفر والإيمـان يتلازمان فهذا لا يترتـب فـي توبـة المعاصـي بـأن تـأتي التوبـة والإيمـان متلازمـان ، فالآيـة قصـدت حصـول الإيمـان بعـد الكفر [٢] .

التوبة هنا تعني الإيمان وهي توبة من بعد ما عبدوا غير الله ثمّ بعدها تابوا فآمنوا بالله تعالى إيمانًا خالصًا بعد المعصية ، وإنّ الله تعالى سيقبل منهم توبتهم إنّه غفور رحيم بعبادهِ [٣] .

السيئات في الآية تعني الشرك والمعاصي ثمّ استأنفوا عمل الإيمان ، وقيل أنّهم تابوا فقبل الله تعالى توبتهم من بعد كفرهم ، إنّ الله غفور رحيم [٤] .

وردت السيئات في الآية بمعنى الكفر والمعاصي وإنّ الله عزّ وجلّ يتوب على مرتكبها إذا ما تاب وعمل صالحًا إنّه هو الغفور الرحيم [٥] .

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ١٠ / ٤٦٥ .

(٢)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٢ / ٤٥٨.

(٣)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٤ / ٥٥٢.

(٤)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٤ / ٢٧١ .

(٥)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ٧ / ٢٩٢ .

السيئات التي ورد ذكرها في الآية تشمل الكبائر كالكفر والمعاصي وغيرها وباب التوبة مفتوح من خلال الرجوع إلى الله تعالى من بعد الكفر وإن يداوموا على إيمانهم والإخلاص لله وحده والالتزام بالتوبة ووجوبها والعودة لله تعالى والمحافظة على إيمانهم بالله تعالى ، فالله تعالى سيقبل تلك التوبة ويتقبل منهم الرجوع له تائبين [١] .

أي إذا تابوا وآمنوا يغفر الله لهم وارتفاع غضب الله عنهم مستقبلًا ، والمراد بالسيئات في الآية الكريمة ما يشمل الكفر فهو يعدّ من أعظم السيئات والتوبة منه تكون بالإيمان بالله تعالى ووحدانيته ، وعطف الإيمان على التوبة مع أنّ الإيمان إنّما هو توبة من الكفر ، وقد اهتم بهِ كونه أصلًا لكلّ عملٍ صالحٍ ، وما يراد بالإيمان إنّما الإيمان الخاص وهو الإيمان بإخلاصٍ لله تعالى وشامل لكلّ الأعمال والواجبات[٢] .

أي الذين ارتكبوا السيئات والمعاصي المنكرة وفي مقدمتها الكفر والشرك بالله ثم تابوا على عملهم ذلك ورجعوا إلى الله بأن آمنوا بعد كفرهم واستقاموا على نهج الله تعالى فيكون إيمانهم خالصًا لله تعالى خاليًا من كلّ الشوائب ويكون إيمانهم مقترنًا بالعمل الصالح ، فإنّ الله سيغفر لهم ويستر ذنوبهم وهو رحيم بهم ويكافأهم على عملهم ذلك، فالذي يعمل السيئات لابد بعدها من توبةٍ وترك العمل المنكر والإيمان بالله تعالى والتصديق له ... [٣] .

---

(١)ظ : أبو حيان / البحر المحيط ، ٤ / ٥٠٢ .

(٢)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٩/ ١٢٠-١٢١ .

(٣)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٥ / ١١٤ .

قد جعل الله تعالى بابًا لعبادهِ لكل من وقع بالذنب ورجع لعقلهِ هو التوبة وقد بيّن قبولها لمن تاب إليه بإخلاصٍ وكما تاب على المشركين المتمردين عليه والمحاربين له ، فمن أخلص لله تعالى في إيمانه وسار في خطٍ مستقيمٍ مجاهد في سبيل الله فإنّ الله غفور رحيم بهِ [1] .

في الآية الكريمة تحوّل من عمل السيئات إلى التوبة ثم الإيمان والسيئات في النصوص القرآنية تعني الذنوب والمعاصي والكفر والشرك وهو ما أشار إليه العلماء في تفاسيرهم عند بيان الآية الكريمة فهنا المستوى تصاعدي من حالة سلبيّة إلى حالة إيجابية دلّ عليه السياق الوارد في الآية وهو التحوّل من مذنبٍ إلى تائب والدخول في الإيمان وسوف يغفر الله تعالى ذنوبه التي اقترفها ؛ لأنّه تاب وآمن وعمل الخير.

٢- قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ مريم: ٦٠

الآية القرآنية تبيّن بوضوح مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابي وهو إيمان تصاعدي من مذنبٍ إلى تائبٍ .

أي إلّا الذين تابوا ورجعوا إلى أمر الله تعالى وأمنوا بهِ وبرسولهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأطاعوا أمر الله إليهم وما نهى عنه وأداء الفرائض واجتنبوا المحارم فسوف يدخلون الجنّة ولا يبخسون من أجر أعمالهم دون غيرهم ممّن لم يتوبوا وماتوا على كفرهم ولم يرجعوا إلى الله تعالى [2] .

---

(١) ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ١٠ / ٢٥٢ .

(٢) ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ١٥ / ٥٧٤ .

وقد استثنى الله تعالى من العقاب الذين يتوبون ويرجعون إليه ويؤمنوا بهِ ويصدقون الأنبياء ويعملون الصالحات ويتركون القبائح فيدخلهم الله جنّته التي وعد بها عباده المؤمنين[١].

أي الذي يرجع من الذنوب كتضييع الصلوات وإتباع الشهوات فيتوب ويرجع لطاعة الله تعالى ويؤمن بهِ ويعمل صالحًا فالله يتقبل منه ولا ينقص من أعماله الصالحة شيء وتكتب لهم الحسنات المضاعفة [٢].

أي الذي يرجع إلى الله بالتوبة فسوف يقبل توبته ويحسن عاقبته ويرزقه جنات النعيم؛ لأنّ التوبة تجبّ ما قبلها فلا ينقص من أجورهم شيئًا [٣].

أي كلّ تائبٍ رجع إلى الله تعالى عمّا فرط بهِ من العبادات وفعل المحرمات وآمن وعمل الصالحات سوف يدخله الله الجنّة ويغفر ذنوبه [٤].

أي التوبة وبعدها الإيمان بالله تعالى بعدما كفر بهِ عمليًّا كالتضييع أم عقديًّا كالإنكار ويعمل صالحًا فلا تكفي التوبة من دون الإيمان ولا يكفي الإيمان إلّا بالعمل الصالح فيجب اجتماعهم جميعًا حتى يصحّ الرجوع إلى الله [٥].

طريق التوبة والرجوع إلى الله تعالى مفتوح أمام الإنسان ما دام على قيد الحياة فإذا أراد التوبة الصادقة فالله يتقبل تلك التوبة فلا يجب على الإنسان أن يفقد الأمل أو أن ييأس من رحمة

---

(١)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٧ / ١٣٦ –و ظ : الطبرسيّ / مجمع البيان ، ٦ / ٣٣٠ .

(٢)ظ : القرطبيّ / الجامع لأحكام القرآن ، ١١ / ١٢٦ .

(٣)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ٢٤٦ –و ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ٣ / ٤٦٧ .

(٤)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٨/ ٤٧٤ .

(٥)ظ : محمد الصادقيّ / الفرقان ، ١٨ / ٣٥٤ .

الله تعالى وأن يكون مؤمنًا بالله إيمانًا صحيحًا [1] .

تبيّن الآية الكريمة كرم الله تعالى ورعايته لخلقه فقد جعل لهم سبيلًا لغسل ذنوبهم والبراءة من شهواتهم والرجوع لله تعالى ليغفر لهم ما تقدم من ذنبٍ ألا وهو التوبة فهي الباب الذي يدخل منه الإنسان ليكفر عمّا صدر منه من ذنوب وأعمال سيئة ، فكما ورد في الآية أول الأمر التوبة ثم الإيمان بالله ثم العمل الصالح ليثبت صدق التوجه إلى الله تعالى ، فيظهر لنا مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم هو التحوّل من المذنب إلى التائب فبعد أن كان مذنبًا وغارقًا بالذنوب تحوّل إلى مؤمنٍ تائبٍ مقيم لحدود الله يعمل الصالحات ويتجنب فعل السيئات والمحارم وهو إيمان تصاعدي من الضلالة إلى الهدى .

٣- قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الفرقان: ٧٠ .

إنّ الآية الكريمة تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابي من مذنبٍ إلى تائبٍ فهو إيمان تصاعدي .

استثنى الله تعالى من العذاب من تاب وندم عن فعل المعاصي وعمل عملًا صالحًا فإنّه سوف يبدل سيئاتهِ حسناتٍ ويعطيه الثواب ويستر معاصيه ويغفرها له [2] .

الذي يتوب عن الذنب فهو كمن لا ذنب عليه وكذلك يثيبه تعالى جزاء توبته الحسنات بدل السيئات فتمحو حسناته سيئات أعماله فالله تعالى سوف يثيب التائب ثواب المحسنين ويرجع

---

(١)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٨ / ٦٧ –٦٨ .

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٧ / ٥٠٩ .

إلى الله وهو راضٍ عنه لأنّ توبته حقيقية [١] .

جعل الله تعالى باب التوبة لعبادهِ لمن يرغب في الصلاح وأن يكون مستقيمًا فكلّ مَن تاب في الدنيا إليه تعالى وامتنع عن فعل الذنوب وندم عن فعل المعصية وآمن وصدّق بالله ورسله واليوم الآخر وعمل صالحًا فسوف يمحو الله عنه سيئاته لأنّه تاب ويبدل الحسنات بدل السيئات وهذا يتحقق عندما يعمل الصالحات من خلال عمل الخير والرشاد [٢] .

أي إنّ الذي يتوب ويعمل صالحًا هنا تبديل على مستوى الحالة الروحية والممارسة العملية فقد بدلوا السلوك المنحرف بسلوك مستقيم وانتقوا من حالة إلى أخرى فقد رضي الله عنهم لأنّهم أطاعوه وهنا تتبدل السيئة بالحسنة ومعنى ذلك أنّ الله تعالى يمحو السيئات السابقة بعملهم الصالح حسنات فهي المغفرة من الله لهم فلا يبقى من أثر المعصية شيء ، فالله هو الذي يغفر الذنوب وباب رحمته لعباده مفتوح ولا يحجب المغفرة عن التائبين فالله يتلقاهم بالرضا والرحمة والمغفرة[٣] .

لم يغلق الله عزّ وجلّ طريق العودة للمؤمنين في أي وقت إنّما يدعوهم إلى التوبة ويرغبهم فيها وإن كانت ذنوبه كبيرة إلّا أنّه من باب رحمته جعل الباب مفتوحًا أمام عودتهم شرط أن تكون توبته من قلبهِ ويعمل بعدها العمل الصالح الذي يثبت حقيقة توبته ويعوض الذي قام

---

(١) ظ : محمد جواد مغنية / التفسير الكاشف ، ٥/ ٤٨٣ .

(٢) ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١٠ / ١٢١.

(٣) ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ١٧ / ٧٩ .

بهِ من ذنبٍ ليُغفر له ، وبهذا فإنّ السيئات تتحول إلى الحسنات بسبب تحوّله من المسيء إلى التائب [١] .

إنّ رحمة الله تعالى واسعة فقد وسعت كلّ شيء فهما كانت ذنوب الإنسان ومعاصيه وأراد التوبة فإنّ باب رحمة الله عزّ وجلّ سيجده مفتوحًا لكلّ تائبٍ مستغفرٍ والأعظم من ذلك هو أنّ الله تعالى يحوّل سيئاته حسناتٍ مادام قد صحح مساره وتاب وآمن وعمل صالحًا فسوف يغفر الله له ما تقدم من الذنب [٢] .

من بين العطاء الجزيل لله تعالى هو قبول التوبة لكل التائبين له إذا كانت توبة حقيقية فالله سوف يقبلها منهم شريطة أن يؤمنوا بالله تعالى وأن يعملوا صالحًا يرضاه منهم سبحانه فالتحوّل الحاصل من المذنب إلى التائب تطلب من العبد أن يكون مستعدًا لها مطبقًا لشروطها وليس إقرار باللسان إنّما يجب أن تكون مقترنةً بالإيمان والتصديق بالله تعالى والعمل الصالح ، فالآية الكريمة تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية المشار إليها من خلال النصوص القرآنية وهو الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابي وهو إيمان تصاعدي من مذنب إلى تائب ، وهو ما يريده الله تعالى منه لكي يكون عبدًا صالحًا مطبقًا للشريعة المقدسة التي نصّت عليها كافة الكتب السماوية .

---

(١)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٩ / ٢٥٠ .

(٢)ظ : محمد تقي المدرسيّ /من هدى القرآن ، ٨ / ٤٨٥ .

٤- قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ القصص: ٦٧ .

الآية القرآني تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابي من مذنبٍ إلى تائبٍ وهو إيمان تصاعدي .

يذكر الله تعالى التائبين مع الترغيب في التوبة بعد التخويف ويبيّن إنّ من يرجع عن المعاصي والكفر ويؤمن ويضيف عليه الأعمال الصالحة ومن يداوم على ذلك العمل فسوف يفلح فإن زلّ فقد هلك ... [١] .

أي من تاب من الشرك وصدق وادى الفرائض والنوافل فهو من الفائزين برضا الله تعالى وعسى هنا للوجوب [٢] .

التوبة في الآية معناها الإقلاع عن الشرك والندم على تقلده ، والإقلاع عن الشرك يكون عن طريق الإيمان فعطف بهِ على التوبة كون المراد من إقلاع عن عقيدة الشرك هو التمسك بعقيدة الإيمان لتحلّ محلها بعدها عطف بالعمل الصالح لأنّ عقيدة أهل الشرك هو الفساد المطبق على دينهم فكان أغلبهم لا يعمل الصالحات ولا يطبق شريعة الإسلام كونه قد فتن بالمظاهر الزائفة والأسباب المغرية التي تدفعه عن القيام بالعمل الصالح وتصحيح مسار عقيدته [٣].

---

(١) ظ : الطبرسيّ / مجمع البيان ، ٧/ ٣٢٧ .

(٢)ظ : القرطبيّ / الجامع لأحكام القرآن ، ١٣ / ٣٠٤ .

(٣)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٢٠ / ١٦٣-١٦٤ .

أي إنّ الذين تابوا من الكفار وصدقوا بالله تعالى ووحدانيته وقد أخلصوا بالعبادة له وآمنوا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعملوا الصالحات من الفرائض وغيرها فهم الناجون الذين يشملهم رضوان الله تعالى ويحصلون على نعيم الجنّة في الحياة الآخرة ووردت (عسى) في الآية لأجل التحقق ، وفي ذلك ترغيب في أن يتوب الإنسان ويتخلص من ظلام الكفر وضلالة الشرك والعودة بالنفس إلى الله من خلال الإيمان بهِ وتوحيده والتصديق بالكتب السماوية والأنبياء والرسل والقيام بما أمرنا الله بهِ من أحكام وأوامر [١] .

سبيل النجاة بحسب ما ورد في الآيات الكريمة يكون في ثلاثة أمور هي العودة والتوبة إلى طريق الحقّ والإيمان بالله والعمل الصالح فتكون عاقبة ذلك النجاة والفلاح ، فمن تاب وآمن وعمل صالحًا مع البقاء عليهم تكون عاقبته الخير والجزاء الحسن من الله تعالى[٢].

تبيّن الآية الكريمة إنّ من تاب وآمن بالله تعالى والتصديق بكلّ ما أنزله من الكتب السماوية والرسل والأنبياء عليهم السلام واليوم الآخر وكلّ الأحكام الأخرى وعمل الصالحات وتجنب الموبقات فقد كان حقًّا على الله تعالى أن يرضى عنه ويجزيه الثواب الذي يستحقه ، ويتبيّن في الآية مستوى إيماني وهو الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابي من مذنبٍ إلى تائبٍ وهو إيمان تصاعدي فبعد الضلالة الهدى وبعد الكفر الإيمان وكلّ ذلك بفضله سبحانه .

---

(١)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١٠ / ٥١٢و٥١٤ .

(٢)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٩ / ٦١٥ .

المبحث الثاني : الإيمان المقترن بالتحوّل السلبيّ .

وقد ورد على خمسة مستويات تناولت كلّ منها المستوى الإيماني للعبد وتحوّله من حالة الإيجاب إلى حالة السلب وهو يدخل ضمن الإيمان التراجعي .

المطلب الأوّل : التحوّل من الإيمان إلى النفاق .

من بين ما تكلم عنه القرآن الكريم في مواضع كثيرة هو النفاق في الدين والمنافقين فهم يظهرون صورتهم أمام الناس على أنّهم مؤمنون ولكن في حقيقة أمرهم إنّما هم كفار في قلوبهم ويرون أنّهم بعملهم ذلك يخادعون الله تعالى والناس ولكنهم يخادعون أنفسهم ، وقد بيّن القرآن الكريم خلال النصوص الكثيرة حقيقتهم منها على سبيل المثال لا الحصر :

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ النساء:١٤٢.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا ﴾ البقرة : ٩ ، حتى إنّ سورة في القرآن الكريم سميت بسورة المنافقون تبيّن أحوالهم وأصنافهم ونواياهم ، ومن السور التي ورد فيها ذكر المنافقين : [البقرة ، آل عمران ،النساء ، المائدة ، التوبة ، العنكبوت ، الأحزاب ، محمد ، الفتح ، الحديد ، المجادلة ، الحشر ، المنافقون] .

وإن دلّ ذلك على شيء إنّما يدلّ على إنّ النفاق والمنافقين كانوا متغلغلين في المجتمع الإسلامي وكانوا عدد لا يستهان بهِ فهم جماعة كبيرة ومنهم من كان معروفًا وكانت سمة النفاق بادية عليه من خلال ما ظهر عليه من سلوكٍ شاذٍ ، وقسم آخر غير معروف قد

وضع قناع الإيمان وحبّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلو أنّ تلك الجماعة المنافقة كانت قليلة لما وجدنا القرآن أبدى هذه العناية البالغة بهم [1] .

ومن الآيات الواردة في التحوّل في مظاهر النفاق أي التحوّل من الإيمان إلى النفاق :

١ –قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ البقرة:١٤.

الآية القرآنية تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية وهو التحوّل السلبي من الإيمان إلى النفاق وهو إيمان تراجعي يتغير بين حين وآخر .

وقد أورد المفسرون بيانًا لها وقالوا أنّها تخصّ المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر وهم أسوء حالًا من الكفار أنفسهم كونهم مخادعين كذّابين يوهمون الناس بحقيقة نواياهم الخبيثة ويعلمون الناس على أنّهم مؤمنون والحقيقة غير ذلك .

ففي بيان الآية الكريمة إنّ فيها إخبار من الله تعالى عن المنافقين وما يمارسونه من خداع ونشر أكاذيبهم ففضحهم الله سبحانه وبيّن أنهم ليسوا مؤمنين وأنّهم يخادعون الله والذين آمنوا وأنّهم يخبرون المؤمنين الذين صدقوا بالله ورسوله آمنا وصدقنا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبما جاء في القرآن الكريم وهذا كلّه خداعًا لضمر نواياهم المريضة بالكفر والشرك، أمّا إذا خلوا إلى جماعتهم من أهل الكفر والخداع وهو ما عبّرت عنه الآية ﴿**شياطينهم** ﴾ فيقولون لهم أنّهم معهم وعلى دينهم وهم ظهير لهم على من خالفهم وهم

(١)ظ : جعفر السبحانيّ / الإيمان والكفر في الكتاب والسنّة ، ١٢٥.

أوليـاؤهم دون المـؤمنين ، ويقـول إنّمـا نحـن مسـتهزئون بهـم وبـربهم وبكتـابهم ونبـيّهم وأصحابه...[١] .

وقد ورد عن ابن عباس أنّ الآية توضح صفة المنافقين ، فكانوا يظهرون على أنّهم مؤمنون أمام النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنّهم على دينـهِ ، وإذا لقوا أصحابهم قالوا نحن مستهزئون وأنّهم مستهزئون بالمؤمنين ، والاستهزاء هو إيهام المقابل الحقيقة وإخفاء حقيقتهم[٢].

الآية تتحدث عن حال المنافقين هو إظهار الإيمان للمؤمنين وإظهار الكفر عندما يختلون بعضهم البعض ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون يعاملونهم على ظاهرهم ، وهناك عدّة أسباب لذلك منها لأجل حقنِ الدماء ؛ كونهم يظهرون إيمانهم أمام الناس مع علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكفرهم لكن لم يحاسب الكثير منهم كعبد الله بن سبأ وغيره [٣] .

معنى الآية أنّ المنافقين إذا لقوا المؤمنين يقولون لهم إنّا معكم مصدقون بما أنزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أنتم صدقتم بهِ ، ومعنى شياطينهم هم رؤساؤهم من الكفار وعن الإمام الباقر (عليه السلام)أنّهم كُهَّانُهم ، فيقولون لهم أنّهم على دينهم وأنّنا نستهزأ بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه ونسخر منهم [٤].

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ١/ ٣٠٦ .

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ١/٧٨ .

(٣)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ١ / ٩٤ .

(٤)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ١ / ٦٧ .

نزلت الآية ذكرًا للمنافقين وحالهم إذا لقوا المؤمنين يقولون لهم أنّهم معهم وإذا خلوا لشياطينهم والشياطين هنا أُولت بمعانٍ عدّة منها : هم رؤساء الكفر وقيل هم شياطين الجن وقيل هم الكُهَّان ، ومعنى الشيطنة هو البعد عن الإيمان ، وقولهم نحن مستهزئون أي مكذبون بما نقوله لهم وساخرون من السخرية واللعب [١] .

تشير الآية إلى أنّ المنافقين إذا لقوا المؤمنين أظهروا لهم الإيمان والمولاة والمصافاة غرورًا منهم للمؤمنين واصطناع النفاق والتقية وليكونوا معهم في كل ما يحصلون عليه من الخير ومغنم ، وتوصف الآية الحالة التي هم بها إذا انصرفوا لشياطينهم أي ساداتهم وكبار قومهم ورؤساءهم من الأحبار والمشركين والمنافقين أمثالهم فيقولوا لهم أنّهم معهم فيما هم عليه من المعتقد إنّما نستهزئ بالمؤمنين[٢].

ومعنى قولهم آمنا أي أظهروا الإيمان بمجرد القول لا بعقد القلب ، أي باللسان لا بالقلب وهو كلمات تدلّ على إسلامهم لا إيمانهم [٣] .

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أربعة قبائح للمنافقين وكل واحدة من تلك القبائح كفيلة بإنزال العقوبة والعذاب عليهم وهي : مخادعة الله وكما هو معلوم أنّ الخديعة مذمومة وصفة قبيحة، والإفساد في الأرض من خلال إثارة الفتنة والتأليب على المسلمين وإشاعة الفوضى بينهم وترويج الإشاعات ، فساد العقيدة من خلال الإعراض عن الإيمان وعدم التمسك بهِ ، والتردد

---

(١)ظ : القرطبيّ / الجامع لأحكام القرآن ، ١/ ٢٠٦-٢٠٧ .

(٢)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ١/ ١٨٢-١٨٣ .

(٣)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ١ / ٢٨٩ .

والحيرة في الطغيان وتجاوز حدود الله من الافتراء على المؤمنين والإيقاع بهم ووصفهم بالسفاهة ومعاداتهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [١] .

الآية تتحدث عن حال المنافقين فإنّهم يظهرون الإيمان ويعملون عمل المؤمنين من صلاة أو صوم وغيرهما من العبادات والأعمال الأخرى وذلك لأجل الحصول على ثقة الناس بهم والتي من خلالها يصلون لما يصبون إليه ، ثم بعدها يذهبوا إلى جماعاتهم الشيطانية في مجالسهم وخلواتهم التي يعقدونها ليؤكدوا لهم نواياهم الحقيقية وبيان عقيدتهم التي ينتمون إليها، وابتعادهم عن الشكوك التي تحيط بهم حتى لا يظهروا ما هم عليه من المعتقد الفاسد وبيانهم لأصحابهم أنّهم إنّما يستهزئون من المؤمنين ومن دينهم ، وورد في أكثر من رأي أنّ المقصود من شياطينهم هم كبارهم وشيوخهم في الكفر [٢] .

ظاهرة النفاق بين أوساط المجتمع لا تختص دون أدنى شك عصر الرسالة الأوّل إنّما هي موجودة في كل زمان ومكان فهي ظاهرة عامة منتشرة في جميع المجتمعات، ولأجل أن يعيش المجتمع في حالة من الاستقرار كان لابد من تشخيص تلك الجماعة المنافقة ، وقد بيّنهم القرآن الكريم في الكثير من الآيات لكي يمكن القضاء عليهم وإحباط مؤامراتهم والنيل من نفوذهم والقضاء عليه ، وتنشأ هذه الشخصية المنافقة نتيجة ازدواج الشخصية لدى الفرد وهو مرض في قلب الإنسان ينشأ من عدة أسباب ، ويرشدنا ديننا الحنيف إلى كيفية التعامل معه ومن بين الآيات التي تناولت هذه الظاهرة هي الآية التي نحن بصددها ... [٣] .

---

(١)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١/ ٩٦ .

(٢)ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ١ / ١٤٩ .

(٣)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ١ / ٨٢-٨٣ .

الآية القرآنية الكريمة تتحدث عن فئة موجودة داخل المجتمع الإسلامي وهؤلاء الجماعة إنّما هم مؤمنون أو بالأصح مسلمون على الظاهر أي يظهرون الإسلام بألسنتهم وأفعالهم أمّا بواطنهم وفي خلواتهم فيما بينهم أو مع أسيادهم فيظهرون حقيقة كفرهم فهم لا يثبتون على إيمانهم ولا على كفرهم إنّما متقلبون في عقيدتهم وقد أُطلق عليهم المنافقون، فالنفاق هو أن يظهر الإنسان خلاف ما يخفي في نفسه ، ليخدع الناس بإظهار الصلاح والإسلام ، وإخفاء الشر والكفر ، أمّا مستوى الإيمان الذي هم عليه هو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي وهو إيمان تراجعي يختلف من حالة إلى أخرى ومن شأن إلى آخر فهم يظهرونه متى أرادوا ويرجعون إلى كفرهم بحسب حالهم فهو تحوّل سلبيّ من الإيمان إلى الكفر وهو ما بيّنته الآية الكريمة .

٢- قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة: ٨ .

تظهر الآية الكريمة مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي يظهر الإيمان ويتحوّل للكفر ، ويعدّ ذلك الإيمان إيمانًا تراجعيًا .

وفي معنى الآية " وأجمع جميع أهل التأويل على أنّ هذهِ الآية نزلت في قومٍ من أهل النفاق وأنّ هذه الصفة صفتهم " [١] .

باتفاق المفسرين ولا خلاف بينهم أنّ الآية نازلة في جماعة من المنافقين ، فقد ورد فيها بعض صفات المنافقين والمنافق هو الذي يسلم بلسانه وينكر بقلبهِ ، وما قالته الآية أنّهم

---

(١) الطبريّ / جامع البيان ، ١ / ٢٧٥ .

ليسوا مؤمنين كون اعتقادهم من الإيمان والإقرار بالبعث والنبوة ليس إلّا بلسانهم مخالف لما في قلوبهم وهو ما عدّته أغلب المذاهب والفرق الإسلامية مخالفًا للإيمان عدا الكرّامية [١] .

في الآية ذكر للمنافقين وإلحاقهم بالكافرين الذين ذكروا قبلهم ونفي الإيمان عنهم وهو ردّ على من قال أنّ الإيمان باللسان وإن لم يعتقد بقلبهِ [٢] .

النفاق هو إظهار الخير وإخفاء الشر وهو إمّا عقائدي وعملي ، والعقائدي هو الذي يخلد صاحبه في النار ، والعمليّ هو من أكبر الذنوب ، والمنافق هو ما خالف قوله فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه، وشاهده غائبه ، وأكثر ما نزلت صفات المنافقينَ في السور المدنية والسبب كثرة النفاق بعد هجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة كون المجتمع أصبح أكثر خليطًا من الأوس والخزرج ويهود المدينة من أهل المدينة بعدها وُجِدَ النفاق على نطاق خارج المدينة من الأعراب وغيرهم [٣] .

الآية تتحدث عن صنفٍ ثالثٍ من الناس وهم الذين آمنوا بألسنتهم ولم يدخل الإيمان قلوبهم ، وهم أشد وأخبث على الدين من الكافرين وأبغضهم عند الله ؛ لأنّهم يظهرون الكفر أمام الناس وخلطوه بالخداع والاستهزاء من المؤمنين ، لذا نجد أنّ الله قد بيّن خبثهم وجهلهم واستهزاءهم، وتهكم بأفعالهم وطغيانهم وذكرهم في مواضع كثيرة ليظهر نفاقهم ولؤمهم ، وضرب الأمثال فيهم ... [٤] .

---

(١)ظ : الطوسيّ / التبيان ١/ ٦٧–٦٨ ،وظ : الفخر الرازيّ /مفاتيح الغيب ، ١ / ٦٤ .

(٢)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ١ / ١٩٣ .

(٣)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ١/ ١٧٦–١٧٧ .

(٤)ظ : البيضاويّ/أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ١ / ٤٣ .

بعد ذكر المؤمنين والكافرين وحالهم ذكر الذين يؤمنون بأفواههم دون قلوبهم وقد أبطنوا خلاف ما أظهروا وقد أطلق عليهم المنافقين ، وهم أخبث من الكفرة ؛ لأنّهم خلطوا بين الإيمان والكفر للتمويه والتدليس وأشركوا لاستهزائهم وممارستهم الخداع ، فأجمعوا الكفر والخبث والمكر ، لكن القرآن الكريم فضحهم وفضح نواياهم الخبيثة وسفههم وهم في الدرك الأسفل من النار وهذا حكم الله فيهم [١] .

بعد ذكر المؤمنين والكافرين في بداية السورة ثم ذكر بعدهم المنافقين هم الذين يتوسطوا بين الطائفتين – المؤمنين والكافرين – كونهم يوافقون ظاهرًا المؤمنين ويوافقون في الباطن الكافرين ، وجزاؤهم في الدرك الأسفل من النار [٢] .

تبيّن الآية الكريمة فريقًا له ظاهر الإيمان أمام الناس وباطنه الكفر في الخفاء وهم المنافقون فهم مبطنو الشرك ويظهروا الإيمان كذبًا [٣] .

معنى الآية على ما أُتفق أنّ المراد منهم الذين يكون إيمانهم ظاهرًا ويبطنون النفاق وقد أظهروا إيمانهم باليوم الآخر كونه متفرع من إيمانهم بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والقرآن الكريم ، فمن أجل إظهار خديعتهم أظهروا أنّهم يخافون الله وعذابه في الآخرة وأنّهم يرجون نعيم الآخرة وهم متقون لأجل ذلك ، لذا فالله تعالى فضحهم وبيّن خديعتهم وما

---

(١)ظ : الزمخشريّ / الكشاف ، ١ / ١٧٠ .

(٢)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ١/ ١٢١ .

(٣)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ١/ ٢٥٩.

يضمرون أن قال عنهم أنّهم ليسوا بمؤمنين بل هم منافقون وإنّما يريدون أن يخادعوا الله والذين آمنوا [١] .

في الآية ذكر للمنافقين الذين يتظاهرون الإيمان وما هم بمؤمنين وكفرهم أشد وأخبث كفرٍ وأبغضه إلى الله وقد طالت الآيات الكريمة في ذكر أوصافهم والمنافق هو كلّ من يُظهر بما ليس فيه ويُوجِد الطرق في تحقيق مصالحه فيستعمل الخداع والرياء لأجلها وتراه دائمًا يخشى أن تنكشف حقيقته وهو مُراءٍ يخدع الناس لأجل الحصول على ما يريده ، فهو إنسان داخله شيء وظاهره آخر [٢] .

والحقّ أنّ دور المنافقين هو أخطر من غيرهم ضد الرسالات السماوية لاسيما الرسالة المحمدية ، حتى أنّهم أخطر وأشدّ من الكافرين أنفسهم ، لذا نجد أنّ الله تعالى في كتابه الكريم قد أطلق اسم سورة تخصهم – المنافقون – ونجد أنّ الكثير من الآيات قد تحدثت عنهم فكان الاهتمام باديًا بعرض قضيتهم ورزاياهم وفضح نواياهم وأهدافهم لهدم الدين وزعزعت استقرار المجتمع الإسلامي فنرى أنّ الاهتمام بذكرهم أكثر من الكافرين وغيرهم من الأصناف الأخرى [٣].

إذا ما نظرنا لذلك بعين التمعن والادراك نجد السبب يعود للخطر الذي تشكله هذه الفئة الضالة المنحرفة في المجتمع والأصعب من ذلك كون ظاهرهم الإيمان وباطنهم الكفر والخداع وهو الذي دفع القرآن الكريم لفضحهم وتبيان نواياهم الدنيئة .

---

(١)ظ : محمد جواد البلاغيّ / آلاء الرحمن ، ١ / ٦٩ .

(٢)ظ : محمد جواد مغنية / التفسير الكاشف ، ١ / ٥٥ .

(٣)ظ : محمد الصادقيّ / الفرقان ، ١/ ١٨٩ .

المنافقون في باطنهم كفار لكنهم يكتمون ما يحملونه في داخلهم من الكفر وإن اشتركوا مع الكافرين والمشركين في بعض أحكامهم ، لكنهم أشد انحرافًا وضررًا على المجتمع من الكفار، وقد بادر القرآن الكريم لفضحهم في آيات عديدة ويزيل اللثام عمّا يخبئون في بواطنهم من الكفر بالرسالة السماوية وباليوم الآخر والمعاد ككل ، وبيان أنّ ما يقومون بهِ من العبادات جهارًا إنّما هي رياء وبيّن أنّ الغرض أو الهدف من إظهارهم الإيمان إنّما هو لمصلحة الكفار ونقل الأخبار إليهم ولأجل الحصول على المنافع الدنيوية والمزايا الاجتماعية [١] .

المنافقون لا يقتصرون بأوصافهم ووجودهم على عصر معين بل هم في كلّ عصرٍ موجودون وصفاتهم معروفة وأوّل صفة هي النطق بالإيمان في أفواههم وقلوبهم ممتلئة بالكفر والضلال ، فهم يدّعون الإيمان ظاهرًا ويخفون الكفر وقد بيّن القرآن الكريم طبيعة نواياهم وأنّهم ليسوا مؤمنين وإن كان ظاهرهم الإيمان ، كما أنّهم يتصوروا بصورتهم هذه يستطيعون أن يخدعوا الله تعالى والمؤمنين ، والنفاق مرض فتاك يؤذي المجتمع ويفككه ولا علاج منهم إلّا الاستئصال وإراحة الأمة منهم لما لهم من التأثير في تخريب المجتمع وهدمه فالواجب من كلّ معني بمصلحة المجتمع مكافحتهم وقصر دورهم وإبعادهم [٢] .

المنافقون أخطر فئة في الأمة ، ونرى أنّ الآيات الكريمة قد تحدثت عن المنافقين بمساحة كبيرة من خلال تحليل شخصياتهم وإبراز سلوكهم والحديث عليهم طويل قياسًا بتناول القرآن الكريم الكافرين ، ولعل ذلك كون الكفر يقابل الإيمان فهو يشكل موقفًا حاسمًا بعكس النفاق الذي يشكل تعقيدًا من خلال الشخصية المزدوجة والمبهمة فهم يعيشون بشخصيتين من خلال ما يظهرونه وما يضمروه ، فيجعل معرفتهم معقدة بعض الشيء كونها تحتاج إلى

---

(١)ظ : عبد الله الجواديّ الآمليّ / تفسير تسنيم ، ١ / ٢٨٩ .

(٢)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١ / ٨٧-٨٨ .

البحث فيهم من خلال أقوالهم وأفعالهم ، وقد يكون هذا السبب الذي جعل القرآن يتناولهم بمساحة واسعة من خلال الآيات الدالة عليهم والإحاطة بهم وكشفهم [١] .

الآيات الواردة تبيّن باختصار وعمق خصائص المنافقين وأعمالهم وإنّ هذه الفئة إنّما هي متذبذبة ومصابة بازدواج الشخصية وقد تغلغلت في المجتمع الإسلامي وقد شكلت خطرًا محدقًا بهِ ، كون تشخيصهم ليس بالسهل لما يحملون بظاهرهم من الإسلام والإيمان الظاهري الذي يصعب تفريقهم عن غيرهم ، إلّا أنّ القرآن الكريم قد بيّن صفاتهم وأعطى المعايير بالكشف عنهم ومعرفتهم [٢] .

بما أنّ المنافقين يضمرون في قلوبهم الكفر من خلال الغطاء الظاهري لهم وهو الإيمان ويجهدون في القيام بالعبادات والإنفاق رياءً لأنّهم يريدون خداع الله والمؤمنين ، وحقيقة الأمر إنّما هم يخادعون أنفسهم ، لأنّهم بتصورهم ذلك يرون أنّهم قد ضمنوا دينهم الحقيقي ولم يخسروا دنياهم وشهواتهم ، كونهم يرون بأعمالهم تلك نجاة ويطبقون الدين ، إنّما العكس فقد خسروا دينهم واشتروا دنياهم بآخرتهم [٣] .

بلحاظ ما ورد في الآية الكريمة ومن خلال ما أورده المفسرون في تبيانها فإنّها قد تناولت فئة متغلغلة في المجتمع الإسلامي وخطيرة لحد لا يمكن الاستهانة بهِ فعلى الرغم من تلك الجهود التي بذلت بالكشف عنهم وتعيينهم إلّا أنّنا لليوم نجد أنّ أناسًا خدعوا بهم ولم يعرفوا حقيقتهم بل الأكثر من ذلك هو إتّباعهم وجعلهم قدوة لهم في حياتهم أمّا حقيقتهم فهي غير ذلك والسبب يرجع إمّا جهل الناس بهم أو الإصرار على عدم الرضا بالحقيقة ووجود عقدة

---

(١)ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ١ / ١٣٨ .

(٢)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ١ / ٧٩ .

(٣)ظ : محمد تقي المدرسيّ /من هدى القرآن ، ١ / ١٠٥-١٠٦ .

الإتباع حتى في الجانب العقدي من الدين فنراها يوصلوهم إلى التقديس بمجرد معرفتهم معرفة ظاهرية وعلى الرغم من ذلك كله وما يشكلوه من الانحراف لكثير من الناس فالله عزّ وجلّ لا تغيب عنه خائنة الأعين وما تخفي الصدور وسوف يحاسبهم على أعمالهم وعلى إضلالهم الناس والآية الكريمة تتناول صفة المنافقين وهو إظهار الإيمان وإخفاء الكفر فالإيمان إنّما يجري على ألسنتهم فقط أمّا في قلوبهم فليس هناك تصديق .

والذي يظهر من الآية القرآنية مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي وهو إيمان تراجعي متغير .

المطلب الثاني : التحوّل من الإيمان إلى الإيمان المقترن بالشرك .

من بين المظاهر التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وبيّن سلبياتها والمساوئ التي رافقت ظهور الإسلام وتحوّل الناس من دياناتهم السابقة المنحرفة في أغلبها هي ظاهرة الردّة عن الإسلام حيث نجد أنّ الكثير من الشواهد عليها في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد انتقاله للرفيق الأعلى ، بل أنّها تفاقمت وانتشرت بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد عبر عنها القرآن الكريم في عدّة مواضع الانقلاب على العقب ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٤ .

وقد بيّن القرآن الكريم في آياتٍ أخر عواقب هذه الأفعال السلبيّة والحكم الشرعي بها لوضع الحدّ لها وقطع دابرها ، وبقبال ذلك بيّن الأجر والثواب الجزيل لمن يحافظ على إيمانه ويتمسك بهِ ولا يبدل عقيدته الصحيحة .

ومن تلك الآيات الواردة في هذا المستوى :

١ – قـــال تعـــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ الأنعام: ٨٢.

الآية القرآنية تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي وهو إيمان تراجعي من الإيمان الخالص المطمئن إلى الإيمان المخلوط بالشرك .

أقوال المفسرين في بيان الآية الكريمة :

الآية تحث المؤمنين الذين صدقوا الله تعالى في إيمانهم وأخلصوا له في عبادتهم ولم يخلطوا عبادتهم والتصديق لله تعالى بالشرك ، فكلمة الظلم في الآية تعني الشرك، فالمؤمنون حقًّا هم الذين لم يشركوا بعبادته شيئًا وكانت عبادتهم خالصة لله ولم يشركوها بالأوثان والأصنام وكلّ ما يلوث معتقدهم فترك العبادات السابقة والتمسك بعبادة الواحد الأحد ، فالإيمان الصحيح هو الإيمان الخالص لله تعالى غير المقترن بالشرك ، فإذا قرن بالشرك فلا يعدّ معتقدًا صحيحًا [١] .

بحسب ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة وعن جماعة من الصحابة أنّ مفهوم الظلم في الآية هو الشرك وهو ما فسرته الرواية الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١)ظ الطبريّ/جامع البيان ، ٩ / ٣٦٨ .

عندما سئل عن لفظة الظلم في الآية فقال : " إنّما ذلك كما قال لقمان : إنّ الشرك لظلم عظيم " [١].

الآية تبين أنّ من عرف الله سبحانه وصدق بهِ وما أوجب عليه ولم يخلط الإيمان بالشرك فإنّ الله تعالى سوف يثيبه ويأمن من عقابه وكلمة الظلم الواردة في الآية إنّما تعني على رأي الكثير من المفسرين أنّها الشرك ومن الذين ذهبوا إلى ذلك ابن عبّاس وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد وأُبَي وسلمان وغيرهم [٢] .

الآية تتكلم عن الذي عرف الله عزّ وجلّ حقًّا وصدق بهِ وما فرضه تعالى ولم يخلط إيمانه بالشرك ، وهو ما ورد عن الكثير وما ورد في الرواية الشريفة عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما سئل عن الظلم فقال هو الشرك وهو ما ذهب إليه جمعٌ الصحابة والتابعين فقد ذهبوا أنّ معناه الشرك بالله تعالى ووحدانيته [٣].

أي أنّهم لم يخالطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم [٤].

تبين الآية أنّ الذين آمنوا ولم يشركوا إيمانهم بالشرك فإنّهم الأحقّ عند الله بالأمن من الذين أشركوا مع الله إلهً آخر ، ومعنى الآية أنّ الذين آمنوا ولم يخالطوا الإيمان بالشرك هم المؤمنون الحقيقيون [٥].

---

(١)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٢ / ٣١٥ .

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٤ / ١٩٠ .

(٣)ظ: الطبرسيّ / مجمع البيان ، ٤ / ٧٦ .

(٤)ظ : الزمخشريّ / الكشاف ، ٢/ ٣٦٩ .

(٥)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ٢/ ١٩٠ .

في الآية إشارة واضحة إلى أنّ أي الفريقين أحقّ بالأمن ثم بيّنت الآية من هم الأحقّ بذلك هم الذين آمنوا بالله تعالى إيمانًا خالصًا ولم يشركوا بالله ولم يُلبسوا إيمانهم بالشرك ولم يُلبسوا الحقّ بالباطل ، كما أنّهم لم يشركوا إله غير الله في معتقدهم وفي عبادتهم ، وفي رواية تقول: " حقّ العباد على الله أن يعبدوه ولا يشركوا بهِ شيئًا" والشرك معناه أن يجمع المرء بين الاعتراف بالله بالإلهية والاعتراف لغيره بالربوبية في آنٍ واحد ، وبما أنّ الاعتراف لغير الله ظلمًا فإنّ الإيمان بالله سبحانه مخلوطًا بظلم ، وهو الإيمان لغير الله والإيمان بالله وبغيره وجعلهم بمقام الربوبية هو الخلط ؛ كونه قد جعلهم متماثلين وأنّ كليهما من جنسٍ واحدٍ [1].

أي الذين صدقوا بالله تعالى ووحدانيته ووجوده وأخلصوا بالعبادة له وحده وأنّ لا شريك له ولم يشركوا بهِ شيئًا وأنّهم لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم فهم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة ، فالظلم في الآية دال على الشرك بناءً على رواية رسول الله المشهورة التي بيّن فيها الظلم [2].

إنّ من بين ما يحقق الرخاء للمجتمع ويكون أكثر استقرارًا هما مبدآن معًا يسود المجتمع الأمان ويعيش الناس بطمأنينة هما الإيمان والعدالة الاجتماعية ، فإن تزعزع الإيمان بالله تعالى أو ضعف وحلّ الظلم محل العدالة الاجتماعية فلن يصبح المجتمع بأمانٍ ، لذا يتوجب عدم زوال هذين المبدأين لأجل أن يبقى المجتمع مستقرًا ويسوده الأمان ، فالإيمان يحقق الاطمئنان النفسي والهدوء الروحي للمرء ويجعله يحسّ بالأمان فمتى ما أحسّ الإنسان بتزعزع إيمانه رافقه شعور بالقلق النفسي وتأنيب الضمير لارتكابه الظلم ، وفي رواية للإمام الصادق (عليه السلام) في معنى الآية قال : " بما جاء بهِ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من

---

(١)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٧ / ٣٣٢-٣٣٣ .

(٢)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٤ / ٢٨٧ .

الولاية ولم يخلطوها بولاية فلان وفلان " فالرواية تتحدث عن حفظ ولاية الله تعالى وعدم خلطها بولاية غيره ، ولعل الولاية المقصودة هي ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) التي هي ولاية الله وولاية نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كما أنّ الولاية شاملة الخوارج كونهم خرجوا عن ولاية الله ودخلوا ولاية الشيطان ، وهذا ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) [1] .

ظاهر الكلمة أنّها تتسع لكلّ انحرافات عن الإيمان والانحرافات هنا مباشرة أو غير مباشرة فهو مصداق لكل انحراف في العقيدة سواء بأصولها أو تفاصيلها أو مسارها الطبيعي والانحراف العملي بخطٍّ واحدٍ مع الانحراف العقدي ، ويقصد بهِ الانحراف عن ولاية الحقّ إلى ولاية الباطل ، ومن ولاية الله تعالى إلى ولاية الشيطان ، وهذا ما سلطت عليه الضوء روايات أهل البيت عليهم الصلاة والسلام التي أكدت على تطبيق الولاية بفروعها المتعددة[2].

في الخطاب يظهر مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو ما تبيّن من سياق الآية الكريمة هو التحوّل السلبي من الإيمان الخالص المطمئن إلى الإيمان المقترن بالشرك وهو إيمان تراجعي .

٢- قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾البقرة:١٠٨.

الآية تتحدث عن التحوّل من حالة إلى حالة أخرى وهو ما يمكن أن نقول عنه تحولًا سلبيًا كونه يرجع على صاحبه بالسلب لا الإيجاب من ناحية العواقب التي ترد عليه، من سوء العاقبة والمصير الذي ينتظره فالله تعالى لا يقبل منه شيء وسوف يعاقبه على سوء فعله ،

---

(١)ظ ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٤ / ١٣٤ .

(٢)ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٩/ ١٩١ .

فالآية الكريمة تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي من الإيمان المطمئن إلى مقترن بالشرك وهو إيمان تراجعي .

وقد أورد المفسرون تبيانًا لتلك الآية منها :

تعني الآية أنّه من يستبدل الكفر والجحود بالله وبآياته بدل الإيمان بالله والتصديق بهِ وبآياته والإقرار بالعبودية له عزّ وجلّ فقد ضلّ عن طريقه القويم [١].

يعني قوله تعالى ترك الثقة بما أُنزل الله تعالى في القرآن الكريم من آيات ويشكّ فيها وأنّها ليست من عند الله والذي يفعل ذلك ويعتقد بهِ فإنّه قد ضيّع طريق الحقّ وأبدله بطريق الباطل[٢] .

أي أن يستبدل المرء الجحود بالله تعالى وبما أنزله الله من الآيات وبالإيمان له والتصديق بهِ والإقرار له بروبيتهِ ، أي يكفر بالله بعد أن يؤمن بهِ فقد ذهب عن طريق الحقّ وابتعد عن طريق الاستقامة وهو الابتعاد عن سبيل الله [٣] .

أي الذي يشتري الكفر بالإيمان فقد خرج عن الطريق القويم إلى طريق الجهل والضلال ، وهو حال كلّ الذي عدلوا عن تصديق وإتباع الأنبياء والرسل والانقياد لما يدعون إليه وهو شريعة الله الواحدة كون هدف الانبياء واحد وشريعتهم واحدة فلا فرق بين شريعة دون أخرى ، فسواء السبيل هو مخالفة ما يدعو إليه الأنبياء وتكذيبهم والتعنت والكفر بما يأتون بهِ [٤] .

---

(١) ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٢ / ٤١٤ .

(٢) ظ : الزمخشريّ / الكشاف ، ١/ ٣٠٩ .

(٣) ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ١ / ٢٥٣ .

(٤) ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ١/ ٣٨٢ .

أي من يأخذ الكفر بدل الإيمان وهذه كناية عمّن يُقْبِل على الكفر بتركه الإيمان كشراء الضلالة بالهدى [١] .

الذي يقف مع الحق موقفًا مجردًا دون أنّ يتبع أسلوب التعنت ويطلب الدليل المعقول في إثباته يعدّ مؤمنًا إيمانًا حقيقيًّا ، أمّا من يتبع الأساليب المستحيلة والطلب غير المعقول ويبحث عن الحجج الواهية فهو كافر بالحقّ ، فالذي لم يؤمن بما جاء بهِ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد كل الدلائل والبراهين الموضوعة أمامه وبقي يتخلق الأعذار ويتمسك بالعناد فقد استبدل الإيمان بالكفر واختار الباطل على الحقّ ولم يكن منصفًا حتى مع نفسهِ[٢].

تشير الآية إنّ من يطلب المعجزات بدافع التعنت والعناد وأن يترك الثقة بالآيات المنزلة بحسب ما تريده المصلحة العامة وما تقتضي الحاجة لها ويطلب حسب أهوائهِ عنادًا بالنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنّه قد اختار الكفر على الإيمان وقد ضل ضلالًا بعيدًا عن طريق الحقّ الذي رسمه لهُ الله تعالى [٣] .

الخطاب موجه لضعاف الإيمان وحملة التشكيك في أمور الدين وما جاء بهِ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وطلب بعض المعجزات غير الواقعية وغير المنطقية فالإسلام يطلب منهم بعدم إتّباع هذا الأسلوب الخاطئ عند طرح الأسئلة أو الحِجَاج ويدعوهم أن تكون طلباتهم بالعقل والإنصاف والفهم والإدراك ، والذي يبحث عن تلك الحجج الواهية وطرق

---

(١)ظ : أبو حيان / البحر المحيط ، ١ / ٥٠٠ .

(٢)ظ : محمد جواد مغنية / التفسير الكاشف، ١/ ١٧٣.

(٣)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١/ ٢٨٧-٢٨٨ .

التشكيك فإنّما يريد أن يتبع الباطل بدل الحقّ وتبديل الإيمان بالكفر ومن يفعل ذلك فقد اتبع الضلالة واشترى الضلالة بالهدى [١] .

الذي تدعو إليه الآية المباركة بيان صفة الكافرين وهي الردّة بعد الإيمان فبعد أن مَنَّ الله عليهم بالهداية والتصديق بهِ رجعوا إلى كفرهم وسلكوا طريق الضلالة بعد أن ساروا في طريق الهدى وهذا من سوء العاقبة أو عدم حصول التصديق القلبيّ بالله تعالى وبكلّ ما أنزل .

لذا فالآية تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية هو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبيّ ، أي إيمان تراجعيّ وهو التحوّل من الإيمان الخالص إلى الإيمان المقترن بالشرك الذي يسقط بهِ الإنسان ضمن الاختبار الدنيوي المعدّ له .

٣- قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ آل عمران: ٩٠ .

الآية الكريمة تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي وهو إيمان تراجعي الكفر بعد الإيمان .

تعني الآية الذين يكفرون بالله بعد إيمانهم ويدركهم الموت وهو كفار فلا تقبل توبتهم عند الموت ، وقيل أنّهم ازدادوا كفرًا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما بعثه الله تعالى فأنكروا نبوته وكذبوا ما جاء بهِ ، فلن يقبل الله توبتهم إذا حضرهم الموت [٢] .

الذين كفروا بآيات الله تعالى وبقوا معاندين على كفرهم لا يرجون هداية كونهم مقيمين على كفرهم فقد أخبر الله سبحانه أنّ أولئك الذين كفروا لا تقبل توبتهم ، وقيل هم المرتدون عن

---

(١)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ١/ ٢٧٨ .

(٢)ظ : الطبريّ ،/ جامع البيان ، ٥/ ٥٦٤ .

الدين الذين ختم الله عليهم بالكفر ، فمنهم من لا تقبل توبتهم وهم الذين قد أخطأوا السبيل القويم في أقوالهم وأفعالهم [١] .

وقيل أنّه لماذا لا تقبل توبة هؤلاء المعنيين في الآية الكريمة ؛ لأنهم كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا حتى انقضاء أجلهم فحصلوا على ضلالتهم فلن يقبل الله تعالى توبتهم ، والسبب يرجع لعدم قبول توبتهم أنّ الآية تجيب عليه كونهم لم يكونوا مخلصين وهم ضالون ...[٢] .

بعد أن ذكر فيما تقدم التوبة المقبولة عند الله ، أعقبها بمن لا تقبل توبته في هذه الآية وهم الذين خصّهم الله تعالى بأنّهم الكافرون بآيات الله تعالى تباعًا فازدادوا كفرًا لكفرهم فالله لن يقبل توبة هؤلاء كونهم قد أصرّوا على كفرهم وكانوا ضالين بدليل الآية فلو تحققت توبتهم ليبيّن أنّهم كانوا مهتدين ، وقيل أولئك لا ترجى توبتهم إلّا إذا حضرهم الموت ، فالتوبة لها شرائطها وتلك الشرائط غير مكتملة في هؤلاء الذين لا ترجى توبتهم [٣] .

الآية فيها وعيد وتهديد لمن كفر بعد الإيمان وازداد في كفره واستمر بهِ إلى موته فتخبر الآية أنّ ذلك لا تقبل منه التوبة إذا حضره الموت ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ النساء: ١٨.

---

(١)ظ : ابن عطية / المحرر الوجيز ، ١/ ٤٧٠ .

(٢)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٢/ ٥٢٧ .

(٣)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٢/ ٢٧٤-٢٧٥ .

تبيّن الآية أنّ الخارجينَ عن النهج الحقّ إلى طريق الغي لن تُقبل توبتهم ، وقد ورد عن ابن عباس أنّ قومًا دخلوا الإسلام ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فسألوا رسول الله صلى اله عليه وآله في أمرهم فقرأ عليهم هذهِ الآية [١].

قيل المراد بالآية ممّن ارتد من المسلمين ومات على الكفر ، فيراد بذلك الازدياد والاستمرار في الكفر وعدم الإقلاع عنه ، وقد وردت آية مشابهة لهذه الآية من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴾ النساء: ١٣٧ [٢].

الآيتان تؤكدان أنّ من كفر واستمر على كفره وهو المتعنت بالكفر فذلك لن تُقبل له التوبة كونه من الضالين .

ليس كلّ توبة هي مقبولة عند الله تعالى إنّما هناك توبة مرفوضة فالذين يكفرون بالله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) واليوم الآخر بعد إيمانهم ودخلوا الإسلام إمّا عن رغبةٍ أو رهبةٍ ثم خرجوا من الدين بعد أن حققوا ما يصبون إليه فهذا التحوّل الذي هم عليه إنّما يشير عدم الجدية في الإيمان وأنّ الإيمان لم يدخل في قلوبهم بصورة حقيقية فهم التائهون عن الحقّ والإيمان وهم الضالون الذين لا تُقبل توبتهم ولا ينالون شفاعة من الله لإتباعهم العصيان والانحراف العقديّ [٣].

---

(١)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٧١-٧٢ .

(٢)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٣/ ٣٠٥ .

(٣)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٦/ ١٤٥.

الآية الكريمة تبيّن أنّ مَن يكفر يبقى على كفرِهِ بعد إيمانهِ وحضره الموت فلن يقبل الله تعالى توبته حتى وإن تاب ؛ لأنّه قد رأى الحقيقة أمامه شاخصةً عند إيمانه الأوّل فكذب وعصى وظل على الضلالة فاستحقّ أن لن تقبل منه توبة ، فهو بحكم المرتد الذي يموت على ارتداده ، أمّا المستوى الإيماني الذي ذكرته الآية الكريمة هو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبيّ وهو إيمان تراجعي ويكون بالتحوّل من الإيمان الخالص إلى الإيمان المقترن بالشرك ولأنّه تراجع من الإيمان إلى الكفر فهو من الضالين المنحرفين .

٤ – قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴾ النساء: ١٣٧ .

إنّ الآية القرآنية تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي وهو التحوّل من الإيمان إلى الكفر أي إيمان تراجعي .

معنى الآية أنّ الله لم يكن ليغفر للذين لم يتبعوا الهدى وطريق الحقّ وقد كفروا بالقرآن الكريم وبالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعن مجاهد ذكر كُنَّا نحسبهم المنافقين ومن كان مثلهم حتى نهاية الآية فتبيّن أنّهم الذين بقوا على كفرهم حتى ماتوا [١] .

الآية خاصّة بطائفة معينة يتصف كل شخصٍ منها بالتردد بين المؤمن والكافر فمرة يؤمن ومرة يكفر ثم يزداد كفرًا حتى الممات وهذا لا ينطبق على أهل الكتاب ولا ينطبق على المنافقين [٢] .

---

(١) ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٧ / ٥٩٧ .

(٢) ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٢/ ١٢٤ .

وقيل إنّ الآية نزلت في جماعة قد آمنوا ثمّ ارتدوا ثمّ آمنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفرًا وأنّ الله لا يغفر لهم بالإيمان الثاني بالكفر المتقدم ؛ لأنّهم لما ارتدوا فيما بعد دلّ على أنّ الإيمان الأوّل لا يعدّ إيمانًا حقيقيًا فلا يستحقوا أن يغفر الله لهم عقاب كفرهم المتقدم [١] .

الآية تبيّن نفي المغفرة والهداية وهي على سبيل اللّطف الإلهي والمراد منهما نفيهما عمن ارتد ولم يكن إيمانه خالصًا ثابتًا ، ومعنى ذلك إنّ من يتكرر منه الارتداد واعتاد ازدياد الكفر والإصرار عليه فلا يستحق المغفرة ولا يستوجب بلغهم اللّطف الإلهي لأنّ من يستحق المغفرة ويشمله اللطف الإلهي هم من كان إيمانه صحيحًا ثابتًا يرضاه الله تعالى ، وقلوب من ذكرتهم الآية إنّما قلوب قد ضربت بالكفر وتمرنت على الردّة والإيمان أهون شيء عندهم وأدناه ... [٢] .

إنّ الكافر إذا آمن غفر الله له كفره ، فإن رجع للكفر فلا يغفر له الكفر الأوّل وهو ما دلّت عليه الروايات الواردة في الصحاح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " أمّا من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها ومن أساء أُخذ بعمله في الجاهلية والإسلام " وفي معنى الآية هو الإصرار على الكفر فإنّ الله لا يغفر له ولا يرشده وليس له طريق إلى الجنّة... [٣] .

تخبر الآية عمّن دخل في الإيمان ثم ارتد عنه ثم آمن ثم ارتد مرة أخرى واستمر في ذلك على ضلاله ، وازداد في كفره حتى الممات فإنّ هذا لا توبة له بعد موته ولا تلحقه مغفرة من الله ولا يفرج الله عنه وليس له مخرجًا من ضلاله وليس له طريقًا للهدى والرشاد ، وازدياد

---

(١) الطوسيّ / التبيان ، ٣/ ٣٥٩- ٣٦٠ .

(٢) ظ : الزمخشريّ / الكشاف ، ٢ / ١٦٥.

(٣) ظ : القرطبيّ / الجامع لأحكام القرآن ، ٥ /٤١٥ -٤١٦ .

الكفر هو البقاء عليه حتى الموت [١] .

أخبر الله تعالى عن طائفة من الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازداد كفرهم بعد ذلك فلا يمكن أن يغفر الله تعالى لهم ذلك الكفر ولا غفران ذنوبهم ولا يهديهم إلى طريق الحقّ والصلاح ، لأنّهم لم يؤمنوا بالله تعالى حقّ إيمانهم ولم يخلصوا له سبحانه ، فلم يثبت لهم أنّهم مؤمنون في حالهم فمرة مؤمنون وأخرى هم كافرون فهم متلاعبون في الدين ويتخذونه هزوًا ... [٢] .

إشارة الآية إنّ الكفر الواقع هو كفر مضاعف يعاود صاحبه بعد أن آمن إليه وزوال عوائق الاعتراف بالصدق فيكون ذلك الكفر بئس الكفر [٣] .

المراد من الآية إشارة إلى المرتدين الذين عهد منهم زيادة الكفر والإصرار عليه ، فلا يستحقون المغفرة الإلهية ولا يستوجب عليهم اللّطف الإلهي ، كونهم لم يؤمنوا بالله حقّ إيمانه ولم يثبتوا على إيمانهم إنّما كان إيمانهم متزعزعًا ، وإنّ قلوبهم قد ضربت بالكفر وتعودت على الردّة ، كما أنّ الإيمان هيّن عليهم ... [٤] .

قد يؤمن الإنسان بدينٍ أو معتقدٍ معين أو بمبدأ من المبادئ ويكون متعصبًا له مدافعًا عنه ثم يبحث ويتعمق في العلم فيرى أنّه كان على خطأ فينفصل عن ذلك الدين الذي يعتقد بهِ وينضم للدين الحقّ الذي آمن بهِ وليس لأحدٍ أن ينقده أو ينكر عليه الدخول في الدين الجديد كونه قد أخذ الطريق القويم الذي وصل إليه من خلال تحكيم العقل وبالأحرى يجب أن يمدح

---

(١)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ٤٣٤ .

(٢)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ١ / ٨٣٠ .

(٣)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٥/ ٢٣١ .

(٤)ظ : محمد جمال الدين القاسميّ /محاسن التأويل ، ١٦٠٨.

على عمله ذلك كونه قد اهتدى بعد أن تبيّن له الحق في إتّباعه ، أمّا إذا عدل وعاد إلى دينه الأوّل ثم عدل عنه ثم عاد وهكذا فعلها مرات عدّة فهنا إمّا ينبذ على فعله ذلك أو يطرد ، كما يجب توجيه العقوبة له على ما فعل ويجب أن تكون عقوبته شديدة وقاسية ، وهذا ما سار عليه أصحاب الأديان والمذاهب السابقة قديمًا وحديثًا ، وخلاصة الأمر أنّ المؤمن هو الذي يثبت على إيمانه مهما مرت عليه الظروف ومهما واجه في طريقه من عقبات ، وأمّا من ارتد عدة مرات هو أسوء وأشد من الذي يكون كافرًا ويثبت على كفره أو إلحاده فهو بحكم المستهزئ أو الساخر أو الماكر أو مفترٍ كذاب فتكون العقوبة واجبة عليه وهي استحقاقه الذي يجب أن يقع عليه ويقام عليه الحدّ [١] .

الكفر الذي يسبق الإيمان فإنّ الله يمحوه ويغفره ، أمّا الكفر بعد الإيمان وخاصةً مرة بعد أخرى فهو من الكبائر التي لا يغفرها الله ولا يعذر مرتكبها ، فالذين يرتدون بعد إيمانهم مرة بعد مرة فهم ليسوا عن فطرة إنّما على دراية بما يفعلون وهم تعمدوا أن يختاروا الضلالة بالهدى ويتعمدون الكفر [٢] .

تشير الآية للّذين أعلنوا إيمانهم ثم عادوا إلى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ، ثم ازدادوا في كفرهم بمغالاتهم وتماديهم وماتوا على الكفر فإنّه لا مغفرة لهم ولا يهتدوا إلى طريق الحقّ ، أي تكرار الارتداد منهم وازدياد الكفر والإصرار عليه وفقدوا الاستعداد لفهمهم حقيقة الإيمان ولم يكونوا مؤهلين لإثبات الهداية لن تشملهم مغفرة الله تعالى ولا تحيطهم رحمته وإحسانه ورضوانه ، ولن يبلغوا الطريق الحقّ وهو الجنّة التي وعد الله بها المؤمنين وما تشتمل عليه

---

(١)ظ : محمد جواد مغنية / تفسير الكاشف ، ٢/ ٤٦٢ .

(٢)ظ : سيد قطب / في ظلال القرآن ، ٥/ ٧٧٨ .

من الخير والفلاح والسعادة إذ لم يرجعوا إلى الله ولم يتوبوا من كفرهم والتمسك بإيمانهم وبقوا على كفرهم وطغيانهم حتى مماتهم وبقوا على العداء للإسلام والمسلمين [١] .

بيّنت الآية أنّ هناك سلوكًا حربائيًا متلونًا عند بعض الناس وهذا السلوك إمّا يكون نابعًا من جهل وعدم الإدراك للأسس الإسلامية عند الفرد وإمّا يكون خطة نفذها أعداء الدين من المنافقين والكفار وفئة متطرفة من أهل الكتاب للتأثير في إيمان المسلمين الحقيقيين وزعزعته، ودلّت الآية على أنّ جماعة يموتون وهم على كفرهم ونتيجة لذلك وما هم عليه فلا يستحقون أن يغفر الله لهم أو يعفو عنهم أو يهديهم ما داموا على أسلوبهم السيء[٢].

الآية تشير إلى الذين يغيرون مواقفهم حسب موازين القوى في المجتمع أو حسب ما تقتضي مصلحتهم الشخصية ، ولذلك فحكمهم أنّهم كفار لا يغفر الله لهم ذنوبهم ، بل أنّهم أسوء حالًا من الكفار ؛ إذ أنّهم يتلاعبون بهدى الله تعالى واتخذوا الدين للمساومة من أجل حياتهم الدنيوية ، لذا فهم لا ينظرون إلى الإيمان نظرة الذي يبحث عن الحقيقة فلا يهتدوا بهِ [٣] .

في الآية الكريمة إشارة للذين آمنوا وصدقوا بما جاء من عند الله ثم ارتدوا بعد ذلك فهؤلاء حكمهم عند الله أشد من حكم الكافر الذي يبقى على كفرهِ كونه قد جربوا حلاوة الإيمان وعرفوا طريق الحقّ إلّا أنّهم لم يكملوا ذلك الطريق وانحرفوا عنه وتراجعوا عنه فاستحقوا أن يعذبوا بأشد العذاب لأنّه أخلفوا الوعد الذي قطعوه أمام الله والمؤمنين على أنفسهم حتى ماتوا وهم كفارًا ، وهذا تحوّل في الإيمان من حالةٍ إلى حالة أخرى مغايرة تمامًا عمّا كانوا عليه

---

(١)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٣/ ٣٣١ .

(٢)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الامثل ، ٣ / ٣٣٨ .

(٣)ظ : محمد تقي المدرسيّ /من هدى القرآن ، ٢ / ٢٢٣ .

فمستوى الإيمان عندهم هو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي من الإيمان إلى الكفر وهو إيمان تراجعي .

المطلب الثالث : الإيمان السلبيّ بطاعة بعض المليين .

ويعني أن يطيع المؤمنين بعض المليين من أهل الكتاب فيوالوهم ويتبعونهم فيردّوهم عن إيمانهم إلى الكفر .

١ – قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٠٠.

الآية القرآنية تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي من الإيمان وممّا يؤيد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ثمّ قرنه بالتحوّل السلبي وهو ﴿ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ فهو إيمان تراجعي .

الآية تخاطب الذين صدقوا الله تعالى ورسوله وأقروا بما جاء من عند الله وفق الشريعة الإلهية بأن يكفوا عن طاعة جماعة من أهل الكتاب الذين ينتحلون هذه الصفة فلا ينخدعون بهم ويضلونهم عن سبيل الله فيرتدون عن إيمانهم وطاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأن لا يتبعوا أوامرهم فيرجعونهم كافرين جاحدين لدينهم وتدعوهم الآية بأن لا يأمنوهم على دينهم لأنّهم لا يريدون بهم خيرًا [١] .

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٥/ ٦٣٣ .

في الآية نهي صريح عن طاعة الكافرين ومن يطيعهم فقط خرج عن دينهِ وارتد بعد إيمانه ومن يعمل ذلك فقط كان كافرًا [١] .

تحذير للمؤمنين الذين صدقوا بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدم طاعة اليهود من خلال قبول أقوالهم ؛ لأنّهم يريدون الإيقاع بهم وإرجاعهم كفارًا بعد أن آمنوا لحملهم الضغائن عليهم فيريدون الانتقام منهم [٢] .

في الآية يحذر الله تعالى عباده المؤمنين أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يضمرون الحسد لهم على ما آتاهم الله عزّ وجلّ من أفضالهِ بأنّ جعلهم مؤمنين وأنزل فيهم نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) لهدايتهم ومن يتبع تلك الطائفة فقد كفر بعد إيمانهِ[٣] .

الله تعالى يوجه خطابه للمؤمنين ليحذرهم من كيد جماعة من أهل الكتاب وسوء دعائهم لهم والمقصود من أهل الكتاب في الآية هم اليهود فيدعوهم لعدم الانجرار في خديعتهم ليرجعوهم إلى الجاهلية بعد أن أصبحوا مؤمنين [٤] .

يوجه الله تعالى الجماعة المسلمة ويحذرها من طاعة أهل الكتاب وأن لا يعودوا للكفر والقرآن الكريم بين أيديهم فذلك أمر لا يليق بهم ويدعوهم الله للتمسك بدينهم[٥].

---

(١)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٣ / ٥٤٢ .

(٢)ظ: الطبرسيّ / مجمع البيان ، ٢/ ٢٨٤.

(٣)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٨٦ .

(٤)ظ: ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٤/ ٢٧ .

(٥)ظ: سيد قطب /في ظلال القرآن ، ٤ / ٤٣٢ .

حذرت الآية المؤمنين من الاستماع إلى فريق من أهل الكتاب الذين يحاولون أن يضلوهم وفتنوهم ويردّوهم عن دينهم ، كما أنّ الخطاب ينطبق على واقعنا الحالي الذي يحاول من خلاله المبشرون النصارى في محاولاتهم إلى تفتيت كلمة الإسلام وصرف المسلمين عن دينهم وتفريق جموعهم لكي يوقعوهم ليكفروا بعد إيمانهم فالآية تنطبق على دعاة الفتنة والضلال والعملاء للغرب لكي يحققوا أهدافهم للنيل من الإسلام والمسلمين وردّهم عن عقيدتهم والانجرار وراءهم [١] .

الفريق الوارد في الآية هم المتصدون للضلال والإغواء الذين يصدون الناس عن سبيل الله فيخاطب تعالى المؤمنين بعدم الانقياد إلى ضلالهم والإتباع الأعمى حتى لا يردّون من الإيمان إلى الكفر من خلال إضلالهم وإغوائهم الذي يمارسوه ممّن يتصفون بأهل الكتاب بعد أن غمرهم اللّطف الإلهي والهدى والصلاح [٢] .

بعد توبيخ الله تعالى لأهل الكتاب على كفرهم وعنادهم وصدِّهم عن سبيله خاطب المؤمنين بالتحذير من أولئك أهل الكتاب فينهاهم على عدم الطاعة لهم حتى لا يضلوهم ويصدوهم عن طريق الحقّ فدعاهم الله تعالى بتركهم والتمسك بالهوية الإسلامية وتميزها ويذكرهم أنّهم إذا اتبعوا اليهود فسوف يشعلون الفتن بينهم ويؤججوا الانحرافات الجاهلية ويردوهم كفارًا بعد أن أصبحوا مؤمنين ويزرعوا التفرقة والكراهية والحقد والضغينة بين أوساطهم ... [٣] .

يخاطب الله تعالى المخدوعين من المسلمين والذين هم في غفلة ممّا يحدث حولهم من أعداء الدين فيحذرهم من أولئك وخاصة ممّن ينتسبون لأهل الكتاب فيوقعوهم في أحضان الكفر

---

(١)ظ: محمد جواد مغنية / التفسير الكاشف ، ٢ / ١٢٠-١٢١ .

(٢)ظ : محمد جواد البلاغيّ / آلاء الرحمن ، ١ / ٣٢٠ .

(٣)ظ: وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٢/ ٣٤٨ .

ويردونهم من بعد إيمانهم ، فالأعداء من خلال ما يوقعوهم بهِ من زرع العداوة والاقتتال فيما بينهم وتفرقتهم لخلق الفجوة ليردوهم عن سبيل الله [1] .

بلحاظ الآية الكريمة وما ورد فيها من خطاب إلهي يتبين أنّ الله عزّ وجلّ قد وجه تحذير للمؤمنين أن يحتاطوا من الفئة التي تريد الوقوع بهم وقد حدد تلك الفئة فهم جماعة من أهل الكتاب الذين يكمنون العداوة والبغضاء لهم ويريدون أن يفسدوا عليهم دينهم ويردّوهم بعد إيمانهم إلى الكفر وهذا غاية مقصدهم ؛ لأنّهم أعداء الإسلام ولا يريدون الخير للمؤمنين وقد ذكر المفسرون في جملة من الأقوال والآراء كيفية الإيقاع بهم من خلال زرع التفرقة والفتنة والعداوة والبغضاء وخلق النزاعات والمشاكل والاقتتال فيما بينهم لكي يضعفونهم ويفرقوهم وينهوا وحدتهم وتلازمهم حتى يسهل عليهم إرجاعهم إلى الكفر بعد الإيمان وهذا الكلام مصداق لما موجود في زماننا الحاضر الذي نعيش بهِ من خلال الإعلام الغربي المعادي الذي يريد الإيقاع بالشعوب الإسلامية وتحريفهم عن مسارهم الصحيح وضرب العقيدة الإسلامية وهدف ذلك كلّه هو المؤمنين المتمسكين بالشريعة المحمدية الحقيقية التي حاول أعداء الدين ضربها بكلّ السبل المتاحة عندهم وعلى مرّ العصور وإلى الزمن الحاضر نجد هذه الحملة مستمرة من خلال تشويه الدين وإدخال البدع فيه أو التشكيك فيه من خلال ثوابته الأساسية التي تمثل العمود الفقري لدين الإسلام وأولها القرآن الكريم فنرى الحملة الشعواء التي تحاول إخفاء قدسية القرآن الكريم أو التشكيك بمصدر الإلهي أو التشكيك بأصول الدين أو فروعه وهذا كله مصدره أعداء الدين الذين يريدون ردّ المؤمنين والتشكيك في إيمانهم ليجعلوهم كفارًا .

---

(١)ظ: ناصر مكارم الشيرازيّ /الأمثل ، ٢/ ٣٧٣ .

ويتبيّن أنّ الآية الكريمة فيها مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبيّ فهو الإيمان المقترن بطاعة بعض الملليين وهو ما يحذر الله تعالى عباده المؤمنين منه أو الانجرار خلفه .

٢- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المائدة:٥١ .

في الآية الكريمة إشارة واضحة إلى مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي وهو تولي الملليين أولياء بعد الإيمان وهو إيمان تراجعي.

في الآية ينهى الله تعالى المؤمنين جميعًا عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى أنصارًا أو يتحالفوا معهم وإنّ من يتخذهم فقد أصبح منهم وكان عدوًا لله ورسوله والمؤمنين والله يتبرأ منه لطاعته أهل الكتاب واتخاذهم أولياء له فالذي يوالي أهل دين من الأديان فقد أصبح منهم [١] .

نهى الله تعالى بعدم اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وعدم التنصر بهم أو الامتزاج معهم أو التعاضد وهذا لا يعني عدم المعاملة معهم إنّما ينهى عن الاختلاط بهم والانقياد إليهم وطاعتهم [٢] .

---

(١)ظ: الطبريّ / جامع البيان ، ٨ / ٥٠٥ .

(٢)ظ: ابن عطية / المحرر الوجيز ، ٢/ ٢٠٣ .

هو إخبار منه عزّ وجلّ أنّ الذي يوالي الكفار من أهل الكتاب ويتخذهم أنصار له فإنّه منهم فحكمه حكمهم وواجب لعنه والبراءة منه ومصيره نار جهنم لاتباعه الكفار فلا هداية لهم لكفرهم واستحقاقهم العذاب الدائم بطاعتهم الكفار [١] .

أي لا تتخذوا أهل الكتاب أولياء تُنصروهم أو تَستنصرونهم أو تعاشروهم وعلة ذلك الأمر هو التغليظ من الله وتشديد منه بعدم مقاربة وطاعة المخالف في الدين واعتزاله وعدم التقرب منه ما دام على ملّة الكفر [٢] .

بعد ذكر أهل الكتاب فيما تقدم أمر الله تعالى المؤمنين بعدم موالاتهم والبراءة منهم أي عدم التودد لهم أو طاعتهم أو التقرب منهم ومن يفعل ذلك فإنّه منهم أي كافر مثلهم ومحكوم عليه كما هو محكوم على الكفار من أهل الكتاب ووجوب لعنه والبراءة منه وعقابه نار جهنم [٣] .

نهى الله سبحانه المؤمنين من عباده موالاة أعداء الإسلام وأهله من أهل الكتاب وقد تهدد وتوعد كلّ من يفعل ذلك وأنّه منهم وتابع لهم [٤] .

ظاهر الخطاب خاصّ بالمؤمنين ينهاهم عن موالاة اليهود والنصارى وقيل هو خطاب عام يشمل كل من يتصف بالإيمان فيدخل فيه جميع المسلمين فالمراد من النهي هو عدم اتخاذهم في المعاملة والمصادقة والمعاشرة وعدم تقديم الطاعة لهم والنصرة ، فالذي يتولاهم يعامل معاملتهم في العقاب ويعامل معاملة الكافر منهم[٥].

---

(١)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٣/ ٥٥٠ .

(٢)ظ : الزمخشريّ / الكشاف ، ٢ / ٢٤٩ .

(٣)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٣ / ٢٩٢ .

(٤)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ١٣٢ .

(٥)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ٢/ ٧٠-٧١ .

في الآية تهيأت نفوس المؤمنين ونهيهم لموالاة أهل الكتاب وطاعتهم كون الولاية مبنية على التوافق والوئام والتقرب وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ممّن لم يُسْلِموا فهم ليسوا بأهلٍ للولاية مع المؤمنين لما يحملونه من الضغينة والحقد واختلاف في الدين والإتباع فهم بعيدون كل البعد عن المسلمين من جميع النواحي الدينية والخلقية فالله تعالى يحذرهم من الانجرار خلفهم وخلف مكرهم وينهاهم بعدم طاعتهم ونصرتهم وسبب ذلك يرجع للتنافر الحاصل بينهم من خلال عدم إيمانهم بنبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما جاء بهِ من عند الله فليس بينهم صلة أو تقارب [١].

تضمنت الآية أنّ الله عزّ وجلّ نهى عباده المؤمنين من تولي أهل الكتاب الذين هم أعداء الله وأعدائهم بعدها جاء تهديد ووعيد لمن يخالف أمر الله ويكون حليفًا لهم أو يناصرهم أو يتبعهم أو يعطي أسراره لهم لأنّه عدو لهم ، ومَن يطعهم فإنّ الله سيلحقه بهم وينزل عقوبته عليهم ويحسبه من جملتهم [٢].

توجب الآية إنّ مَن يؤمن بالله تعالى لا يتحالف ولا يوالي ولا يطع أهل الكتاب وهي الموالاة المبنية على الأغراض والمصالح أو الاعتماد عليهم في الأمور الخاصة بالإسلام وأهله ومن يتولاهم فإنّه يصبح منهم وسيعاقبه الله تعالى بعقابهم [٣].

في الآية الكريمة نهي صريح لكلّ من يؤمن بالله عزّ وجلّ إيمانًا صادقًا وتنطبق عليه صفة المؤمن الحقيقي المصدق بالله تعالى وبرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبما أنزله من الشرائع السماوية عن موالاة أعداء الله والدين الإسلامي وخاصّة أهل الكتاب منهم فالآية

---

(١)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٦/ ٢٢٩ .

(٢)ظ: وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٣/ ٥٧٨ .

(٣)ظ: ناصر مكارم الشيرازيّ /الأمثل ، ٥ / ٥٣٧ .

تؤكد على هذا الأمر بعدم تولي أو إطاعة أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يعادون الدين ولم يؤمنوا بما جاء عنه سبحانه، وتذكر الآية إنّ مَن يواليهم فقد كان معهم في كلّ شيء وبما ينزل عليهم من العذاب والعقوبة التي تلحق بهم من الله تعالى بطاعتهم أهل الكتاب الكافرين ، وفي الخطاب بيان لمن كان مؤمنًا وتبقى طاعته لبعض الملليين من أهل الكتاب فلا ينفعه إيمانه بشيء، ويظهر في الآية الكريمة مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبيّ وهو طاعة بعض الملليين بعد إيمانه أي إيمان تراجعي، كون الآية تتحدث عن إتّباع فئة من المؤمنين لجماعة من أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا .

٣ – قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ المائدة: ٥٧.

إنّ النص القرآني يتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي وهو طاعة بعض الملليين أولياء ، وممّا يؤكد ذلك قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ثمّ قرنه بقوله : ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ... مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ ﴾ ، وهو إيمان تراجعي .

يُذكر عزّ وجلّ المؤمنين الذين صدقوا بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن لا يتخذوا من أهل الكتاب أولياء وهم قد اتخذوا من قبل الإسلام هزوًا ولم يؤمنوا بهِ وإن بدوا لكم المودة والتقرب والصداقة فهم لا يريدون الخير لهم فهم على كفرهم واستهزائهم مستمرون ويريدون

الإيقاع بهم وبدينهم فلا يجوز للمؤمنين طاعتهم أو إتّباعهم لأنّهم يظهرون الإيمان للمؤمنين ويبطنون الكفر ... [١] .

أي لا يصح أن يوالي المؤمنون الكافرين من أهل الكتاب الذين هم يستهزؤون بالإسلام ولا يتخذوهم أولياء لهم وأن يتقوا الله تعالى في موالاتهم لهؤلاء الجماعة ؛ لأنّ المؤمن الحقيقي يرفض موالاة أعداء الدين الذين يكفرون بالنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وبما جاء بهِ[٢].

تأكيد من الله تعالى ونهي على عدم مولاة الكافرين من أهل الكتاب الذين يظهرون الإيمان وبطنون الكفر فذلك تلاعب واستهزاء منهم بالدين الإسلاميّ ، ويدعو الخطاب الوارد في الآية الكريمة المؤمنين بتقوى الله تعالى في موالاة الكافرين ويبيّن وعيد الله تعالى لمن يوالي أعداء الدين ويذكرهم بأنّ تولي هؤلاء الكفرة ليس من صفات المؤمن فالمؤمن يكون حريصًا على دينه ولا يرضى أن يطعن بهِ [٣] .

في الآية تنفير من تولي الكتابيين أعداء الإسلام والمسلمين الذين يستهزئون بالشريعة المقدسة فيوصي الله تعالى عباده بالتقوى في اتخاذ الأعداء وطاعتهم وموالاتهم لعدم إيمانهم وجعلهم شريعة الله هزوًا ولعبًا فلا تقارب معهم ولا توادد لهم [٤] .

نهى الله تعالى من اتخاذ اليهود والمشركين أولياء وقد أوضحت الآية أنّ سبب ذلك كونهم اتخذوا دين الله هزوًا ولعبًا والمعني بالهزؤ واللعب هم اليهود على وجه الخصوص فلا يوالي

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٨ / ٥٣٣ .

(٢)ظ : الزمخشري / الكشاف ، ٢ / ٢٥٩- ٢٦٠ .

(٣)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٣ / ٢٩٩- ٣٠٠ .

(٤)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ١٤٠ .

المؤمنون اليهود والمشركين لعدم إيمانهم بدين الله تعالى [١] .

الخطاب فيه نهي عن موالاة الذين يستهزئون بالدين والخطاب شامل للجميع ومن بينهم أهل الكتاب وعلى المؤمنين تقوى الله تعالى في تولي أهل الكتاب الكفار فالإيمان يقتضي على العبد عدم موالاة أعداء الإسلام والمسلمين [٢] .

في الآية استئناف لما سبق من كلام في هذا الشأن وهو تأكيد لعدم مولاة أهل الكتاب وتحذير من توليهم لأنّهم يستخفون ويستهزئون بدين الله ، وتؤكد الآية على تقوى الله في موالاتهم وزيادة في التحذير وأُريد بالموالاة هنا المولاة التامة بكلّ الأمور ، فمن يتولاهم كان منهم ومعهم [٣] .

أي عدم موالاة أعداء الدين من أهل الكتاب الذين يستهزئون بشريعة الإسلام المطهرة ويتخذون منها لعبًا وهزوًا فالخطاب إلى المؤمنين بعدم موالاة الكفار من اليهود والنصارى الذين يستهزئون بالدين ولم يؤمنوا بهِ ولم يصدقوا بما جاء بهِ وعليكم بتقوى الله تعالى والخوف من عذابهِ وعقابهِ إن كنتم صادقي الإيمان وتعرفون حدود الله ملتزمين بما جاء بالشريعة المقدسة التي اتخذها أولئك هزوًا [٤].

ينهى الله تعالى المؤمنين عن تولي الكافرين من أهل الكتاب فهو تنبيه لهم لما يحمل هؤلاء من الروح العدوانية تجاه المسلمين فقد يستعملوها أداة لضرب الإسلام والمسلمين كما أنّه ليس من المناسب موالاة أعداء الإسلام أو إقامة العلاقات معهم لأنّ أي علاقة لابد أن تقوم على

---

(١)ظ : القرطبيّ /الجامع لأحكام القرآن ، ٦ / ٢٢٣ .

(٢)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ٢/ ٧٦ .

(٣)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٦ / ٢٤٢ .

(٤)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٣ / ٥٩٥-٥٩٦ .

الاحترام المتبادل فيما بينهم والمحبة والألفة وليس السخرية والاستهزاء بالدين وبالشعائر ، فذلك يؤثر في إيمان العبد وشخصيته وإضعافه أمامهم ... [1] .

في الآية نهي للمؤمنين من موالاة الكافرين من أهل الكتاب على وجه الخصوص وعدم إطاعتهم أو إتباعهم أو قبول نصرتهم وقد بيّنت الآية الكريمة من أسباب المنع التي توجب عدم طاعتهم وموالاتهم هي كفرهم بما جاءت بهِ الشريعة الإسلامية المقدسة واتخاذ دين الله هزوًا ولعبًا فمن يهزأ بدينك فحتمًا سيهزأ بك ولا يريد لك الخير والصلاح وتولي هؤلاء هو مخالفة لأوامر الله تعالى التي أوجب في الكثير من الخطابات القرآنية بتولي المؤمنين لمن صدق وآمن وعمل صالحًا وكان قلبه مطمئنًا ومخلصًا لله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) متبعًا للشريعة الإسلامية فإتباع أهل الكفر والنفاق من أهل الكتاب يؤدي بالعبد إلى الضلال والوقوع في المحظور وإتباع أهواءهم الفاسدة التي لا تريد الخير للإسلام والمسلمين فواجب الابتعاد عنهم ، وتأكيد للمؤمنين الذين يطيعون المليين ، وإنّ من لم يبتعد عن ذلك فقد سقط إيمانه وكان منهم ، وقد أشارت الآية الكريمة إلى مستوى من المستويات الإيمانية ضمن الإيمان المقترن بالتحوّل السلبيّ وهو الإيمان المقترن بطاعة بعض المليين ، وهو إيمان تراجعي كون الآية تتحدث عن المؤمنين الذين تولوا الذين اتخذوا دين الله هزوا وهنا عنى بهِ أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا وكان يستهزئون بدين الله تعالى ويتعالون عن الإيمان بهِ .

(١) ظ: محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٨ / ٢٣٤-٢٣٥ .

المطلب الرابع : إتّباع غير سبيل المؤمنين بعد التبيّن .

١ – قال تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ آل عمران: ٢٨.

تتحدث الآية الكريمة عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي وهو إتّباع غير سبيل المؤمنين بعد الإيمان وهو إيمان تراجعي .

نهى الله تعالى المؤمنين من اتخاذ الكافرين عونًا وأنصارًا ويظاهرون إليهم من دون المؤمنين ومن يوالي الكفار فالله بريء منه ؛ لأنّه قد ارتد عن دينهِ بموالاته لهم ويصبح كافرًا مثلهم إلّا أن يكون تحت سلطانهم فيُظهر لهم التقية فلا تصحّ موالاة المؤمنين للكافرين دون المؤمنين من إخوانهم ...[١].

أي إنّ الولاية لا تكون إلّا للمؤمنين فلا يحقّ لكم موالاة الكافرين فمكان المؤمن العلو ومكان الكافر الدنو ، فلا يجوز لكم التقرب من الكفار أو ملاطفتهم ولا اتخاذهم بالملاينة إنّما مقابلتهم بالغلظة والجفوة فلا يتخذ غير أهل التقوى أولياء الذين اتبعوا سبيل الهدى والنهي عن موالاة غيرهم [٢] .

---

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٥ / ٣١٥ .

(٢)ظ: الطوسيّ / التبيان ، ٢ / ٤٣٤ .

أي إنّ الله سبحانه نهى عباده المؤمنين من موالاة الكافرين فلا يتقربون إليهم بالتودد والنصرة دون إخوتهم المؤمنين ، وقد وعد الله تعالى كل من يوالي الكافرين أنّه بريء منه وسيخرج من ولايته عزّ وجلّ ؛ لأنّه خالف ما أمره بهِ [١] .

أي إنّ ولاية المؤمنين مقدمة على ولاية الكافرين فليس لكم أن تؤثروهم على المؤمنين ومن يوالي الكافرين فقد خرج من ولاية الله تعالى وانسلخ عنها ، فموالاة الوليّ مع موالاة عدوهِ لا تجتمعان ومتنافيتان ، إلّا الموالاة ظاهرًا لأجل التقية للخوف منهم مع وجود العداوة في القلب[٢].

نهى الله تعالى المؤمنين من موالاة من لا عزيز لهم لتكون الرغبة في موالاة المؤمنين دون الكافرين ونهى عن التودد لهم أو طاعتهم أو إتباعهم فالله ولي المؤمنين والكافرين لا ولي لهم[٣].

أي النهي عن موالاة الكفار لأنّ المؤمنين أحقّ بالموالاة دون الكافرين فلا قرابة ولا صداقة تُبِيح موالاة أهل الكفر أو الاستعانة بهم فكلّ الأمور الدينية ومن يوالي الكفار فليس من الله بشيء كونهم أعداء الله وموالاة المتعادين لا يجتمعان [٤] .

لم يكتف الله تعالى عن نهي المؤمنين بموالاة الكافرين واعتباره محرم فحسب إنّما عدّه كفرًا ،

---

(١)ظ: ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ٣٠ .

(٢)ظ: الزمخشريّ /الكشاف ، ١/ ٥٤٤-٥٤٥.

(٣)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٢ / ٢٢١ .

(٤)ظ : البيضاويّ /أنوار التنزيل ، ٢ / ١٢ .

كما أنّ الله سبحانه بريء من الذي يوالي الكفار ويصبح منهم كما ورد في الآيات القرآنية الأخرى [١] .

اتخاذ الكفار أولياء معناه الامتزاج الروحي معهم وهو ما يؤدي إلى مطاوعتهم وتأثيرهم في الشخص في كلّ ما يخصّه وفي جميع تصرفاته لذا جاءت الآية لتبيّن أنّه لا يجوز موالاة الكفار وتقديمهم على المؤمنين حتى لا يقع المؤمن تحت طوعهم والتسليم لهم والركون لهم والتواصل معهم بمقابل الانفصال عن إخوتهم المؤمنين لذا نهى القرآن عن موالاة الكافرين أو مطاوعتهم [٢] .

نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة الكفار وقد توعدهم بأنّ من يواليهم فقد خرج من الإيمان ، فلا يوالي المؤمن كافرًا لقرابة أو صداقة أو جوار وإن كان بينهم مصلحة خاصة فلا يعطيه الحقّ بموالاته فالمصلحة العامة أوجب ومولاة المؤمنين أحقّ فواجب المؤمن يوالي أخاه المؤمن ، فالموالاة بالرضا تعني قبول الآخر وتولي الكافر تعني القبول بكفره فمن يواليهم يصبح منهم ... [٣] .

في الآية درس سياسي واجتماعي مهم فيه تحذير للمؤمن بعدم اتخاذ أعداء الدين أولياء في صداقة أو حماة أو عون له وعدم الانخداع بالمظاهر الكاذبة التي يبديها أعداء الدين كالتظاهر بالمحبة أو التودد فيجب الحذر منهم وعدم الوثوق بهم ويوجب تولي المؤمنين منهم

---

(١)ظ : محمد جواد مغنية / تفسير الكاشف ، ٢ / ٣٩ .

(٢)ظ : محمد حسين الطباطبائيّ / الميزان ، ٣ / ١٧٤ – ١٧٥ .

(٣)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٢ / ٢١٦ – ٢١٧ .

فهم الأصح بالولاية [1] .

الخطاب الوارد في الآية الكريمة ينهى عن إتّباع غير سبيل المؤمنين بعد التبيّن من الحق والدخول في الإيمان فالآية القرآنية تبين إنّ من كان مؤمنًا ودخل الإيمان قلبه فلا يحقّ له أنّ يتبع سبيلًا غير الذي فيه رضا الله تعالى ولا رضا لله تعالى إلّا بإتباع سبيل الحقّ وسبيل الحقّ معروف وجليّ وهو طريق الإيمان الصحيح وهذا ما أوجدته الشريعة المقدسة بموالاة المؤمنين لا موالاة المخالفين للشريعة الإسلامية كالكفار والمشركين فهذا يتنافى مع الإيمان القلبيّ للعبد وفي الآية يظهر مستوى من المستويات الإيمانية هو التحوّل السلبيّ بإتباع غير سبيل المؤمنين بعد التبيّن ضمن الإيمان المقترن بالتحوّل السلبيّ ، أي إيمان تراجعي وهو أنّ المؤمن بعد أن تبيّنت له الحقيقة وصدق بها وأصبح مؤمنًا يتبع سبيل غير المؤمنين من خلال موالاتهم أو التقرب إليهم لأجل المصالح الخاصة أو غيرها .

٢- قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٩ .

إنّ الآية تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي وهو إطاعة غير سبيل المؤمنين بعد الإيمان وهو إيمان تراجعي .

نهى الله تعالى المؤمنين من إطاعة أهل الكفر الذين جحدوا بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كلّ شيء حتى لا يردوهم عن دينهم بعد إيمانهم ، فيجب عدم تصديقهم ولا الأخذ بنصيحتهم فيخسروا دنياهم وآخرتهم [2] .

---

(١)ظ: ناصر مكارم الشيرازيّ /الأمثل ، ٢ / ٢٤٥ .

(٢)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٦ / ١٢٤-١٢٥ .

الخطاب إلى المؤمنين في تحذير من طاعة الكافرين ويبين أنّهم لو أطاعوهم لردّوهم إلى الكفر وقد ورد قولان من المقصود بالكافرين فالأوّل قيل : هم أهل الكتاب والقول الآخر: هم مشركو قريش ، ومعنى الطاعة في الآية هي التسليم لإرادتهم المرغبة بالفعل[١] .

أمرٌ من الله تعالى إلى عباده المؤمنين يحذر فيه من طاعة أهل الكفر والمنافقين فطاعة هؤلاء تورث لهم الخزي والخسران في الدنيا والآخرة [٢] .

يحذر الله تعالى عباده المؤمنين من طاعة الكافرين وقد ورد فيهم ثلاثة معاني الأوّل : هم مشركو قريش ، والثاني : هم أهل الكتاب ، والثالث : هم المنافقون ، ويذكر الله تعالى عاقبة من يطيع هؤلاء ويمتثل لأوامرهم ويسمع كلامهم فسوف يرجعونهم كفارًا فيرتدوا عن دينهم فيخذلونهم ولا ينصرونهم [٣] .

الطاعة في مضمونها تطلق على الامتثال للأوامر وعلى الدخول تحت حكم الغالب ، لذا تحذر الآية الكريمة المؤمنين من طاعة الكافرين والدخول تحت طاعتهم لأنّ ذلك سيقودهم إلى الارتداد والرجوع إلى الكفر ويخرجوا من موالاة الله إلى موالاة الكفار[٤].

تحذير من الله تعالى من طاعة الكافرين والمنافقين ففي طاعتهم ذلّ وهوان في الدنيا والآخرة ومن يطيعهم سوف يرجعونه كافرًا بعد إيمانه فيخسروا الدنيا بذل الكفر بعد أن أعزهم الإسلام ويحرمهم الله نعيم الآخرة الذي أعدّه للمؤمنين الذين يعملون الصالحات وينال العذاب والعقاب

---

(١)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٣ / ١٤ .

(٢)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ١٣١ .

(٣)ظ : الشوكانيّ/ فتح القدير ، ١/ ٦٣٣ .

(٤)ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٤/ ١٢٢ .

الذي وعد الله تعالى بهِ الكافرين وهو نار جهنم خالدين فيها [1].

تحذير عباد الله المؤمنين من إطاعة الكافرين وتبيّن الآية أنّ إطاعتهم معناها العودة إلى الجاهلية بعد أن مَنَّ الله عليهم بنعمة الإسلام وفي ظل تعاليمه السمحاء فإطاعة الكفار تُلقِي بهم إلى الحضيض والسقوط في العادات السيئة والفساد وما يترتب عليها من آثار فتكون خسارتهم كبيرة من الإيمان إلى الكفر ومن النور إلى الظلام ومن الهدى إلى الضلال وهذا هو الخسران المبين [2] .

الخطاب الوارد في الآية الكريمة تحذير وتوجيه إلى المؤمنين الذين مَنَّ الله عليهم بأن جعلهم من أهل الإيمان بعد أن كانوا من أهل الكفر يحذرهم من الوقوع بمنزلق الكفر والردّة وذلك إذا ما أطاعوا الذين كفروا والمنافقين واتبعوهم بكلّ خطواتهم وتوجهاتهم فيكيدوا بهم ويرجعوهم إلى الكفر بعد الإيمان وهذا ما يريد الله تعالى تحذيرهم منه ويدعوهم لتجنب ذلك الأمر قبل الوقوع بالخطيئة والمحظور فالله يريد من عبادهِ طاعته والدوام على إتّباعه حتى يثيبهم ما وعدهم بهِ، ويريد الكافرون لهم الشرّ والمهالك ليكونوا على ملّتهم الكافرة ، فالآية تبيّن مستوى من المستويات الإيمانية ضمن التحوّل السلبيّ وهو إتّباع غير سبيل المؤمنين بعد التبيّن وغير سبيل المؤمنين هو إطاعة الكافرين والمنافقين وهو إيمان تراجعي .

٣ – قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴾ النساء: ١٤٤.

(١)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٢/ ٤٤٨ .

(٢)ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ٢ / ٤٦٠–٤٦١ .

الآية الكريمة تظهر مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي وهو التحوّل من الإيمان إلى إتّباع غير سبيل المؤمنين أي إيمان تراجعي .

الخطاب الذي في الآية خاصّ للمؤمنين ينهاهم الله تعالى اتخاذ الكفار أولياء لهم وعدم مناصرتهم دون إخوانهم المؤمنين ومن يفعل ذلك فقد كان مثلهم لأنّه موالي لأعداء الله سبحانه ... [١] .

أي لا تتخذوا الكافرين انصارًا لكم فتكونوا مثلهم ومن يفعل ذلك فقد أقام الحجّة على نفسه فيعاقبه الله تعالى بما فعل وعلى وفق استحقاقه وعلى معاصيه لأنّه لا حجّة على الناس لولا ذنوبهم [٢] .

ينهى الله تعالى المؤمنين من اتخاذ الكفار أولياء لهم من دون المؤمنين أي مصاحبتهم وإقامة العلاقات المتبادلة معهم وسرّهم والتقرب بالمودة لهم ، وقد حذر الله تعالى من عواقب ذلك الأمر وهي العقوبة المناسبة التي فرضها الله على الكافرين وهي حجّة عليهم كونهم خالفوا أمر الله سبحانه [٣] .

أي لا تجعلوا الكافرين خاصّة لكم ولا توالوهم دون عن إخوانكم في الإيمان كما يفعل المنافقون بموالاتهم الكفار ، ومن يفعل ذلك فقد جعل الحجّة على نفسه ليستحق العذاب لأنّه

---

(١)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٣ / ٣٦٧ .

(٢)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٣ / ١٨٦ .

(٣)ظ: ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٤٤١ .

لم يطبق ما نهى الله تعالى عنه بموالاة الكافرين [١] .

أي يخاطب المؤمنين على عدم إتّباع سلوك المنافقين ويحذرهم من تولي الكافرين دون المؤمنين وترك عادات المجتمع الجاهلي حتى وإن كان بينهم وبين الكافرين قرابة أو صلة رحم فلا يعطي العذر بموالاتهم [٢] .

نهى الله تعالى المؤمنين عن الاتصال بولاية الكافرين وترك ولاية المؤمنين فيعظ المؤمنين بعدم التقرب من ذلك المرض حتى لا يتعرضوا لغضب الله وعقوبته ولا يجعلوا على أنفسهم حجّة في ذلك [٣] .

يحذر الله عزّ وجلّ عباده المؤمنين من القيام بفعل المنافقين أي عدم موالاة أهل الكفر دون المؤمنين فلا يتخذوهم أنصارًا ولا عونًا وعدم مصاحبتهم ويحذرهم من عقوبة من يرتكب ذلك الفعل بعدد نهي الله تعالى لهم [٤] .

في الآية لفتاتٌ ففيها دعوة للمؤمنين بالابتعاد عن أساليب وأعمال المنافقين وأن يتمسكوا بموالاتهم المؤمنين أمّا الكفار فهم أعداء العقيدة الإسلامية فيجيب الابتعاد عنهم وتركهم وعدم التمسك بهم ؛ لأنّ ذلك هو النفاق بعينهِ فالالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة تفرض الالتزام بنتائجها وفي مقدمة ذلك الموالاة لأولياء الله تعالى والتبريء والمعاداة لأعداد الله ، ثم

---

(١)ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ١ / ٨٣٦ .

(٢)ظ : سيد قطب / في ظلال القرآن ، ٥/ ٧٨٥ .

(٣)ظ : محمد حسين الطباطبائيّ / الميزان ، ٥ / ١١٩ –١٢٠ .

(٤)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٣/ ٣٤١ .

مخاطبة المؤمنين بأسلوب التهديد والوعيد لمن يخالف تعاليم الله ويجعل عليهم الحجّة في تطبيق العقوبة للمخالف لشريعة الله تعالى [١] .

أيّ إنسانٍ لا يمكنه منح الولاء لجهتين متضادتين فهو إمّا يكون مواليًا للمؤمنين أو مواليًا للكافرين لذا فإن والى المؤمنين الكافرين فسيقطع ولاءه عن إخوانه المؤمنين لذا فلا يمكنه جمع ولاءه للمؤمنين وولاءه للكفار في آنٍ واحد [٢] .

الخطاب الوارد في الآية الكريمة دعوة وتحذير للمؤمنين ونهي عن اختيارهم لموالاة الكافرين دون المؤمنين فهو أمر مخالف للشريعة الإسلامية ولما امرهم الله بهِ فالمؤمنين من إخوانهم أحقّ بالولاية والقرآن الكريم في كثير من المواضع يوجه المؤمنين بموالاة المؤمنين فيما بينهم لأنّ موالاة الكافرين معناها الانخراط معهم والاختلاط بهم والتوجه بتوجهاتهم وإتباعهم والرضا عنهم وهذهِ الأمور تؤدي بصاحبها إلى الوقوع بالكفر وبذلك يقيم الحجّة على نفسه في استحقاق العقوبة الإلهية والعذاب الذي أعدّه الله للكافرين ، فيظهر في الآية مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبيّ التي حدّدها القرآن الكريم وهو إتّباع غير سبيل المؤمنين بعد التبيّن من حقيقة الإيمان والموالاة للمؤمنين ونقض موالاة الكافرين وهو إيمان تراجعي .

---

(١) ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٧/ ٥٢٠ .

(٢) ظ : محمد تقي المدرسيّ /من هدى القرآن ، ٢/ ٢٣١ .

المطلب الخامس : الإيمان البعضي مع الكفر البعضي .

وقد عنى بهِ من الذين يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفرون ببعض أو الذين يؤمنون ببعض الكتب السماوية ويكفرون ببعضها ، أو من هم يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض ، وهذا ما جعله القرآن الكريم كفرًا كونه ليس من الإيمان بشيء إنّما الإيمان هو من آمن بالشريعة الإلهية وما جاء فيها وهو عدم التفريق بين الكتب السماوية لأنّ مصدرها إلهي وعدم التفريق بين الرسل والأنبياء لأنّ مرجعهم واحد وهو الله تعالى لذا يجب الإيمان بكلّ ما جاء من عند الله عزّ وجلّ.

١ – قال تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ٨٥ .

الآية الكريمة تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي وهو الإيمان البعضي مع الكفر البعضي وهو إيمان تراجعي. أي أنّكم تؤمنون ببعض الكتاب الذي فرضت عليكم فيه الفرائض وبينت الحدود وقد أخذت عليكم الميثاق للعمل بما فيه فتصدقون بما هو فيه مصلحتكم وتكفرون ببعضه فتجحدون بما لا يتناسب مع أهوائكم ونواياكم ، وقد علمتم أنّ الكفر ببعضه هو نقض لعهد الله وميثاقهِ الذي قطعتموه [١] .

(١)ظ : الطبرسيّ /مجمع البيان ، ١ / ٢١٠ .

في الآية استفهام إنكاري للتوبيخ إذ أتوا ببعض الواجب وتركوا بعضًا ، وقيل يستعملون بعضه ويتركون بعضه [١] .

إنّما هي ازدواجية ودعوى الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض وهي أمارة على مرض القلب أو الشكّ أو الخوف وهم ظلمة ، ويمكن القول أنّهم كفرة لا لأنّهم يؤمنون ويطبقون بعض الأحكام إنّما تطبيقهم الأحكام كان وفق أهوائهم وميولهم ونفسهم العنصرية فلا يوجد لديهم إيمان بالوحي ولا بالله تعالى [٢] .

تجزئة أحكام الله تعالى بالأخذ ببعضها وقبوله وترك بعضها الآخر ورفضه والإعراض عنه هو كفر بجميع الأحكام الإلهية وهذا ما جاءت بهِ الشرائع السماوية السابقة واللاحقة وآخرها الشريعة الإسلامية المقدسة [٣] .

الالتزام بالكتاب السماوي يفرض على العباد الالتزام بمفاهيمه ومواقفه وتشريعاته فهو القاعدة الأساسية التي ينطلق منها التفكير والموقف والعمل ، فالأخذ ببعض الكتاب والكفر ببعضٍ آخر إنّما هو تشويه للصورة الحقيقية للفكرة وهذا ما يوجد منه بالواقع عند بعض الحكام عندما يطبقون بعض أحكام الحدود في العقوبات ويتركون الأحكام الأخرى الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية منها ، وهذا ما يعطي الصورة المشوهة عن الدين الإسلامي من خلال صعوبة الحياة والتشريع الصعب ، وهذا ما يمثل الازدواجية بين العقدة الذاتية وبين

---

(١)ظ : أبو حيّان / البحر المحيط ، ١ / ٤٢٦ .

(٢)ظ : عبد الله الجوادي الآملي / تفسير تسنيم ، ٥ / ٤٧٨ .

(٣)ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ١/ ٢٣٨ .

الهيكلية الاجتماعية ... [1] .

تعدّ الازدواجية في النفس الإنسانية عند الالتزام بأحكام الله عمل مهم من عوامل سقوط المجتمع فالأفراد يعملون وفق مصالحهم الذاتية فلا يطبقون إلّا القوانين التي تحفظ لهم المنافع والمكاسب الشخصية ويستغنون عن الأحكام التي تنفع المجتمع وهذا ما يسبب السقوط وانحدار الأمم وهو ما أراد بيانه القرآن الكريم من خلال هكذا خطابات تبيّن تأثير عدم تطبيق الشرائع [2] .

إنّ غاية ما جاءت بهِ الكتب السماوية من شرائع إنّما هو تكامل الإنسان وتنظيم حياته فكلّ الشرائع السماوية السابقة إنّما جاءت مكملة لبعضها البعض حتى آخر شريعة سماوية وكتابها القرآن الكريم جاءت شاملة لكلّ تلك الشرائع شارحة لكلّ صغيرة وكبيرة تنظم حياة المجتمع وتقوّم الفرد ، لذا فتطبيق جميع الأحكام والقوانين الواردة في الشرائع السماوية لأجل أن تحقق العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد وتحقق الصورة المثالية للمجتمع الحضاري المتمدن فالإسلام الذي يعدّ خاتم الأديان إنّما جاء للقضاء على مظاهر الجاهلية والعادات السيئة المسيطرة على المجتمعات فأراد الانتقال بالإنسان نحو السعادة والطمأنينة ولأجل تحقيق ذلك لابد من تطبيق جميع الأحكام لا أن يطبق بعضها ويترك بعضها الآخر فهذا كفر بالشريعة السماوية وعدم تطبيق لأمر الله تعالى إنّما تطبيقها يكون وفق هوى النفس وميولها وهذا مالا ترضاه الشريعة الإلهية .

---

(١) ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٢ / ١١٢ .

(٢) ظ : ناصر مكارم الشيرازيّ / الأمثل ، ١/ ٢٣٨.

وهذا ما تحدثت به الآية الكريمة وأشارت إليه وهو الإيمان ببعض والكفر ببعض ، فيظهر جليًّا مستوى من المستويات الإيمانية وهو التحوّل السلبي فبعد الإيمان الكلي بما جاء من عند الله يصبح إيمان ببعضٍ مع الكفر ببعض وهذا الأمر خروج عن الإيمان وتحوّل من الإيمان إلى الكفر وهو إيمان تراجعي .

٢- قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ النساء: ١٥٠ .

الآية الكريمة تتحدث عن مستوى من المستويات الإيمانية وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي (الإيمان البعضي مع الكفر البعضي) وهو إيمان تراجعي .

وقصد من أهل الكتاب الذين يريدون الكفر ببعض الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى خلقه وبوحيه ويزعمون بأنّ الله لم يرسلهم وأنّ الرسل قد افتروا على الله وهو معنى القول التفريق بين الله ورسله فهذا كذب على الله تعالى وفِرْيَة عليه وأباطيل فيقولون نصدق بهذا ونكذب بذلك كما فعل اليهود من قبل والنصارى بتكذيبهم لرسولنا (صلى الله عليه وآله وسلم) [١] .

الآية فيها إخبار عن الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ويجحدون ببعض ويردون من ذلك التفرقة بين الرسل أي يصدقون بهذا ويكفرون بهذا وهؤلاء شأنهم شأن اليهود والنصارى فهم لا يختلفون عنهم فيتخذوا من ذلك طريق إلى الضلالة التي أحدثوها والبدعة التي ابتدعوها وهي دعوة يخدعون بها الجهلة من الناس ثم تحكم عليهم الآية التي بعدها أنّ هؤلاء هم

(١)ظ : الطبريّ / جامع البيان ، ٧ / ٦٣٤ .

الكفار حقًّا وهو على وجه التأكيد لئلًا يتوهم بهم أحدٌ فيُخرجهم من جنس الكافرين ويلحقهم بالمؤمنين [١] .

تبيّن الآية الكريمة أنّ الكفر برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو كفر بكلّ الرسل عليهم السلام فلا فرق بينهم وإن جميع الأنبياء الذين سبقوه دعوا أقوامهم للإيمان برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبجميع الأنبياء عليهم السلام ، فالتفريق بين الله ورسله أي بين الإيمان بالله والإيمان بالرسل وهذا التفريق يعدّ كفرًا صريحًا ؛ لأنّ الله تعالى فرض على الناس في شريعته أن يعبدوه وفق ما أتاهم بهِ الرسل من شرائع فإن جحدوا الرسل فقد ردّوا شرائع الله عزّ وجلّ ولم يقبلوها منهم وهذا امتناع عن الالتزام بالعبودية التي أمرهم الله تعالى بتطبيقها[٢].

الوعيد من الله سبحانه للذين يكفرون بهِ وبرسلهِ من أهل الكتاب فقد فرقوا بينه تعالى وبين رسله في الإيمان فآمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض بما دعتهم بهِ أنفسهم وما ساروا عليه بتقليد آبائهم ، فالمقصود أنّ كلّ من يكفر بنبيّ من الأنبياء فقد كفر بسائر الرسل والأنبياء فالإيمان يتطلب أن يؤمن الإنسان بهم جميعًا ولا يفرق بين أحدٍ منهم وهذا هو الإيمان الحقيقي [٣] .

في الآية ذكر للكفار من أهل الكتاب لأنّهم كفوا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكأن هذا كالذي يكفر بجميع الرسل والكتب السماوية النازلة عليهم والذي يكفر ببعض الرسل

---

(١)ظ : الطوسيّ / التبيان ، ٣ / ٣٤٧ –وظ: الطبرسيّ /مجمع البيان ، ٣ / ١٨٩–١٩٠ .

(٢)ظ: القرطبيّ / الجامع لأحكام القرآن ، ٦/ ٥ .

(٣)ظ : ابن كثير / تفسير القرآن العظم ، ٢ / ٤٤٥ .

وكتبهم السماوية فقد كفر بالله تعالى ، فهم لم يكفروا بالله ولا بجميع الرسل لكنهم كفروا ببعض فكان ذلك تفريق بين الله تعالى وبين الرسل [١].

الكفر ببعض الرسل والإيمان ببعض هي تفرقة بين الله تعالى وبين رسله فكيف يكون الإيمان بهِ غير مرتبط بالإيمان بالله تعالى والكفر بهِ غير مرتبط بهِ تعالى بل إنّ الإيمان بالله إنّما هو إيمان برسله والكفر بالرسل ورسالاتهم إنّما هو كفر بالله ...[٢] .

يتوعد الله عزّ وجلّ الذين يكفرون بهِ وبرسلهِ فقد فرقوا بين الإيمان بالله تعالى والإيمان بالرسل والأنبياء فآمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم تعصبًا منهم وساروا وفق أهوائهم وشهواتهم فالإيمان بجميع الأنبياء واجب في صحة الإيمان ومن يفعل ذلك فقد وسّمه الله تعالى بالكافر لأنّه خالف شرع الله تعالى [٣] .

توجد علاقة بين الناس وبين الرسل وهذه العلاقة ليست علاقة شخصية بالمعنى الأصح إنّما هي علاقة بين الناس وبين الله ، لأنّ الرسل لا يمثلون أنفسهم من خلال دعواتهم ورسالاتهم إنّما يمثلون الخط الإلهي والشريعة الربّانية المقدسة التي كلفهم الله بها ليبلغوها للناس وقد أمر الله تعالى بالإيمان بالرسل كلهم دون استثناء لرسولٍ دون غيره فكل ما يقدموه للناس إنّما هو بأوامر من الله وهم حجج الله على خلقهِ فكيف للإنسان أن يتجاوز حجّة من تلك الحجج فهذا يعدّ الكفر بعينهِ ، فالراد على الرسول رادّ على الله والناكر لدعوته ناكر دعوة الله[٤] .

---

(١) ظ : الشوكانيّ / فتح القدير ، ١/ ٨٣٩-٨٤٠ .

(٢) ظ : محمد حسين الطباطبائيّ / الميزان ، ٥ / ١٢٨ .

(٣) ظ : وهبة الزحيليّ / التفسير المنير ، ٣ / ٣٥٦ .

(٤) ظ : محمد حسين فضل الله / من وحي القرآن ، ٧ / ٥٢٨ .

الذين يأخذون ببعض رسالات الله فيأخذون بما يلائم توجهاتهم ومصالحهم ويتركون ما يخالفها إنّما يعبدون مصالحهم ولا يعبدون الله لذلك فهم الكافرون حقًّا [1].

من الأمور المهمة التي عنت بها الشريعة الإسلامية في الجانب العقدي والذي من خلالها

يتبيّن صحّة إيمان العبد من عدمه هو الإيمان بالرسل والانبياء والكتب المنزلة عليهم فإنّ من شروط صحة الاعتقاد هو أن يؤمن العبد بجميع الرسل والأنبياء وأنّهم مرسلون من عند الله دون التفريق بينهم والاعتقاد بأنّ كتبهم التي عندهم هي من الله تعالى ومن يعتقد بغير ذلك فقد كفر وهذا أساس لكلّ من يريد أن يثبت صحة إيمانه ، أمّا من يؤمن ببعضٍ ويكفر ببعضٍ فهذا لا يصح ولا يجوز لهُ ذلك وفي حكم الشرع هو كافر كما جاء في الدستور الإلهيّ (القرآن الكريم) الذي بيّن ذلك وكذلك ما ورد على لسان الأنبياء والرسل من قبل فهم امتداد واحد وخط واحد حتى يصل لخاتم الأنبياء والرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا ما أرادت به الآيات الكريمة لتكون الحجّة واضحة على جميع الخلق ، ويظهر مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وهو مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم وبيّنتها الآية الكريمة وهو الإيمان المقترن بالتحوّل السلبيّ أي الإيمان البعضي مع الكفر البعضي ، وهذا لا يعد إيمانًا حقيقيًا إنّما شأنه شأن الكفر.

بلحاظ ما تقدم في هذا الفصل فإنّ القرآن الكريم قد حشد النصوص القرآنية لبيان مستوى إيماني وهو التحوّل الإيجابي والسلبي وفي إشارة واضحة لتلك النصوص فقد قسمها لعدّة فئات من الناس باختلاف تحوّلهم الإيماني – الإيجابي والسلبي – فأثنى على التحوّل الإيجابي ووعدهم بخير الجزاء ، ومتوعدًا من كان تحوّله سلبيًا وتذكيره بالعقاب والخسران

---

(١)ظ : محمد تقي المدرسيّ /من هدى القرآن ، ٢ / ٢٣٨ .

الذي سوف يحلّ بهِ لمخالفته أمر الله تعالى ، فكانت النصوص القرآنية ترسم صورة تلك التحولات فأساسها صورتان رئيسيتان هما الإيجابي والسلبي ، وتتبع من تلك الصورتين صور عدّة تمثل كلّ فئة مجموعة من الناس بعضهم تحوّله إيجابي يصعد من الضلالة إلى الهداية فهو تصاعديًا وبعضهم تحوّله سلبي على العكس من ذلك فتراجع من الهداية إلى الضلالة فكان إيمانه تراجعيًا .

الخَـاتِـمَـــــــــةُ

والـنَّـتَـائِـجُ

الخَـاتِمَـــــةُ والنَّتَـائِجُ

بعد أن مَنَّ الله عليّ أن أكمل فصول أطروحتي ، آن الأوانُ أن أضع خاتمةَ عملي تشتمل على نتائج وملخص بما توصلت إليه من فصول هذه الدراسة :

١ – الإيمان على وفق المفهوم اللغوي ورد بثلاثة معاني هي الأمن ضد الخوف والأمانة وهي ضد الخيانة وثالثهما التصديق الذي يتقارب مع معناه الاصطلاحي عند أغلب العلماء.

٢ – أمّا الإيمان بالمفهوم القرآني فإنّه يدور وفق قطبين : الأوّل هو التصديق والآخر هو العمل والالتزام بالعمل ، أي : ما يقوم الإنسان بهِ من أعمال إيمانية تثبت على أنّه مؤمن.

٣– إنّ القرآن الكريم قدّم لنا رؤية متكاملة عن الإيمان فهو ليس مستوًى واحدًا ، وإنّما مستويات متعدّدة ، ناظرة إلى التزام المؤمن بما يَصْدُرُ له ، وبما يَصْدِر عنه .

٤ – الرؤية القرآنية للمستويات الإيمانية تكون على مراحل متفاوتة من درجات الإيمان بدءًا من تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي الذي يعدّ أبسط درجات الإيمان إلى المقترن بالعمل الصالح ثم التقوى الذي يكون أعلى درجة من الإيمان المقترن بالعمل الصالح ، وهذا الإيمان إمّا أن يكون مجردًا أو مقرونًا ، كما أنّ الإيمان يصبح مطمئنًا تارة ويصبح تصاعديًا أو تراجعيًا تارة وكلّ له أجره عند الله تعالى ومكانته التي يستحق عليها الثواب .

٥– بعد إحصائية متكاملة لما ورد في هذه الأطروحة من الآيات القرآنية التي تخصّ كل مستوى من المستويات الإيمانية التي حدّدها القرآن الكريم فالنتيجة كانت أنّ المستوى الإيماني المقترن بالأوامر قد احتوى على اثنتا عشرة آية ، واحتوى الإيمان المقترن بالنّواهي على ثمان آيات ، واحتوى الإيمان المقترن بالعمل على سبع آيات ، واحتوى الإيمان المقترن

بالتقوى على تسع آيات ، واحتوى الإيمان المقترن بالتحوّل الإيجابي على تسع آيات ، واحتوى الإيمان المقترن بالتحوّل السلبي على أربع عشرة آية .

٦ – إنّ أدنى المستويات هو الإيمان المقترن تارةً يكون مقترنًا بـ(الأوامر) وتارةً يكون مقترنًا بـ(النّواهي) ، وهذا المستوى بمثابة الإعداد والتدريب فمن ينجح بهذه يرقى إلى مستوى أعلى، ومن يفشل يهبط إلى مستوى أدنى ، والمؤمن في هذا المستوى قد يلتزم وقد لا يلتزم ، وقد يكون التزامه نسبيًا .

٧– إنّ الإيمان المقترن بـ(العمل) : هو مستوى أرقى من الإيمان المقترن بـ(الأوامر والنّواهي) فالأخير ناظرٌ إلى ما يصدر له من الرَّبِّ من الأوامر والنَّواهي ، والأوّل ناظرٌ إلى ما يصدر منه من عمل .

٨– إنّ الإيمان المقترن بالعمل مع كونه أرقى من مستوى الإيمان المقترن بالأوامر والنّواهي إلّا أنّ الفلاح بحُسن العاقبة ؛ لأنّ بعضهم تكون عاقبته بسوء والعياذ بالله .

٩– إنّ المستوى الثّالث (الإيمان المقترن بالتقوى) هو أرقى المستويات ؛ لأنّه بالتقوى حصَّنَ نفسه .

١٠ –ممّا يؤيد أنّ التقوى إنِ اقترنت بالإيمان صيَّرَته أرقى المستويات ، قوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ الحجرات: ١٣.

وقوله : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ١٩٤ – التوبة : ٣٦ – التوبة : ١٢٣.

وقوله : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ البقرة: ١٩٧.

١١ – من المستويات الإيمانية ما هو متعلق بالمسائل العقديّة ومن تلك المسائل (التوحيد والعدل والنبوة الإمامة والمعاد) وتعدّ هذهِ نقطة مفصلية وحدّ فاصل بين الإيمان والكفر والشرك كما تحتاج إلى تصور صحيح عنه تعالى لكي يصبح الاعتقاد صحيحًا خاليًا من الشرك والكفر وهنا يظهر المستوى الإيماني وفق تطبيق الفرد لما يؤمر بهِ والانقياد وراء الأفكار الصحيحة ليصل إلى درجة من الإيمان الحقيقي ويصبح مستوى الإيمان عنده بدرجة رفيعة .

١٢– مستوى إيمان العبد لا يظهر فقط بإتّباعه الأوامر الإلهية الصادرة سواء تلك الأوامر المتعلقة بعقيدته أو في الأحكام العبادية أو المعاملات أو في الحدود والدّيات ومدى تطبيقها إنّما يظهر ذلك في النواهي التي يلتزم بتجنبها فإنّ بقبال الأوامر تكون النواهي لكي يتكامل إيمانه ويتبيّن مستوى إيمانه الذي يكون بتفاوتٍ بين مؤمن وآخر بحسب تطبيقه لما مطلوب منه .

١٣ –من كمالات الإيمان الحقيقي وشرطه الأساسي هو اقترانه بالعمل الصالح ، فالله تعالى لا يثيب العبد بمجرد إيمانه فقط ، فالإيمان وحده لا ينفع ما لم يكن مقترنًا بالعمل الصالح ، فالعمل هو تزكية للنفس المؤمنة والجزاء الذي يحصل عليه العبد من ربّه هو متعلق بالعمل الصالح ، فدخول الجنّة ونزول الخيرات عليه من الله تعالى منوطٌ بما يقدمه من عمل صالح بين يدي الله يؤهله لتلك المكانة التي يستحقها.

١٤– من مصاديق العدل الإلهي توفية الأجر لكلّ عبدٍ يعمل عملًا يستحق الأجر عليه فالله يثيب المرء وفق العمل الذي يقوم بهِ وأمّا من لم يعمل صالحًا فلن يحصل على ذلك الأجر الذي وعد الله بهِ المؤمنين خاصةً .

١٥ – هناك تحوّلان في الإيمان عند الإنسان الأوّل الإيجابي والآخر السلبي ، أمّا الإيجابي فهو ما دعا إليه الإسلام وأراده من الخلق عن طريق الدعوة الإسلامية وقد نزلت لأجله الرسالات السماوية ودعا إليه الرسل والأنبياء وهذه جنبة إيجابية كون الرجوع فيه إلى الطريق الحقّ ، أمّا الجنبة السلبية التي نهى الإسلام عنها ودعا إلى تركها ونبذها من خلال الآيات الكريمة هي التحوّل السلبي .

١٦– إنّ الإيمان يشوبه التحوّل الإيجابي تارة والسلبي تارة ، فالسلبي يكون تراجعي والإيجابي تصاعدي ، وفي المستويات الآنفة الذكر ثلاثتها هي مستويات تصاعدية .

ثَبَتُ المَصادر

والمَراجع

المصادر والمراجع :

-القرآن الكريم.

المصادر القديمة :

📖أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ ﻫ)

مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون ، ط١ ، دار الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١ﻫ.

📖 البخاري : محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ ﻫ)

صحيح البخاري ، تحقيق : محمد زهير الناصر ، ط١ ، دار طوق النجاة ، بيروت ، ١٤٢٢ﻫ .

📖البيضاويّ ناصر الدين عمر بن محمد (ت ٦٨٥ﻫ)

أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشليّ ،ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤١٨ ﻫ .

📖 الثعلبيّ أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧ﻫ)

الكشف والبيان في تفسير القرآن ، تخريج صلاح باعُثمان وآخرون، ط١، دار التفسير ، جدة، ١٤٣٦ﻫ .

📖الجوهريّ الفارابيّ أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

📖 ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازيّ (ت ٣٢٧هـ)

تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : أسعد محمد الطيّب ، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز ، الرياض ، ١٤١٧هـ .

📖الحرّ العامليّ محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ)

تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، تحقيق : مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، ط٢، مطبعة مهر، قم ، ١٤١٤ هـ .

📖 الإمام الحسن العسكريّ (ت ٢٦٠هـ)

تفسير الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) (المنسوب إليه) ، تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) في قم ، ط٢، مطبعة اعتماد ، قم ، ١٤٣٣هـ .

📖أبو حيان الأندلسيّ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)

البحر المحيط ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤٣٢ هـ .

📖 الرازيّ زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت٦٦٦هـ)

مختار الصحاح ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية، ط٥، الدار النموذجية، بيروت ، ١٤٢٠هـ .

📖الراغب الاصفهانيّ الحسين بن محمد بن المفضل (ت٥٠٢ هـ)

المفردات في غريب القرآن ، ط١، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ، ١٤٢٨ هـ .

📖 الزبيديّ أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسينيّ (ت ١٢٠٥ هـ)

تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : حسين نصار، ط١، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ، ١٣٩٤هـ .

📖الزمخشريّ أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر (ت ٥٣٨هـ)

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : عادل عبد الموجود وعلي محمد معوّض ، ط١، العبيكان ، الرياض ، ١٤١٨هـ .

📖 أبو السعود بن محمد العماديّ الحنفي (ت ٩٨٢هـ)

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود) ، تحقيق :عبد القادر أحمد عطا ، ط١، مطبعة السعادة ، القاهرة ، (د: ت) .

📖ابن سيده علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ)

المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط١، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ١٤٢١ هـ .

📖 السيوطيّ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ)

الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق: عبد الله التركيّ ، ط١، مركز هجر ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ .

📖الشريف الجرجانيّ (ت ٨١٦ هـ)

كتاب التعريفات ، ط١، مطبعة سليمان زاده ،قم ، ١٤٣٣ هـ .

📖 الشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسويّ البغداديّ (ت ٤٣٦هـ) .

الذخيرة في علم الكلام ، تحقيق : أحمد الحسيني ، ط١ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١١هـ .

📖الشهيد الثاني زين الدين بن علي العامليّ (ت ٩٦٥هـ)

حقائق الإيمان ، تحقيق: مهدي الرّجائي ، ط١، مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام)، قم ، ١٤٠٩هـ .

📖الشوكانيّ ، محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ)

فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق:عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء ، القاهرة ، (د: ت) .

📖صدر الدين الشيرازيّ محمد بن إبراهيم (ت ١٠٥٠هـ)

تفسير القرآن الكريم ، ط١، مطبعة أمير ، قم ، ١٤٠٦هـ .

📖الصدوق محمد بن علي بن بابويه (ت٣٨١)

– معاني الأخبار ، تحقيق : علي أكبر الغفاريّ ، ط١، مؤسسة النشر الإسلاميّ ، قم ، ١٣٧٩هـ .

– من لا يحضره الفقيه ، إشراف وتصحيح : حسين الأعلميّ ، ط١، مؤسسة الأعلميّ بيروت ، ١٤٠٦هـ .

📖الطبرسيّ الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)

مجمع البيان، ط١، دار العلوم ، بيروت ، ١٤٢٦هـ .

📖الطبريّ محمد بن جرير (ت ٣١١هـ)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : عبد الله التركيّ، ط١، دار هجر ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ .

📖الطوسيّ محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)

– الاستبصار فيما اختلف من الأخبار ، تحقيق : علي أكبر الغفاريّ ، ط١، دار سرور، قم، ١٤٢٢ هـ .

– التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق : أحمد حبيب العامليّ ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت ، لبنان ، د: ت .

– تهذيب الأحكام ، تحقيق : علي أكبر الغفاريّ ، ط١، مروى ، طهران ، ١٤٢٨هـ.

📖 ابن عربي محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣هـ)

أحكام القرآن ، تعليق : محمد عبد القادر عطا ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ .

📖ابن عطية الأندلسيّ (ت ٥٤٦هـ)

المحرر الوجيز ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ.

📖 الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

نهج البلاغة ، جمع الشريف المرتضى ، تحقيق : محمد عبده ، ط١، دار النهضة ، قم ، ١٤١٢ هـ .

📖العياشيّ أبو النضر السمرقنديّ (ت ٣٢٠ هـ)

تفسير العياشيّ ، تصحيح : هاشم المحلاتيّ ، ط١، الأعلميّ ، بيروت ، ١٤١١هـ.

📖ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)

معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ.

📖الفخر الرازيّ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت ٦٠٦هـ)

مفاتيح الغيب ، ط١، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ .

📖الفراهيديّ الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)

العين ، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، د. إبراهيم السامرائيّ، دار الهلال ، القاهرة ، د:ت .

📖 الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)

القاموس المحيط ، تحقيق: مؤسسة الرسالة ، ط٨ ، دار الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٦ هـ .

📖القرطبيّ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح (ت ٦٧١هـ)

الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد البردونيّ وإبراهيم أطفيش ، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٣٨٤هـ .

📖ابن كثير إسماعيل بن عمر (ت : ٧٧٤ هـ)

تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ، ط٢، دار طيبة ، الرياض،١٤٢٠هـ .

📖الكلينيّ محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)

الكافي ، ط١، مطبعة فجر ، لبنان ، ١٤٢٨هـ .

📖 ابن ماجه محمد بن يزيد (ت ٢٧٣ هـ)

سنن ابن ماجه ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط١، دار الرسالة ، بيروت ، ١٤٣٠ هـ .

📖 الماورديّ علي بن محمد البصريّ (ت ٤٥٠هـ)

النكت والعيون ، علق عليه عبد المقصود عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د : ت).

📖مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ)

تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق : عبد الله محمود شحاته ، ط١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٣هـ .

📖ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقيّ (ت٧١١هـ)

لسان العرب ، ط١، دار صادر، بيروت ، ١٤١٤هـ .

📖 ميثم بن علي بن ميثم البحرانيّ (ت ٦٩٩هـ)

قواعد المرام في علم الكلام ، تحقيق أحمد الحسينيّ ، ط٢، مطبعة الصدر ، قم ، ١٤٠٦هـ.

📖هاشم البحرانيّ (ت ١١٠٩هـ)

البرهان في تفسير القرآن ، تحقيق لجنة من العلماء ، ط٢، الأعلميّ، بيروت ، ١٤٢٧هـ .

📖 نصير الدين الطوسيّ محمد بن الحسن (ت ٦٧٢هـ)

كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، (العلّامة الحليّ ت ٧٢٦هـ) ، تعليق إبراهيم الموسوي الزنجانيّ ، مطبعة أمير ، قم، ١٤١٥هـ .

📖أبو هلال العسكريّ (ت ٣٩٥هـ)

الفروق في اللغة ، تحقيق لجنة إحياء التراث ، ط٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

📖 يحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ)

التصاريف تفسير القرآن ممّا اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه ، تحقيق هند أحمد شلبي ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط١، عمّان ، ١٤٢٩هـ.

المراجع الحديثة :

📖أحمد مختار عبد الحميد عمر (الدكتور) (ت ١٤٢٤هـ)

– معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي ، ط١، عالم الكتب، القاهرة ، ١٤٢٩ هـ .

– معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط١، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٩هـ .

📖 جعفر السبحانيّ (معاصر)

الإيمان والكفر في الكتاب والسنّة ، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، ط٢، قم ، ١٤٢٧هـ .

📖 حسن المصطفويّ (الدّكتور) (ت١٤٢٦هـ)

التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، ط ١، مطبعة اعتماد ، طهران ، ١٣٨٥ هـ .

📖حسين النوريّ الطبرسيّ (ت ١٣٢٠هـ)

مستدرك الوسائل ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ، مطبعة مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ، ط٢، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .

📖 رمضان عبد التواب (الدّكتور) (ت ٢٠٠١م)

المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ط٣، مكتبة الخانجيّ، القاهرة ، ١٤١٧هـ .

📖 سعد بن ناصر الشثري (معاصر)

حقيقة الإيمان وبدع الإرجاء في القديم والحديث ، ط٢، دار كنوز إشبيليا ، الرياض ، ١٤٣٠هـ .

📖 سيد قطب (ت ١٩٦٦م)

في ظلال القرآن ، ط٣٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ .

📖عبد الأعلى السبزواريّ (ت ١٤١٤هـ)

مواهب الرحمن، ط٥ ، نكَين ، قم ، ١٤٣١ هـ .

📖 عبد الرحمن السعديّ (ت ١٣٧٦هـ)

– التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ط١، أضواء السلف ، الرياض ، ١٤١٩هـ .

– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٠هـ .

📖عبد الرحمن عبد الخالق (ت ٢٠٢٠م)

الحدّ الفاصل بين الإيمان والكفر ، ط١، دار الإيمان ، الإسكندرية ، ٢٠٠١م .

📖عبد الله الجواديّ الآمليّ (معاصر)

تسنيم في تفسير القرآن ، تحقيق : محمد عبد المنعم الخاقانيّ، ط٢، الإسراء ، بيروت ، ١٤٣٢ هـ .

📖عبد الله عيسى الغديريّ (معاصر)

القاموس الجامع للمصطلحات الفقهية ، ط١، المحجة البيضاء، بيروت ، ١٤١٨هـ .

📖 كمال الحيدريّ (معاصر)

الإيمان حقيقته درجاته آثاره ، بقلم حيدر اليعقوبيّ ، مؤسسة الجواد (عليه السلام) ، ط١، الكاظمية ، العراق ، ١٤٣٧هـ .

📖 ماريو باي (ت ١٩٧٨م)

أسس علم اللغة ، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر ، ط٨، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٩هـ .

📖 محسن قرائتي (معاصر)

تفسير النور ، ترجمة : حسين صافي ، ط١ ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ١٤٣٥هـ.

📖 محمد باقر الإيروانيّ (معاصر)

تفسير آيات الأحكام ، ط١ ، مطبعة برهان ، قم ، ١٤٢٣هـ .

📖 محمد تقي المدرسيّ (معاصر)

من هدى القرآن ، ط١، دار محبي الحسين ع ، طهران ، ١٤١٩هـ .

📖محمد جمال الدين القاسميّ (ت ١٣٣٢هـ)

محاسن التأويل (تفسير القاسميّ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، مطبعة الحلبيّ، دمشق ، ١٣٧٦هـ .

📖 محمد جواد البلاغيّ (ت ١٣٥٢ هـ)

آلاء الرحمن ، دار احياء التراث العربيّ، بيروت ، (د: ت).

📖محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠هـ)

تفسير الكاشف ، ط٤ ، مطبعة ستار، قم ، ١٤٢٨هـ .

📖محمد حسين الطباطبائيّ (ت١٤٠٢هـ)

الميزان في تفسير القرآن ، ط١ ، الأعلميّ ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .

📖محمد حسين فضل الله (ت ٢٠١٠م)

من وحي القرآن ، ط٢ ، دار الملاك ، بيروت ، ١٤١٩هـ .

📖محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)

تفسير المنار ، ط٢ ، دار المنار ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ .

📖 محمد السبزواريّ (ت ١٤٠٩ هـ)

الجديد في تفسير القرآن المجيد ، ط١ ، دار التعارف ، بيروت ، ١٤٠٢.

📖 محمد الصادقيّ الطهرانيّ (ت ٢٠١١م)

الفرقان في تفسير القرآن ، ط٢ ، مطبعة أمير ، قم ، ١٤٠٦هـ ،

📖 محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)

التحرير والتنوير ، ط١ ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤ م .

📖محمد عبد الله الوهيبيّ (معاصر)

نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ط٢ ، دار المسلم ، الرياض ، ١٤٢٢هـ .

📖المشكينيّ أبو الحسن بن عبد الحسين (ت ١٣٥٨ هـ)

مصطلحات الفقه ، ط ١، مطبعة الهادي ، قم ، ١٤١٩ هـ .

📖ناصر مكارم الشيرازيّ (معاصر)

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ط١، سليمان زادة ، قم ، ١٤٢٦هـ .

📖وهبة الزحيليّ(الدّكتور) (ت ١٤٣٦هـ)

التفسير المنير، ط١٠ ، دار الفكر، دمشق ، ١٤٣٠هـ .

البحوث المنشورة والمقالات الإلكترونية :

١ – حامد حسينيان ، علي الحسنيّ

حقيقة الإيمان في القرآن الكريم ، ٢٠١٥م، [بحث منشور] .

٢– رسول جعفريان

الإيمان والإسلام في كلام أهل البيت (عليهم السلام) ومتكلمي الشيعة ، ٢٠١٦م ،[بحث منشور]

٣– علي رضا شجاعي

العقل والإيمان في التعاليم الإسلامية ، ترجمة : حيدر حبّ الله ، ٢٠١٥م،[بحث منشور] .

٤ – نعمة الله بدخشان ، محمد مزيدي ، سعيد رحيميان

الإيمان والمعرفة الفلسفية جدلية العلاقة المتبادلة، ترجمة: علي ظاهر،٢٠١٥م،[بحث منشور].

٥– من تفسير السعدي

إحدى وخمسون فائدة من آية واحدة ، ١٤٤٢هـ، [شبكة الألوكة] .

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Babylon / Faculty of Islamic Sciences

Department of Quranic Sciences / Graduate Studies

The Qur'anic Vision of Faith Levels

– Analytical study –

A thesis submitted to the Council of the Faculty of Islamic Sciences / University of Babylon, which is part of the requirements for obtaining a doctorate degree in Quranic sciences

By

Muhammad Hani Hashim Hussein Al-Awadi

Supervised By

Prof. Dr. Sakina Aziz Abbas Alfatli

2023 **1445**

Abstract

Among the important issues that meant by Islamic law and that interest was evident through the Holy Qur'an being the source of that Sharia and the basis from which the provisions and issues that concern it is taken is the issue of faith, faith is one of the important and essential issues in Islamic law brought by the Prophet of mercy Muhammad peace be upon him and his family We see that all human actions between acceptance and rejection depend on his faith and the sincerity of his approval, The reward and punishment is also related to faith, the slave is either for the committee or for the fire according to the amount of his faith, and hypocritical that God Almighty will hold his servants accountable according to their faith and the extent of their adherence to it, and we see the Qur'anic verses and on a wide area that address, confirm and urge man to adhere to faith and apply it in all aspects of his life, so as not to be covered by the punishment of God Almighty.

The thesis aims to study the Qur'anic vision of the levels of faith to show the concept of faith according to the Qur'anic vision and how the Holy Qur'an expressed the concept of faith and before that showed the concept of faith when linguists, fundamentalists and other Islamic doctrines and faith in the West, especially the adherents of the Christian religion, then was a mention of the verses that included the concept of faith and the statement of those verses either from the narrations of the Sunnah of the Prophet from the sayings of the Prophet and his family peace be upon them or through the sayings of the Companions and followers or a statement of that from Through the sayings and opinions of the commentators who were concerned with

clarifying these verses according to their contemplation of their concept.

The thesis included a preamble in which the terms of the title were defined with a statement of the concept of faith among Muslim scholars in various fields and non-Muslims, especially Western Christians, with a statement of the concept of faith according to the narrations of Ahl al-Bayt peace be upon them, and included four chapters, the first is faith coupled with orders in the chapter of assets and the second chapter is faith coupled with orders in the chapter of provisions, The third chapter is faith coupled with work and piety, and the fourth chapter is faith associated with positive transformation and negative transformation, with an introduction and conclusion with the most important results.

Our last prayer is that praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon our Prophet and his good and pure family.

Researcher

Muhammad Hani Hashim Al-Awadi